جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات النحوية واللغوية

تخصص علم لغة

العناصر الدالة على المعنى في سورتي آل عمران والنساء
دراسة لغوية دلالية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص علم لغة

إعداد الطالب:

خليل إبراهيم أحمد محمد

إشراف الدكتور:

عباس السر محمد علي

١٤٣٢هـ- ٢٠١١م

تم الآيـــــــة

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾

[سورة الرحمن ، الآية ١-٤]

الإهداء

إلى مَنْ عَاشُوا لِرَدْعِ الظَّلمِ دَوْماً

وأَفْنُوا أَعْمارَهُمْ فِعْلاً وَقِيلاً

إلى مَنْ خَطَ حَرْفاً في الزّمانِ

وأَشْعَلَ عَلْمَهُ نُوراً جمِيلاً

وإلى كل من له عليَّ فضلٌ

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى أله وصحبه أجمعين.

وبعد،،

فلا شك أنَّ وراء كل عمل علمي جهود محفزة، ومتممةً له، وأحمد الله الذي غيض لي نفراً كريماً ممن كان لهم أثر طيب ليصبح هذا البحث بحثاً بهذا الشكل.

ولذا فلا بد من إسداء الشكر الجزيل والتقدير لكل من أسهم بوقته وجهده ناصحاً وموجهاً ومناقشاً لهذا البحث.

وأخص أستاذي الجليل الدكتور/ عباس السر بأسمى آيات الشكر والتقدير لتفضله بالإشراف على هذا البحث وصبره الجميل على ذلك.

والشكر موصول إلى جميع أساتذتي الأكارم بكلية اللغة العربية جامعة أم درمان الإسلامية الذين حببوا إلينا لغة القرآن الكريم وشجعوني على البحث فيها. كما أشكر كل من أسهم بجهد وفكر وإرشادٍ حتى اكتمل هذا البحث.

ونسأل الله الحفظ والأمان للجميع..

مقدمة

حظيت اللغة العربية بقدر مقدر من الدراسات والبحوث بوصفها لغة الوحي؛ إذ نزل بها القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل: الآية ١٠٣]

ففي سبيل الكشف عن المعاني الكامنة في ألفاظ القرآن الكريم واللغة انبرى عدد من العلماء قديماً وحديثاً لدراسة جوانبها المختلفة شملت مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لأن هذه العناصر الدالة على المعنى التي عالجها الباحث تعد نسيجاً محكماً تتشابك فيما بينها لاستبانة المعنى المرجو من النص القرآني واستنباط أحكامه ومعرفة أمره ونهيه ويكون ذلك باستصحاب هذه العناصر المختلفة التي تتمثل في العنصر الصوتي، والصرفي. والنحوي، والسياق بقسميه اللغوي وسياق المقام بالإضافة إلى العنصر المعجمي. فالمعنى الدلالي للفظ لا يعرف المقصود منه ولا يستبين أمره إلا بمعرفة تلك العناصر، لأنها وسيلة إليه وأداة تؤدي إليه كما هو معروف عند علماء اللغة.

ولما كان القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية وكتابها المقدس ومصدر تشريعها الأول كان لازماً على كل من أراد أن يفهم هذا الكتاب إتقان لغته بأقسامها المختلفة ليتجلى له معنى اللفظ الكامن في هذه الأواني (الألفاظ) ويعرف مراد الله من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأن اللغة العربية لغة مبينة وغاية في الفصاحة والإبانة وهي من أوسع اللغات وأحفلها في الألفاظ والمفردات والدلالات والمعاني، كما أنها لغة تمتاز بثروة غنية من المشتقات ذات الأثر الكبير في بلاغة الكلام العربي وتنويع دلالته ولهذا لا بد من الدراسة الشاملة الكاملة لتلك العناصر المختلفة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الذي دعاني إلى البحث في هذا الموضوع هو ما ألحظه من أهمية بالغة في جانب هذه العناصر التي لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم خاصة أو اللغة العربية عامة إلا بها.

٢- لأن الإدراك الحقيقي لفهم المعنى الدلالي لألفاظ القرآن الكريم ألا يكون إلا بمعرفة مكونات أفرع هذه اللغة من أحوال الكلمات وما يتصل بها.

٣- لأن هذه العناصر تتيح لي الاستفادة من معطياتها في خدمة لغة القرآن الكريم، والوقوف على هذا الكتاب العظيم وبلاغة ألفاظه الإعجازية البيانية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الآتي:

١/ الكشف عن حقيقة المعنى في اللغة العربية وإلى معرفة قوانين اللغة العربية والتي تساعد بدورها على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد وما ينطوي تحته من مضامين دلالية مختلفة.

٢/ كونه مرتبطاً بالدراسات القرآنية.

٣/ الباحث لم يعثر على دراسة مشابهة أو مطابقة له.

٤/ البحث يضيف إلى حقل الدراسات اللغوية المرتبطة بالقرآن الكريم إضافة جديدة.

٥/ فتح مجال للباحثين في الدراسات الدلالية المختلفة.

الدراسات السابقة:

لا شك إن ظواهر القرآن الكريم الدلالية والمعجمية في الموضوعات التي شُغِل بها العلماء قديماً وحديثاً، ومن ثم كثرت المؤلفات التي عُنيت بالكتاب الكريم إلا أنها مهما تعددت أقوال المفسرين وبحث الباحثين في شرح ألفاظ القرآن فلا يعدو ذلك كونه تقريباً وتوضيحاً للمعنى؛ لأن القرآن ألفاظه معجزة بلاغية.

فوجدت بعض الكتب التي تناولت هذا الجانب مثل:

التطور الدلالي بين اللغة والشعر ولغة القرآن لعودة خليل عودة ولغة القرآن الكريم في جزء عم للدكتور محمود نحلة، ومن إعجاز القرآن لبوسعدة والبيان في

روائع القرآن الدكتور تمام حسان والموضح في وجوه القراءات وعللها د/ مجدي محمد القراءات القرآنية وما يتعلق بها. الدكتور/ فيصل حسن التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، الدكتور/ الهادي نهر، وغير ذلك من الكتب والرسائل الجامعية.

منهج البحث:

أعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وآثرتُ في البدء أن أعرض نبذة عن الدلالة وأهميتها في الدراسة اللغوية بصفة عامة، لتكون المدخل الأصلي للموضوع.

هيكل البحث:

يحتوي البحث على الآتي:

مقدمة ذكرت فيها أهمية هذه العناصر في دراسة ألفاظ القرآن الكريم.

* (تمهيد) تحدثت في التمهيد عن أهمية الدلالة وجهود العلماء فيه قديماً وحديثاً علاقة هذه العناصر بعلم المعنى الذي هو الغاية المنشودة من الألفاظ والحدث الكلامي.

* الفصل الأول: الدلالة الصوتية وأثرها على النص الغوي : وتحته مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بعلم الأصوات وأهميته:

المبحث الثاني أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني.

* الفصل الثاني:الدلالة الصرفية

وتحته مبحثان

المبحث الأول: التعريف بعلم الصرف وأهميته

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني

* الفصل الثالث: الدلالة النحوية:

وتحته مبحثان:

والمبحث الأول: التعريف بالنحو وأهميته

المبحث الثاني: أثر الدلالة النحوية على النص القرآني

* الفصل الرابع: السياق وأثره في تحديد المعنى:

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالسياق وأهميته وأنواعه

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي على النص القرآني

المبحث الثالث: أثر سياق المقام على النص القرآني

* الفصل الخامس: الوقف وأثره على المعنى

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: أهمية الوقف وأقسامه

المبحث الثاني: الوقف وأثره على النص القرآني

خاتمة

نتائج

توصيات

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهذا ما قدر لي أن أجمعه في هذه الدراسة، ولا أدعي أنني أحطت الموضوع بكل جوانبه فما زال للحديث بقية.. وما تقدمت به إنما هو جهد متواضع لطالب علم أراد أن يسهم ويفهم أكثر في هذا المجال وما توفيقي إلا بالله.

تمهيد:

شغلت قضية المعنى اللغوي جميع المتكلمين باللغة على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الفكرية وهذه ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، ولهذا تعددت المناهج والمدارس الناظرة في دراسة المعنى؛ إذ يمثل المعنى في الدراسات اللغوية نقطة أساسية، بل هو جوهر الدراسات اللغوية وقمتها(١).

ولهذا كان لا بد من الوقوف على العناصر الأساسية الوظيفية؛ لأنها هي الوسيلة لتحقيق المعنى المرجو من تلك الألفاظ، وبهذا يعد المعنى هو غاية الدراسات النحوية والصرفية والمعجمية.

"ويعد علم المعنى أحد مستويات الدرس اللغوي الحديث بما يعرف بعلم الدلالة (السيمانتكس semantic)، وقد تناوله بالبحث والدراسة علماء ومفكرون من شتى الميادين، منهم الفلاسفة، والمناطقة، وفقهاء الشرائع السماوية، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس، والنقاد، والأدباء، ولكل من هؤلاء منهجه الخاص وأسلوبه المتميز، وقد اختلفوا في وظيفة علم المعنى، فمنهم من يقصره على البحث والدراسة حول الألفاظ ومعانيها، وآخرون يوجهون اهتمامهم لدراسة المعنى، وأخيراً ظهر من يهتم بالجانبين"(٢).

وإذا كان موضوع الدراسة هي العناصر الدلالية رأى الباحث أن يذكر نذراً يسيراً عن علم الدلالة وأهميته داخل الحقل اللغويّ وعلاقته بتلك العناصر التي هي بمثابة الوسيلة إليه.

"علم الدلالة (Semantic): الدلالة مصدر من الفعل (دَّل)، وسجلت المعاجم اللغوية لهذه المادة معاني متعددة، من بين هذه المعاني الهداية والإرشاد على نحو ما جاء في لسان العرب (دُل فلان إذا هُدي)، ومنه قوله ﷺ: (الدَّالُ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ"(٣).

---

(١) التفكير اللغوي بين القديم والحديث د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت: ص ٣٩، ٤٠.

(٢) الدلالة والحركة: محمد محمد داود، ط ٢٠٠٢م، دار الغريب، القاهرة، ص ٤١.

(٣) سنن أبي داود، باب في الدال على الخير كفاعله ٢/٧٧٥، رقم الحديث: ١١٥١٤٤، دار الفكر بيروت، د.ت.

ويعرفه بعضهم بأنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى" (١).

وقال الخطيب الغزيوني: علم الدلالة: (هو العلم الذي يُعرف به إرادة المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه" (٢).

"ومصطلح علم الدلالة (بفتح الدال وكسرها ودِلُولة بضم أو الفتح يتسع بمعاني متعددة، ويقابله في الإنجليزية (Semantics – علم الدلالة) أي العلم الذي يختص بدراسة المعنى" (٣).

"ولقد نشأت الدراسات الدلالية الأولى عند العرب في أحضان الدراسات القرآنية، وظلت تدور في رحاها ردحاً من الدهر قبل أن يتعرف عليها علماء العربية على جهود الهنود واليونانيين الذين كان لهم السبق من الناحية التاريخية. ولكن لم يكن العرب عالة عليهم في معرفة هذا العلم فجميع الشواهد تؤكد أن القرآن الكريم هو الذي أغرى علماء العربية ببحث معانيه للتعرف على مواطن إعجازه وأحكامه، فاهتدى العرب لأول مرة إلى ضرورة بحث لغتهم والعناية بها ووضع قواعدها، وجمع مفرداتها.

والفضل كل الفضل يرجع إلى القرآن الكريم، وهذا لا يعني أننا ننكر اطلاع العرب على تراث سابقيهم وتأثرهم في مجال البحث اللغوي، فقد استفاد علماء العربية كثيراً من جهود غيرهم فقد توسعوا في مجال الدراسة وعرفوا جوانب بحثية جديدة، كما استفادوا من علوم الهنود، واليونانيين في البحث اللغوي.

ولقد اتبع بعض الدارسين المحدثون مسلكاً تجاهلوا فيه جهود علماء العربية في مجال البحث اللغوي وخاصة البحث الدلالي، فقد دأبوا أن ينسبوا بحوث اللغة والدلالة إلى الدراسات الغربية، وكأن العرب لم يضعوا لبنة واحدة في صرح الدراسات اللغوية"(٤).

---

(١) علم الدلالة: أحمد مختار،عالم الكتاب، بيروت ط ١٩٩٨م، ص ١٠.

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، ترجمه وضبطه وشرحه عبدالبر قوقي، ط ٢، بيروت، دار الفكر العربي، ص ١٧٤.

(٣) الدلالة اللفظية، د. محمود عكاشة، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ط٢٠٠٢م، ص ٨-٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦ – ٧.

"والحقيقة أن البحث الدلالي عند العرب سبق بأثرهم بالثقافات الوافدة إليهم؛ لأن البحث الدلالي صاحب نزول القرآن الكريم، وأول من أسهم فيه هو النبي الكريم ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم والتابعون، ثم بعد ذلك بدأت المرحلة العلمية فيه مع شيوع تدوين العلوم الدينية مثل: التفسير والحديث وعلوم الشريعة واللغة. وعلماء التفسير هم الذين قادوا غافلة البحث الدلالي، وذلك من خلال تسجيل ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من شروح بعض ألفاظ القرآن الكريم كما قاموا بشرح المفردات التي قد يصعب معرفة معانيها وتتبعوا معاني المفردات التي أتت في أكثر من موضع في سياقات مختلفة فقاموا بجمع هذه الألفاظ في باب واحد يعرف بها، وقد عرفت هذه الدراسة بين المفسرين، واللغويين بالمشترك اللفظي، والوجوه، النظائر، أو الأشباه والنظائر وقد توسع البحث الدلالي فشمل الشعر وكلام العرب واللغة عامة"(١).

"كذلك نجد علماء الغرب قد تصدوا لمشكلة المبنى والدلالة والمفكرون الغربيون في مجال "حقل علم العلاقات (Semiotic) أو علم التأويل (Hermeneutic).

(ويهدف البحث في الدلالة اللغوية إلى الكشف عن حقيقة المعنى في اللغات الإنسانية، وإلى معرفة القوانين اللغوية التي تساعد على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد، وما ينطوي تحته من مضامين).

وعلى الرغم من اختلاف الثقافات البشرية والمجتمعات الإنسانية، واختلاف الزمان والمكان إلا أن الطريقة التي يتكون بها المعنى واحدة، لهذا كان علم الدلالة من العلوم اللسانية النظرية التي تدرس المعنى باعتباره ظاهرة لغوية عامة"(٢).

---

(١) الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص ١٥.

(٢) علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٣.

"لـذلك نجـد أن الفلاسـفة اليونـانيون مـن قـديم الزمـان تعرضـوا فـي بحـوثهم ومناقشتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة، ومعنى هذا أن الدلالة قديمة قدم التفكير الإنساني ومواكبة لتقدمه وتطوره كما نجد أن أرسطو مثلاً: تكلم عن الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التطور الموجود في العقل وميز أرسطو بين أمور ثلاثة:

١/ الأشياء في العالم الخارجي.

٢/ التصورات: المعاني.

٣/ الأصوات: الرموز والكلمات " [١].

"أيضاً من الذين تعرضوا للعلاقة بين اللفظ ومدلوله أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط، وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية مدعياً أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نبين بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلاً تفسيرياً.

وأما أرسطو فكما سبق الحديث عنه فكان يدعم فريقاً آخر يرى أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعد أن تكون صلة إصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس وقد أوضح آراءه تلك في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة بيِّن فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه" [٢].

"ولم يكن الهنود أقل اهتماماً بمباحث الدلالة من اليونانيين، فقد عالجوا منذ القدم ومن وقت مبكر الكثير من القضايا التي ترتبط بفهم المفردات والجملة.

فمن دراستهم مثلاً نجدهم قد قسموا الدلالات إلى أربعة أقسام:

١/ قسم يدل على مدلول عام أو شامل: (رجل)

٢/ قسم يدل على كيفية: (طويل – قصير)

٣/ قسم يدل على حدث: (جاء – ضرب)

٤/ قسم يدل على ذات: (على محمد)

---

(١) علم الدلالة: أحمد مختار، ص ١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩.

كما نجدهم أشاروا إلى مسائل متفرقة من اللغة التي ما زالت موضع نقاش بين المحدثين من علماء اللغة مثل أهمية السياق ووجود الترادف والاشتراك اللفظي وكظاهرة عامة في اللغات ودور القياس والمجاز في تغيير المعنى"[١].

وأمَّا العرب فكما ذكرنا لم يكونوا أقل اهتماماً ممن سبقهم في البحث اللغوي بصفة عامة والدلالي بصفة خاصة وقد ذكرنا في مقدمة البحث أن العرب كانوا قد اهتموا بالجانب الدلالي منذ وقت مبكر وكان ذلك مصاحباً لنزول القرآن الكريم وتفسيره وتدوين العلوم الدينية والشعر والحديث وكلام العرب.

فنذكر هنا بعض الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب في المباحث اللغوية والدلالية مثل:

"تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ومثل الحديث عن مجاز القرآن ومثل التأليف في الوجوه والنظائر حتى ضبط المصحف بالشكل نفسه يعد في الحقيقة عملاً دلالياً؛ لأن تغير الضبط يؤدي إلى تغير وظيفة الكلمة وبالتالي تغير المعنى.

لذلك نجد اهتمامات العرب تنوعت في جوانب كثيرة متعددة.

نجد مثلاً محاولة ابن فارس في معجمه المقاييس ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

أيضاً محاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة التفرقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ومثل الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس والخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي- وغير ذلك من جهود علماء العربية في الجانب الدلالي"[٢].

"كما نجد أن الدراسات الدلالية نشطت على نحو بارز في السنوات الثلاثين الأخيرة، (وهذا أمر تعرفه الثقافة الإنسانية إذ تتبلور جوانب متعددة في المعرفة، وتتكامل لتغدو علماً له قوامه"[٣].

(وقد تبلور مصطلح "علم الدلالة" في صورته الفرنسية (Semanigue) لدى اللغوي الفرنسي بريال (Breal) في أواخر القرن التاسع عشر أي ١٨٨٣م ليصير

---

(١) علم الدلالة د٠أحمد مختار، ص٢٠.

(٢) الدلالة والحركة، محمد محمد داود، ص ٢٠.

(٣) علم الدلالة العربي: د/ فائز الداية، ط ١٩٨٥م، دار الفكر للطباعة، دمشق، ص ٥.

فرعاً من فروع علم اللغة العام وهو علم (الدلالة) ليقابله علم الصوتيات الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية" [١].

إلا أن سمير شريف يقول: "إن علم الدلالة يرتبط ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة وعلم النفس والمنطق وعلم المعنى الذي يعرف عند علماء العربية فرعاً من فروع علم البلاغة"[٢].

لذلك نجدهم يقولون: "إن خصائص المعنى كثيرة جداً ومع ذلك تؤثر بمجملها في التفكير اللغوي وتتأثر بعوامل نفسية واجتماعية أو ثقافية وأهم هذه الخصائص الطبيعة العقلية.

وبهذا يشيرون إلى مرحلة نظم اللغة إذ يجعل الكلام فكرة ثم مرحلة تنظيم هذه الأفكار ثم التعبير عنها بالكلام المركب من الأصوات، فالكلمات فالجمل يعبر بها عن المعنى وهذه في ذاتها درجة من التجديد تتناسب مع النحو العقلي المطرد؛ إذ إن إقامة الجملة تعتمد على تجديد علائقى بين طرفين سماهما المناطقة (الموضوع والمحمول) وهما بعبارة النحاة المسند والمسند إليه، فالعلاقة بينهما ذهنية منطقية خالصة"[٣].

ولهذا فإن هنالك علاقة وثيقة بين علوم اللغة وعلم الدلالة

" إذا لا يمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع اللغة، فكما تستعين علوم اللغة بالدلالة للقيام بتحليلها؛ كذلك يحتاج علم الدلالة لأداء وظيفته إلى الاستعانة بهذه العلوم. ولكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية:

١/ ملاحظة الجانب الصوتي الذي بدوره يؤثر على المعنى، مثل: وضع صوت مكان آخر، وأيضاً النبر والتنغيم وغير ذلك وفي هذا يقول أحمد مختار: (إن المستمع إلى قوله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواعَ الملك: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ

---

(١) علم الدلالة العربي، د. فائز الداية، ص ٦.

(٢) اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، د/ سمير شريف دائرة المكتبة الوطنية الأردن، د.ت، ص ٢٥٧.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٥.

إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية ٧٤– ٧٥] فلا شك أن التنغيم في جملة (قالوا فما جزاء) بنغمة الاستفهام، وجملة من وجد في رحلة فهو جزاء بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف مضمونها ومحتواها.

٢/ ملاحظة جانب التركيب (الصرف) في الكلمة، وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها فلا يكفي في كلمة استغفر لبيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر)، بل لابد من أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة الوضعي ووزن الفعل يستفعل لأن (الألف والسين والتاء) تدل على الطلب وغير ذلك من الزوائد في الصيغ الصرفية." (١)

٣/ مراعاة الجانب النحوي أو الوظيفة النحوية لكل كلمة في الجملة، ولو لم يؤد مكان الكلمات في الجملة لتغيير وظيفي نحوي أو إلى تغير في المعنى ما كان هناك فرق بين قولك (طارد الكلبُ القطَ) و(طارد القطَ الكلبُ).

٤/ مراعاة المعنى المفرد لكل كلمة وهو ما يعرف بالمعنى المعجمي.

خلاصة القول في هذا المبحث: إن الكلمة دائماً إذا أطلقت تحمل عدة أنواع دلالية:

١. الدلالة الصوتية: تتمثل في النبر والتنغيم وما يطرأ على الصوت من تغييرات.

٢. الدلالة الصرفية: تتمثل في الصيغ الصرفية والبنية التحتية والتغيرات التي تحدث لجزء الكلمة.

٣. الدلالة النحوية وتتمثل في علاقة الكلمة وتدخل الجملة في صرفها وتركيبها.

٤. الدلالة المعجمية: تتمثل في استخدام المفردة في مجتمع معين.

بالإضافة إلى الدلالات الأخرى المصاحبة للغة أو اللفظ مثل الدلالة الثقافية وأثرها على المعنى وهي الدلالة التي ترتبط بحياة الشعوب والأمم وعاداتها وهذه

---

(١) علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٥٨.

الدلالة تفهم في إطار فكر الجماعة الذي تحكم بنظام في حدود وأعراف معينة مثل الأدب والتحية والترحيب والعقائد وغير ذلك من أنواع الثقافات.

أيضاً من الأشياء التي يجب مراعاتها في الجانب الدالي الدلالات غير اللغوية مثل الرموز والحركات والسلوك وهذه العناصر لها قيمة دلالية وقد جاءت في القرآن الكريم وأنها من الممكن أن تكون أداة تواصل في المجتمع وإن وكانت في نطاق ضيق".

أيضاً نجد أن علماء الغرب قد ناقشوا قضية الدلالة ما لها وما عليها، كأصحاب المذاهب البنيوية (structuralism) أمثال سوسير وتشومسكي وخاصة الأخير عندما تحدث عن البنية السطحية (Surface structure والبنية العميقة Deep structure) و دورهما في توليد الجمل والمعاني.

وهذا التأثير في الدراسات الدلالية أدى إلى تطور في الكلمة دلالة (Semantic) التي ظهرت لأول مرة في الإنجليزية في القرن السابع عشر في كتاب جون سبنسر ثم استعملها اللغوي الفرنسي مشيل بريل (M. Breal) ولكن ليش Leech يرى أن المصطلح ظهر لأول مرة سنة ١٩٠٠م في ترجمة بريل وهذا يحدد مصطلح تاريخ استعمال (الدلالة) كمصطلح لغوي وقد عرفها هياكاو (Hayakawe) بقوله: (الدلالة إنما في الأصل تعنى الدراسة التاريخية لتغير معنى الكلمة، ثم توسع هذا المصطلح عند علماء النفس والأنثروبولوجيا والفلسفة والاجتماع والبلاغة لأن هذه العلوم تقوم على بيان العلاقة بين الأسماء والمسميات أو بين الدال والمدلول.

أيضاً من الكتب التي أثارت الاهتمام (في البحث الدلالي) كتاب (معنى المعنى) (The meaning of the meaning) للغويين أو جدن وريتشاردز (Ogden and Richavds) وقد عرضا مشكلة المعنى من جوانب مختلفة وأوردوا فيه اثنين وعشرين تعريفاً للكلمة[١].

---

(١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الطبعة ١٩٥٥م، الناشر الأنجلو المصرية، ص ٢٢.

وكانت دراسة المعنى تقوم على بيان التفسير والتطور الذي يصيب المعنى عبر العصور وهو ما يعرف بالمنهج (التاريخي) ولكنه فرض في الدراسات اللغوية فرضاً وتقوم دراسة المعنى على بيان العلاقات المعنوية الثابتة.

ويعتبر اللغوي السويسري (دي سوير) رائداً في هذا الاتجاه فقد فرق بين الكلام واللغة ويعتبر دي سوير رائد الاتجاه البنيوي (Structuralism) في الدراسات اللغوية الحديثة فقد شبه اللفظ والمعني بالجسم الواحد الذي يتكون من روح وجسد، وبالماء الذي يتكون من أكسجين وهيدروجين فهو يشير إلى عدم الفصل بين (الدال والمدلول) أو بين (اللفظ والمعنى) وأن اللغة ليست لغة بدون تواجد وهذه هي الثنائية (أي الدال والمدلول)[1].

(١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص٢٤.

الفصل الأول

الدلالة الصوتية

المبحث الأول: **التعريف بعلم الصوت**.

المبحث الثاني: **أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني**.

المبحث الأول

الدلالة الصوتية: (Phonetic - Semantic):

التعريف بأهمية الدلالة الصوتية:

" يعد علم الأصوات التشكيلي اليوم من أبزر الدراسات الصوتية، إذ يتناول بالدرس أصوات اللغة: وهي في شكل نسق بنائي يكوّن كلمات منطوقة دالة على المعنى، وهذه الكلمات والعبارات والجمل قد تختلف دلالتها على وفق الطريقة التي تُنطق أو تُؤَدى بها تنغيماً برفع الصوت، أو خفضه، أو نبراً على مقطع من ذلك التركيب دون غيره" (١).

"وعلم الأصوات، علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة، فهو فرع من علم اللغة العام ، ويتميز عن غيره من فروع اللغة؛ بأنه يُعنى بجانبها المنطوق فقط، كما يعنى بأدق وأصغر الوحدات الدلالية في اللغة، والأصوات أصل طبيعة اللغة، والكتابة لاحقة لها، وهي رمز للصوت وتجسد مادي له، وتنقسم أصوات اللغة إلى نوعين هما: (الصوامت، والصوائت) فالصوامت هي الأصوات التي تتعلق بمخرج معين يتعرض الهواء الصادر من الحنجرة حين أداء الصوت المراد اختياره، ويشكل هذا النوع معظم أصوات العربية، ويمثله جميع أصوات العربية عدا الحركات القصيرة، Short Vowels، (الفتحة، الضمة، الكسرة) والحركات الطويلة (Long Vowels , أصوات المد الساكن (الألف، الواو،الياء).

أما الأصوات الصائتة هي: التي لا يعترضها عضو من أعضاء النطق، تنطق بمخرج صوتي يثني النفس (الهواء الصادر من الحنجرة) عن امتداده، فيكون الصوت أثناء النطق به ممتداً حراً لا يعوقه عائق حتى ينفذ، ويمثل هذا النوع أصوات المد أو اللين أو العلة (الألف، الواو، الياء حال سكون الواو والياء) وتعد الحركات القصيرة أبعاض هذه الأصوات، أو جزء منها، لكنها لا تبلغ مقدارها من ناحية الطول وكم

---

(١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر استاذ اللغويات بجامعة اليرموك وعميد كلية الدراسات اللغوية والأدبية، الناشر عالم الكتاب الحديث ، ط ١ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٨م الأردن، ص٥٢.

الهواء المندفع وهذان النوعان (الصوامت، والصوائت) يشاركان في الدلالة أكثر من الحركات القصيرة" [١].

"والدلالة الصوتية تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية، والتي يرمز إليها بالحروف الألف بائية: (أ، ب، ت، ث،...) ويشكل منها مجموع حروف تأليف كلمات الجملة، وطريقة أدائها الصوتي، ومظاهر هذا الأداء، وتعد هذه العناصر أكثر إسهاماً في الدلالة من العناصر الصوتية الأخرى التي تصاحب الكلمة المفردة، ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأول، أو الصوت التركيبي (Simmental Phoneme)، وهو أصغر وحدة صوتية ويضمنون هذا القسم قسماً آخر سموه بالصوت فوق التركيبي (Semantically Phonemes)، وهو ملامح صوتية غير تركيبة مصاحبة له، تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع المعاني و مثلما نشارك فيه الأصوات التركيبية"[٢].

"والأصوات فوق التركيبية ليست بصوت رئيس، بل هو صوت ثانوي يصاحب الصوت الرئيسي، وتسمى العناصر الصوتية فوق التركيبية وتسمى أيضاً بالمصاحبات اللغوية (Pavalinauistic)، أو السمات اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي (Vocaber formance)، وهو ما يعرف بين اللغويين بالسلوك اللغوي Verbalbehavior، الذي يتمثل في دراسة بنية اللغة الصوتية وما يصاحبها من

---

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة صوتية صرفية نحوية معجمية محمود عكاشة ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م النشار دار النشر للجامعات ص ١٧.

(٢) يقول الدكتور محمود عكاشة: فقد اختلف العلماء حول الأصوات فوق التركيبية في اللغة العربية ،هل هي عناصر ثانوية كما قال علماء العرب ،أم هي عناصر صوتية أساسية مثلها مثل الأصوات القطعية، والتي تمثل في الصوامت Consonants، والصوائت Vowels، التي تتمثل في الحركات الأصوات اللين في اللغة العربية وهي تنقسم إلى حركات قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة، الحركات الطويلة هي: (الألف المد ، واو المد ، ياء المد) وأرى أن العناصر فوق التركيبية (النبر والتغيم والمفصل والطول) لا تدخل في تركيب أصوات الكلمة لأنها ليست صوتاً رئيسياً من أصواتها. انظر التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص١٨.

عناصر صوتية تشارك في الدلالة وتؤثر في المستمع، وتتمثل المصاحبات اللغوية أو السمات شبه اللغوية في ثلاثة أنواع:

١- السمات التحبيرية الصوتية Prosodic features، وهي تعرف بالتطور الصوتي Prosody، وهي التي تصاحب الكلام أو الخطاب المنطوق، وتتمثل في النبر، Stress، والتنغيم (tention)، والوقفات أو السكتات الكلامية، أو الفواصل Pauses، ومعدل الأداء الكلامي Tempo، ودرجة الصوت Pitch، وصفته وقوته (Volume).

٢- الأصوات الكلامية Non- Speech sounds أو الفضلات الصوتية Vocal segregates، مثل الضحك والبكاء والصراخ والتأوه والنحنحة والسعال وغير ذلك من الأصوات التي تصاحب الأداء الكلامي في الخطاب المنطوق، وتشارك في الدلالة أو يفهم المستمع منها معنى(١).

٣- الأصوات غير الإنسانية Non- human sounds مثل أصوات الحيوانات ومظاهر الطبيعة مثل: الرياح وأصوات الكهوف وحفيف الهواء بالأشجار وغير ذلك بالإضافة إلى الأصوات الصناعية مثل أصوات الآلات والأجراس والأبواق التي تستخدم للدلالة على معان معينة(٢).

ورأى الباحث أن يقوم بدراسة النوع الأول لارتباطه الوثيق بالحدث الكلامي واشتراكه في الأداء الدلالي بصفة أكبر وأوضح من النوعين الآخرين.

"ويعد ابن جني(٣) رائد دراسة الدلالة الصوتية قبل أن يتوسع فيه علم اللغة الحديث، فقد اكتشف ابن جني وجود صلة بين بعض لأصوات وبين ما ترمز إليه، وأول ما حداه بهذا الاكتشاف تسمية بعض الأشياء بأصواتها وذهب ابن جني إلى أبعد من هذا وهو دلالة الصوت (الفونيم) في الكلمة على المعنى، وقد رأى بعض المحدثين أن هذا الرأي تَمَعْر، وبعضهم حبذ هذا الوجه ودعا إلى التوسع فيه، ولكن

---

(١)الدلالة الصوتية: د. كريم زكي حسام الدين، ص١٧.

(٢) التحليل اللغوي: في ضوء علم الدلالة ، د. محمود عكاشة. ص٢٠.

(٣) ابن جني: هو عثمان ابن جني الموصلي من الموصل أبوالفتح من أئمة الأدب والنحو توفى ٣٠٩هـ من أهم مؤلفاته المحتسب في القراءات، وسر صناعة الإعراب، والخصائص، انظر: الأعلام للزركلي، ٢٠٤/٤.

ابن جني لم ير هذا الرأي مطلقاً بل خص به بعض الأصوات في بعض الأبنية، وأنه بناه على ملاحظته الشخصية ولم ينقله من غيره" [1].

"قال ومن طرق ما مر بِّي في هذه اللغة التي لا تكاد يعلم بُعدها ولا يحاط بقاصيها، ازدحام الدال، والتاء، والطاء،الراء، واللام،والنون. وإذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوها"[2].

"واحتج ابن جني لما رآه من دلالة هذه الأصوات على الوهن الضعف بكلمات وردت فيها مثل: الدالف للشيخ الضعيف،والشيء التالف، الطليف، والتطليف المجان وليست له عصمة الثمن،...الخ. ومثل الفارط أي المتقدم المنفرد، ومثل: الفتور الضعيف، الرفت الكسر"[3]. وغير ذلك من الأصوات التي جاءت فيها أصوات الدال، والتاء، والفاء، أو الراء، اللام، أو النون، مع صوت الفاء، الذي جاء قسيماً لهذه الأصوات في بعض الكلمات للدلالة على الوهن والضعف.

ورأى ابن جني أن هناك أصواتاً أقوى في المعنى من غيرها: وكذلك لها دلالة تميزها عن قيمتها في معظم الأصوات مثل قضم، وخضم، وفقضم، تستخدم في اليابس وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف و ضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف وغير ذلك من الأمثلة.

ولم يقض ابن جني بحتمية هذا الرأي بل طرحه أمام العلماء ليبحثوه، فقد أنهى أطروحته هذه بقوله": "الآن قد آنَسْتُك بمذهب القوم وأوقفتك على طريقه وأبديت لك مكنونه، وبقى عليك أنت التنبه لأمثاله، وإنعام الفحص، فإنني إن زدت على هذا مللت وأمللت ولو شئت لكتبت من مثله أوراقاً"[4].

وقد توسع ابن جني في هذا لبحث، فبحث دلالة الأصوات كوحدات مستقلة، ودرس الكلمات المتشابهة صوتياً والعلاقات الدلالية التي قد تنشأ نتيجة اشتراكها في

---

(١) التحليل اللغوي، د. محمود عكاشة، ص٢١.

(٢) الخصائص لابن الجني، ط٢، الناشر عالم الكتاب بيروت، ١٠٨/٢.

(٣) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص٢١.

(٤) المرجع السابق، ص٢٢.

معظم الأصوات، أو تقارب الأصوات، وتختلف في تركيبها مثل جبذ وجذب وهو ما أطلق عليه اسم الإشتقاق الأكبر الذي يقوم على تقليب الأصوات(١).

"وتجئ أصوات الكلام الصامتة والصائتة في نسق متعارف عليه عند أهل اللغة، وكل صوت منها يقابل الأخر؛ أي له وظيفة تختلف عن غيره؛ غير أن الملاحظ أن الكلام ليس مجرد أصوات قطعية يتبع بعضها بعضاً، بل يتضمن شيئاً أضافياً، وهو يمكن تسميته بموسيقى الكلام، فهناك طبقة صوتية تنتهي بها الجملة، ويعرف منها ما إذا كانت استفهامية أم تقريرية، وهناك وقفات بين أجزاء الكلام تفيد السامع في معرفة المعنى ويدل كذلك موقع النبر في الكلمة أو الجملة على معنى، وهذه الظواهر الصوتية التي تصحب الكلام، تسمى الأصوات فوق القطعية، وتتمثل في النبر والوقفة ونمط التنغيم وطبقة الصوت، ومن هذه الملامح أيضاً علو الصوت الذي يدل غالباً على الغضب ومعدل السرعة في الأداء النص يرتبط بمعاني الإلحاح أو الانفعال أو التأكيد أو التروي وغير ذلك من الأمثلة"(٢).

"وقد قام علماء اللغة بدراسة هذه العناصر في عربيتنا فاختلفوا في وقوعها فيها كما اختفوا في موقف القدماء منها، وترجع أسباب الخلاف إلى أن علم اللغة الحديث

---

(١) وفي ذلك يقول د. محمود عكاشة ، قامت الدراسة اللغوية الحديثة ببحث دلالة الحرف أو الصوت في الكلمة، وهي الدراسة التي سبق إليها ابن جني وقد اختلف علماء العربية المحدثون حول طبيعة هذا البحث فبعضهم يرى أن ما ذهب إليه ابن جني من التكليف الذي لا يقوم على أساس واضح ، ويعد مبالغة ويرى فريقٌ آخر أن هذا البحث يعد خطوة متقدمة في مجال البحث الصوتي سبقت الدراسات الغربية الحديثة، ويدعون إلى التوسع فيها وتعميقها في البحث اللغوي العربي، وفي ذلك يقول الدكتور عكاشة (ونحن نميل إلى الفريق الآخر لما وجدناه من أمثلة بيّنة احتج بها ابن جني من القرآن الكريم واللغة وشواهد واضحة في ذلك والفروق الدلالية ، ولكنها لا تعم جميع اللغة ويوافق الباحث الرأي الأخير أيضاً لما فيه من الشواهد التي تؤيد هذا البحث بالنسبة لابن جني، انظر: التحليل اللغوي، ص٢٤.

(٢) كتاب الأصوات اللغوية الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو ١٩٩٠م ص٢٤ ، وفي ذلك إشارة إلى أن وجود النبر أحياناً يوثر في ذلك بسقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر فقد دلت الملاحظة مثلاً ، على أنه إذا توالى في اللغات السامية مقطعان قصيران أولهما منبور فإن حركة المقطع الثاني تسقط في الكلام، ففي العربية مثلاً يقال كثيراً (وهْو) بدلاً من (وهُو) و(مَعْه) بدلاً من (مَعَهُ) ، فليذهب بدلاً من (فليذهب) (ويدكر) الناتجة بحسب قانون المماثلة من (يتذكر) بدلاً من يتذكر.
وسقوط حركة لام الأمر الداخلة على المضارع عند اتصالها بالفاء أو الواو أمر لازم في قراءة القرآن الكريم فلم ترد الصورة الأصلية للظاهرة في أية قراءة قرآنية ، ويقول ابن خالوية فلو قرأ قارئ (فلينظر الإنسان) بكسر اللام فكان سائغاً في العربية غير أنه لا يقرأ به إذ لم يتقدم به أمام، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية إعراب ثلاثين سورة في القرآن الكريم، ابن خالويه، ص٤٢.

نشأ في الغرب واتخذ لنفسه اصطلاحات حديثة، وقد لا توجد عند علمائنا القدماء، واتخذ البحث الحديث لنفسه مناهج وأسساً تقوم على التخصيص والتفريع بينما درس القدماء اللغة عامة فتداخلت الموضوعات، ولم يضعوا حدوداً فاصلة بين بعض الفروع إلا في مرحلة تلت اكتشاف علم اللغة الحديث"[١].

لذا نجد أن علماء العربية وخاصة القدماء منهم اختلفوا في قضية النبر في العربية ومنهم المستشرقون الذين يرون "أن نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى نحاة العرب بل لم نجد له اسما في سائر مصطلحاتهم"[٢].

ويرى الباحث أن كلامهم صحيحٌ إلى حد ما في الناحية النظرية خاصة في جانب التعريف والتوضيح في النبر كعنصر له دور في تفسير المعنى الدلالي أو حتى يساعد على اكتشافه، أما علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئياً، وذلك في حالة واحدة حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة) – وهذه الحالة تدع رغم ذلك دوراً ثانوياً للنبر.

وقال بعضهم: "إن دراسة النبر ودراسة التنغيم في اللغة العربية تتطلب شيئاً من المجازفة؛ لأنها لم تعرف من قبل ذلك، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً عن هاتين الناحيتين"[٣].

---

(١) التحليل اللغوي، محمود عكاشة، ص٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٢٥.

ويقول محمود عكاشة: "إنه من الصعب التعرف على المصطلحات الحديثة مثل النبر والتنغيم في ترثنا، لكننا لا ننكر وجود هذه المصطلحات في مسميات أخرى في كتب القراءة وكتب النحو والصرف المعاجم والبلاغة وشروح الشعر والكتب التي تناولت الخطابة و تناولت الموضوعات التي ترتبط بعملية الأداء"(١).

إلا أن محمود عكاشة قال في ذلك رداً على من أنكر هذا الموضوع:

"أن هذا الرأي فيه تجني على عربيتنا وجهود علمائنا في هذا المجال فقد توصل علماؤنا منذ وقت مبكر إلى أهمية العناصر الصوتية في الدلالة، وعلى رأس هؤلاء علماء القراءات الذين وضعوا قواعد دقيقة لقراءة النص القرآني حفاظاً على معانيه، ودلالته، غير مسبوقة في التراث العالمي، وأصبح للأصوات علم خاص بها في العربية ولم تعرف هذه الدارسات إلا في العصر الحديث، وإننا لا ننكر إن المصطلحات الحديثة مثل (الفونيم) والمقطع والنبر (Stress) و(التنغيم) درجة الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً، لم يستخدمها قدماؤنا على هذا النحو الحديث، لكننا نجدهم يدركون دلالة هذه العناصر في التأثير في المتلقي وعالجوا أثر الصوت في الدلالة ويفهم ذلك قول ابن جني: وقد حذفت الصفة ودلت عليها الحال، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب (سيبويه) من قولهم (سير عليه ليل) وهم يريدون (ليل طويل)، وكأنّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك إنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويع والتطريح، والتفخيم يقوم مقام قوله: طويل ونحو ذلك"(٢).

---

(١) لقد عالج أبو علي الفارسي هذه الموضوعات في كتابه الحجة الذي تناول فيه القراءات القرنية السبعة المشهورة، ثم أكمل تلميذه ابن جني هذا الموضوع بدراسة القراءات الشاذة، كما تناول الجاحظ هذه الموضوعات في البيان والتبيين.

(٢) التطريح هو رفع الصوت وعلوه أو طوله وارتفاعه ، التطويح يعني به تذبذب الصوت علواً وانخفاضاً واعتدالاً ويعني به مستوى قوة الصوت ومستويات الصوت جميعها من طوح به ذهب به هنا وهناك. والتفخيم منح الصوت قيمة صوتية أكثر مما هو عليه أو تغليظ الصوت في موضعه وهو ضد الإمالة: انظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص٢٧.

وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته،وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: (كان –والله– رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ (الله) وهذه الكلمة تتمكن في تمطيط الكلام وإطالة الصوت بها"[١].

إذن الدلالة الصوتية Phonetic-semantic هو ما يصاحب الصوت من ظواهر تطرأ على الكلمة أو الجملة من نبر وتنغيم وتفخيم وإيقاع وارتفاع، وانخفاض وغير ذلك من الصفات التي تطرأ على الكلام المنطوق، ويبدو أن هذه الظواهر لها دور وأثر على الدلالة، خاصة النبر والتنغيم ولذلك نريد أن نسلط الضوء على هاتين الظاهريتين ظاهرة النبر وظاهرة التنغيم.

أولاً: النبر (Stress):

"يقصد بالنبر القوة أو الجهد النسبي الممنوح لمقطع معين ليسمع أوضح من باقي المقاطع، أو هو وضوح نسبي للصوت أو المقطع إذا قورن بغيره من الأصوات المجاورة، فالنبر عبارة عن ارتفاع ملحوظ في درجة الصوت، في نطق مقطع من مقاطع الكلمة، فيميزه عن غيره من مقاطعها، فالنبر يتحقق من خلال المقاطع ويظهر من خلال الأداء الصوتي للكلمات في الخطاب المقروء، أو المنطوق، لهذا يرتبط بالدلالة السياقية" [٢].

"والنبر يرتبط بمقاطع الكلمة سواء كانت مستقلة أو في تركيب وهو يتفرع إلى نوعين:

أ/ نبر الكلمة

ب/ نبر الجملة.

أ/ نبر الكلمة:

هو النبر الذي يقع على مقطع من مقاطعها، وتتفاوت درجته حسب صفة النطق وتجاور المقاطع دلالتها على المعنى وقد رأى بعض علماء العربية أن فيها نبراً صرفياً يتعلق بالكلمة ونبراً سياقياً يتعلق بتركيب الجملة.

---

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة محمود عكاشة– ص٢٧.

(٢) لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال دار النشر للجامعات، د. محمود عكاشة، د.ت، ص٢.

ويمثل ذلك الجملة الآتية: (كيف حالك) تحتوي هذه الجملة على أربعة مقاطع تحمل أربع درجات من مستويات النبر فكلمة (كيف) تتكون من مقطعين (كيـ/ ف)= <ص ح ص> <ص ح>، نلاحظ أن المقطع الأول منها يتحمل نبراً أقوى من الواقع على المقطع الثاني، بل يمثل أعلى مستويات النبر في الجملة هو النبر الأول.

والمقطع الثاني يحمل النبر المتوسط، تتكون كلمة (حالك) من <حا/لك= <ص ح ح> <ص ح> <ص ح> الأول وهو المقطع الثالث في الجملة من النوع الطويل المفتوح، ويليه في الأداء درجة أقل من المقطع الأول ويمثل أعلى درجة من بعده من باقي المقاطع، ويسمى النبر الثانوي، والنبر الواقع على المقطع الأخير (لك) <ص ح> <ص ح> أقل درجان النبر قوة: في الجملة ولهذا يطلق عليه النبر الضعيف"(١).

وفي ذلك يقول الهادي نهر: في أهمية النبر ودوره في الدلالة "هناك نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات وهي التي نطلق عليها اسم الدلالة الصوتية ومن مظاهر هذه الدلالة الصوتية (النبر) فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعها من الكلمة فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل (أسماءً إذا كان النبر على المقطع الأول منها، فإذا انتقل إلى المقطع الأخر أصبحت (فعلاً) وتستعمل حينئذ استعمال الأفعال"(٢).

ب/ نبر الجملة:

"يعرف نبر الجملة عند بعض العلماء بالنبر السياقي أو ارتكاز الجملة (Sentence Stress) وهو النبر الذي يقع في الجمل وليس على الكلمات.

وهو النبر الذي يشارك في دلالة الجملة عن طريق سياق الأداء،وهو أيضاً يقع في نطاق مقاطع الكلمة، لكن دلالة التركيب تؤثر في موقعه من كلمات الجملة.

ويتمثل نبر الجملة في عنايتنا بنطق لفظ فيها أو حرف وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيداً من قوة الصوت في الأداء ليؤدي دوراً وظيفياً في التركيب ومن ثم يؤثر في دلالته، ويسهم في المعنى على النحو الآتي:

---

(١) التحليل اللغوي– د.محمود عكاشة–ص٤٤.

(٢) علم الدلالة د. الهادي نهر ص٤٦.

أ- التعريف بين معنى ونقيضه.

- هذا ما قتلته (الجملة منفية)

- هذا ما قتلته (الجملة مثبتة).

وقع النبر على (ما) في الجملة الأولى فأبرز دلالتها في التركيب فأعطيت معنى النفي، ووقع نبر الجملة في الجملة الثانية على(قتلت) فيدل على أن اسم موصول بمعنى الذي فأصبح معنى التركيب (هذا الذي قتلته) وقد شارك السياق الأدائي في تحقيق الدلالتين معاً[1].

ب- إظهار بعض الكلمات والأدوات في الجمل مثل:

أدوات الاستفهام، والنداء وأدوات النفي والنهي، فالنبر يقع عليها لإظهار وظيفتها في التركيب مثل:

(لا تخرج من هنا)، (لم يذاكر على دروسه)، (وما ذاكر على دروسه) هل ذاكر على دروسه. وقع النبر في هذه التراكيب على:

لا، ولم، ما، هل، يقع النبر في الجملة الشرطية على الأداة مثل: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [النساء ٧٨].

كما يقع النبر في الجملة الاستثنائية على الكلمات الطلبية أفعالاً وأسماءً، (توكل على الله) (حذار من السرعة) كما يقع أيضاً على أداة النداء لإظهار وظيفتها الدلالية مثل: (يا محمد)، (يا علي).

---

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة د. محمود عكاشة ص٤٠-٤١.

نجد أن النبر هنا وقع على كلمة (توكل) و(حذار من السرعة) لذلك لتدل على الطلبية في الأمر والنهي وكما وقع النبر في أداة النداء (يا)

ج- تحديد المعنى المراد والإخبار عنه، مثل (محمد في الدار) جواب السؤال (أين محمد) وقع النبر على الخبر؛ لأنه هو المستفهم عنه والمراد الإخبار عنه.

ويمكن الاستغناء عن المعنى المعروف عن الكلام السابق دون المعنى المستفهم عنه والدي وقع عليه النبر، أو المعنى المستفاد من الإخبار مثلاً إذا قيل: (من السارق)؟ الجواب: (عزيز) وأصل الكلام (السارق عزيز) كما يحدد نبر الجملة الظرف اللغوي الذي قيلت فيه الأدوات المستخدمة وصيغ الطلب"[١].

ويقول محمود عكاشة: "إن النبر في الجمل الإخبارية يقع حسبما تقتضي الدلالة أو المعنى المراد، مثل (نحن أبناء العروبة)؛ المراد الافتخار بالذات فوقع النبر على المبتدأ (نحن) ويقع النبر على الخبر للدلالة على تأكيد الانتماء القومي. وليس النبر وقفاً على المبتدأ في جميع التراكيب.

ويقع النبر في التركيب الفعلي الاختباري على الجزء المراد به المعنى مثل: (أكل محمد التفاح).

وقع النبر على المفعول به؛ التفاح لأنه المراد في الإخبار تنبيه ومثل: (قتل اليهود المصلين) المراد إثارة المشاعر والتنبيه إلى شناعة الفعل فوقع النبر على المفعول (المصلين)" [٢].

ويقع النبر في: (فتح عمرو بن العاص مصر) على الفاعل؛ لأنه المخصص بالإخبار وعندما يريد المتكلم تأكيد المعنى باستخدام الأداة يقع النبر على الأداة مثل: (ليبق كل في مكانه) (إن العلم نور)[٣] ويساهم نبر الجملة مع التنغيم في نقل دلالة

---

(١) التحليل اللغوي، محمود عكاشة، ص٥٣-٥٤.

(٢) لغة الخطاب السياسي ،الدكتور محمود عكاشة ، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء النظرية الاتصال، ص٤٨.

(٣) يطلق اسم النبر القوي Emphatic stress على النبر الذي يشارك في الدلالة على التأكيد والدلالة على الانفعال Emotional Stress، المرجع السابق، ص ٤٨.

الجملة الإخبارية التي تخلو من أداة الاستفهام إلى معنى الاستفهام (نجح محمد) التي تعني الاستخبار و(هل).

ويشارك السياق المقالي والحالي النبر في تحقيق الدلالة المقصودة"[١].

ولذلك عدوه واحداً من الفونيمات فوق التركيبة (Suprase-mentelphamemes) بالرغم من اشتراكه في تركيب البنية اللغوية واقتضائه لتحقيق طاقة وجهداً عضلياً، وجاء عن أبي زيد الأنصاري أنه قال:

"أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، ووقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قوم تميم إلا النبر – وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا" – وفي هذا تبيَّن أن النبر، وهو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب، وأن كليهما يتطلب نشاطاً متحداً من أعضاء النطق والرئتين وعضلات الصدر وأقصى الحنك والشفتين واللسان مما يؤدي إلى تعاظم مسافة السعة في الذبذبات الصوتية، وأن هذه الشدة والقوة بسياق نسبي، أي يعني أنها ليست حالة مطلقة، وإنما تقاس على أساس قوة التنفس في نطق شخص ما"[٢].

ويقول الهادي نهر في ذلك: "وقد عرفت العربية النبر وعبرت عنه بمسمياتها المختلفة، (الهمزة والعلو، الرفع) مطل الحركات الارتكاز الإشباع المد التوتر والتضعيف وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعاً للسياق وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي"

ومن ذلك قوله: "أكلت لحماً شاة أراد لحماً وشاة فمطل الفتحة ألفاً – وذكر أيضاً أن الحركات عند التذكر يمطلن، وذلك كقولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت (قمتاً) ومع الكسرة (قمتى)، والواو في قمتوا إذا علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والواو ضعف الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع من أجل تحقيق غرض قصدي"[٣].

---

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمد عكاشة ص٤٨.

(٢) علم اللسانيات الحديث، د. عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٣٠٤.

(٣) علم اللسانيات الحديث، ص٣٠٩.

وتتوقف وظيفة النبر على الدلالة التميزية، وهنا يمكن أن النبر سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التوجيه، إذا استطاع أن يحقق الغرض القصدي، ويعتبر من الملامح التميزية، أو التنوعات الصوتية التي تنوع الدلالة ويعتمد عليها السياق، وهذا لا يتحقق إلا في مواضع معينة.

إما إذا أخفق في توجيه الدلالة فشأنه شأن أي فونيم في اللغات الأخرى، إذا فقدت القوة والقدرة على التبادل الموقفي وللتباين الدلالي إنها تسقط، وتصبح شواخص تطريزية، ولذلك نجد أن العرب نظروا إلى التنغيم وعدوه جرس الكلام وحسن الصوت في القراءة وغيرها وقد وصفوه بأنه أحد عناصر تحديد المعنى، أيضاً فقد لفت النبر والتنغيم كثيراً من أصحاب كتب معاني القرآن وإعرابه في النص المعين،من ذلك قولهم بحذف الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴾[الأنعام: ٧٦]، على تقدير الهمزة الاستفهامية وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة، الآية١] وقوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء الآية ٢٢][(١)].

وفي ذلك يقول هادي: "فإن النبر عندهم عنصر من عناصر تحديد المعنى، فمن تلك الأمثلة قولك: (هل سافر أخوك أمس؟) فإذا نبر المتكلم على لفظ (سافر) فهذا يعني أنه ظنَّ أن حدث غير السفر قد تم، إذا نبر لفظ (أخوك) وهذا يعني أنه ربما شك في فاعل السفر.

ويتضح موقف العلماء العرب القدامى عن دور النبر في تحديد الدلالة في دراستهم البلاغية على وجه الخصوص وتوزيعهم الطلب إلى دلالات كثيرة، وتقسيم كل دلالة إلى معان إضافية تزاد على النمط اللغوي المعين، فعندهم أن لاستفهام يخرج إلى دلالات كثيرة، منها: الإنكار والتفجع، والتوجع، والاستغراب، والدهشة، والدعاء، وغير ذلك مما أفاضوا فيها نظيراً وتطبيقياً" [(٢)].

كما يوجد نبر آخر يسمى النبر الصرفي.

"ويعرف بنبر الصيغة لتعلق النبر بها، فالنبر الصرفي يختص بالميزان الصرفي أو بنية الكلمة.

---

(١) علم الدلالة د. هادي نهر، ص٥٢-٥٣.

(٢)علم اللسانيات الحديث، ص٥٤.

مثال ذلك: بناء فاعل ينبر المقطع الأول منه وهو (فا) (ص ح ح) لإظهار بناء الصيغة، وينبر كل ما جاء على هذا الوزن: قاتل، سارق نائم فيقع النبر على ما يقابل المقطع الأول في بناء (فاعل) و(مفعول) يقع النبر على العين مثل (مقتول، مضروب لإظهار صيغ المفعول، ويقع النبر على التاء في بناء (مستفعل) في مثل: مستدرك مستخرج)،ولهذا فإن النبر يعد فونماً في الكلمة؛ لأنه يؤدي وظيفة في دلالتها فبالتالي فهو يفرق بين نطق ونطق، وقد يبرز وظيفة عنصر من عناصرها في النطق، فاللغة العربية تلجأ إلى نبر ألف الاثنين في مثل كتبا استطاعا لإظهار وظيفة ألف الاثنين في الجملة وحتى لا يلتبس ذلك بصيغة الماضي استطاع (بالفتح والقصر) وقد دل نبر المقطع الأخير من الكلمتين على أن الفاعل هو ألف الاثنين)، ومثال ذلك في الأسماء مسلمو أوربا (كتابا محمد) ونلاحظ، النبر وقع على الواو وألف الاثنين، ولكنه لم يقع على المقطع الأخير في مثل: كتبو؛ لأن واو الجماعة أو الضم الطويل لا يلتبس بحركة الماضي (الفتح) في كتب، ولكن واو الجماعة تنبر في الأسماء مثل مسلمو أوربا ومعملي الجامعة وهذا يختلف عن النبر الواقع في كلمة ملتقى الذي يقع على التاء)، كما يرف النبر بين الدلالة الكلمات مثل(أسدَّ، وأسد كلمة (أسدَّ) من (السداد) وكلمة (أسد) اسم حيوان تتشابها عند الوقوف عليهما بالسكون لا يكادان يتميزان عن بعضهم البعض إلا بموضع النبر فالنبر في الأول في كلمة تنتهي بمقطع عنقودي يقع على المقطع الأِخير ويقع في الكلمة الثانية(علم الأسد المقطع الأول)[1].

(١) ينقسم النبر إلى نوعين: صرفي وهو الذي يختص ببنية الكلمة، ونبر سياقي، وهو الذي يقع على الجمل وليس على الكلمة (المفردة) وقد أطلق الدكتور السعران على الأخير ارتكاز الجملة Senten Stress ويوضح الدكتور محمود عكاشة النوع الأخير فيقول: أما أن يكون تأكيدياً أي رفعة الهواء أقوى وأعلى من التقريري وأما أن يكون تقريرياً وهذان وصفان لا يمكن أن نصف بهما نبراً الصفة وأي مقطع في المجموعة الكلامية سواء كان في وسطها أو في آخرها صالح؛ لأن يقع عليه مثل هذا النبر، والمسافة بين كل نبر في الكلام المتصل متساوية ، وهذا ما يسمى بالإيقاع، انظر: منهج البحث في اللغة، محمود عكاش، مكتبة الأنجلو، ط١٩٥٥م، ص١٦٠-١٦٢.

المبحث الثاني

أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني

كما ذكرنا آنفاً، "إنّ علم الأصوات الوظيفي هو العلم الذي ينظر في جهاز التواصل اللساني،وتندرج تحته قضايا صوتية هامة فمن تلك القضايا:

مثل الفونيم، المقطع الصوتي، النبر والتنغيم[1]، لذا رأى الباحث أن يأخذ هذه العناصر الأساسية ويطبقها على نماذج من الآيات، وذلك إيماناً منه بدور تلك العناصر التي تؤديه داخل دلالة النص القرآني، وإسهامها الفعال في الدلالة المرجوة من النص اللغوي".

أولاً: دور الفونيم في التفريق بين المعاني:

الفونيم كما عرفه علماء اللغة، "هو أصغر وحدة صوتية تتغير به معنى الكلمة إذا استبدلت بوحدة أخرى وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في ذاته إذاً الفونيم هو وحدة صوتية قادرة على التفريق بين المعاني"[2]. وإليك بعض الأمثلة التي توضح لنا دور الفونيم في التفريق بين المعاني للكلمة الواحدة وذلك من خلال تغيير الشكل أو الزيادة والنقصان في بنية الكلمة.

فمن تلك الأمثلة قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة، الآية ٣] هنالك قراءتان متواتران للقراء السبعة إحداهما ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بالألف وهي قراءة عاصم، الكسائي، والثانية (مَلِكِ) وهي قراءة السبعة"[3].

وإذا كانت القراءتان متواترتين فحري قبولهما، فنجد أن فونيم الألف، قد لعب دوراً هاماً في دلالة هذه الكلمة.

ويقول فيصل حسن نقلاً عن ابن جرير عند تفسير هذا الآية الكريمة للقراءتين قوله: (ومع انه أرشدنا إلى أن اختياره لأحدى القراءتين فضَّل في كتابه القراءات، فقد أطال النفس وأتم وأنجد وبلغ عن وجهة نظره مبلغاً عظيماً، إذ يقول وأولى التأولين

---

(١) مناهج في علم اللغة، د. حلمي، جامعة الشارقة، ط ٢٠٠٨م، ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٢٣.

(٣) الحجة للقراءات السبعة للفارسي، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠١م، ١٠٣/١.

وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ (ملِكِ) ويبدأ بإقامة الحجج على ما ذهب إليه.

فحجته الأولى أنّ (المُلك) بضم الميم الذي تدل على قراءة مِلك أعم من المالك (بكسر الميم) الذي تدل عليه قراءة (مالك) فكل مَلك مالك وليس كل مالك ملكاً وعلى هذا فقراءة مَلكِ هي الأحرى بالقبول والترجيح"[1].

الحجة الثانية "إنّ قراءة (مالك) ينبني عليها محظور يجل عنه القرآن، لذا فهي حرية بأن تكون مرجوحة لا راجحة ويفصل في ذلك حجته كما يلي: أنّ (مالك) معناها الرب قد تقدم في الآية الكريمة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ومن معاني كلمة الرب: المالك، وعلى هذا فتكون كلمة مالك قد ذكرت مرتين ذكرت بلفظها في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وذكرت في قوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهذا تكرار غير محمود في كتاب الله تعالى، إلا هنالك من اعترض على قول ابن جرير في قوله بالترجيح بين القراءتين ويتمثل هذا الإعتراض في الآتي:

إن قوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يعني عالم الدنيا وأن قوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ إنما يعني يوم القيامة وعلى هذا فلا تكرار في المعنى؛ لأنّ كلمة (مالك) التي ذكرت بلفظها أنبأت عن يوم القيامة وكلمة (مالك) التي ذكرت بمعناها تتحدث عن الدنيا.

إلا أن بن جرير يعترض ويقول: إن زعمت أن كلمة العالمين تدل على عالمي الدنيا فإن آخر سيقول: إن كلمة عالمين تدل على الذين كانوا في عهد النبي ﷺ خاصة.

ولما كان هذا غير جائز فقولك فيما زعمته أن العالمين يقصد بها عالم الدنيا غير جائز كذلك.

ويتصور ابن جرير اعتراضاً آخر وهو أن معنى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي مالك إقامة يوم الدين هذا الاعتراض كذلك، لأن الذين سيحييهم الله يوم القيامة هم الذين

---

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م، ص٢٥٥.

كانوا في الدنيا فكلمة (الرب) في الآية الأولى تغني عن كلمة (مالك) في هذه الآية الكريمة وعلى هذا فقراءة (مَلك) هي سيدة القراءتين"[1] .

إلا هنالك من اعترض على أقوال ابن جرير ورد عليه في الآتي:

"أولاً قولهم: لسنا معه في أن (الملك) بضم الميم أعم في الملك (بكسر الميم) فقد يكون أحدهما ولا يكون الآخر فبينهما عموم وخصوص من وجه".

ثانياً: ولسنا معه كذلك في كلمتي (رب ومالك) متساويتان فنحن مع من ينكرون الترادف في العربية ولاسيما في كتاب الله.

حتى لو كان هنالك ترادف فهاتان الكلمتان ليستا منه وأن استعمال كل من الكلمتين في موضعها يدل على ما يبينهما من فروق فكلمة (الرب) أعم من كلمة (مالك) فإنما تأتي كذلك بمعنى المصلح والسيد، ثم إن اشتراك الكلمتين في الدلالة على (الملك) لا يدل على ترادفهما، فكلمة (الرب) إنما تدل على ملك، وما كان ذا بال وأهمية ألا تراهم يقولون ربات الحجول ورب السيف ورب القلم ولا يعنون به بالطبع الذي يملك قلم رصاص فكم من مالك مائة قلم ومائة سيف ولكن لا يقال له رب السيف ولا رب القلم: كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٥٠] وعلى هذه فكلمة (مالك) يقيناً لا تتساوى مع كلمة (رب).

والذي ندين به ونلقى الله عليه كلا القراءتين صحيحة أداءً ومعنى ولكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز وبيان ذلك: إنّ الناس في هذه الدنيا يفرقون بين أمرين اثنين وهذان الأمران هما غاية كثير من الناس وبأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم فإنما لله وحده ملك يوم الدين وصاحب السلطان لا سلطان لأحد غيره وهذا ما ترشد إليه القراءة الأولى ملك يوم الدين، وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شئون الناس والكون، وهو الذي يملك كل شيء وهو الغني الحميد وهذا ما ترشد إليه القراءة الثانية (مالك) [2].

---

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن، ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٨.

"ولكل من القراءتين شاهد وسند من كتاب الله فقراءة (ملك) يشهد بها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۖ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر ١٦].

ويشهد لقراءة (مالك) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩] وبعد هذا كله فلا ينبغي أن نفاضل بين هاتين القراءتين فإن لكل منهما معنى أرشدت إليه من جهة كما إن لكلا القراءتين شاهدٌ من كتاب الله تعالى من جهة.

فكلتا القراءتين إذن تدل على معنى مستقل عن الآخر وكل من المعنيين لابد منه في بيان اليوم الآخر ولقد أحسن صنعاً أبو حيان –رحمه الله تعالى– فبعد أن ذكر القراءات في الآية الكريمة بين أن الأصل واحد وإن كانت الصيغ تختلف من حيث المعنى"[(١)].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة ٣٦].

قراء جمهور (أزلّهما) بتشديد اللام، وقرأ حمزة من السبعة (أزالهما)[(٢)] بألف من الإزالة، ومعنى القراءة الأولى أي: جعلهما يزلّان ويقعان في الزلّة والخطيئة فالهمزة للتعدية كما يقول أبوحيان، ومعنى القراءة الثانية أزالهما أي نحّاهما وأبعدهما والقراءة الأولى تتفق مع قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۙ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران ١٥٥].

والقراءة الثانية يدل عليها قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف ٢٧].

---

(١) القراءة القرآنية وما يتعلق بها، فيصل حسن، ص ٢٢٩.

(٢) النشر في القراءات العشر، ص ٢١١.

والذين أبوا إلّا أن يرجحوا بين القراءات المتواترة ذهبوا إلى ترجيح القراءة الأولى وإن اختلفوا في سبب هذا الترجيح فبينوا سبب الترجيح في ذلك بقولهم: "فعلة من قرأ بغير ألف الإجماع في قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[آل عمران ١٥٥]. أي أكسبهم الزلة فليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخال الإنسان في الزلل فيكون ذلك سبباً إلى زاوله من مكان إلى مكان بذنبه ويقوي ذلك أنه قال في موضع آخر: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف ٢٠] فالوسوسة هنا ليس بإزالتها من مكان إلى مكان وإنما هي تزيين فعل المعصية وهي الزلة لا إزالة وأيضاً قد يحتمل أن يكون معنى (فأزلهما) من: زل عن المكان إذا تنحى عنه فيكون في المعنى كقراءة من قرأ بألف من الزوال.

والاختيار للقراءة بغير ألف لما ذكرنا من العلة، ولأنه قد يكون بمعنى فأزلهما فيتفق معنى القراءتين ولأنه إجماع من القراءة غير حمزة، ولأنه مروي عن ابن عباس(١).

فقد بدا من خلال ما سبق دور الوحدة الصوتية فونيم (الألف) في تغير معنى الكلمة وذلك من خلال القراءتين كما نجد لكلي القراءتين ما يؤيدهما في دعم معناها، لذا يجب علينا أن لا نغفل دور هذا الفونيم الذي هو أساس في اختلاف القُرَّاء بينهم والمفسرون والنحاة من جهة أخرى.

ونقل عن ابن جرير في القراءة الثانية (فأزلهما) على أن أولى القراءتين بالصواب وقراءة من قرأ (فأزلهما) لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه وذلك هو معنى قوله: (فأزالهما) فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج – أن يقال ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا

(١) القراءات القرآنية، ما يتعلق بها، فيصل حسن، ص٢٢٨.

كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فيكون كقوله فأزالهما الشيطان عنها فأزلهما مما كانا فيه.

وقراءة أزال كما يرى بن جرير إذن يلزم عليها تكرار ينبغي أن نحيد الآية الكريمة عنه، ولو أن غير ابن جرير قال هذا لكان له عذر في أنه ليس ملماً بأساليب العرب كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره فما كان له وما كنا نرضى منه أن يذهب هذا المذهب، وأساليب العرب شاهدة على أنّ هذا الفاء العاطفة قد تأتي للتفصيل والتفريغ"[1].

الآية الرابعة: قوله تعالى:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران ١٧٨].

"قرأ عاصم والكسائي بالتاء وقرأ الباقون بالياء"[2].

"وهذا يدل على أمرين اثنين:

أولاً: أن القراءة سنة متبعة لا مجال فيها لاجتهاد الناس ولا مكان فيها لرأي فرد أو جماعة.

ثانياً: ذكر البيانيون والبلاغيون أسلوب الالتفات في ذلك، وإن خلاصة القول أنه نوع من الالتفات أي انتقال من تكلم إلى الغيبة أو الخطاب إلى الغيبة والغرض منها لفت النفس وتوجيه ذهن المخاطب إلى ما يوجه إليه ويلقي إليه، وهذا هدف عام للالتفات.

ولكن هناك هدفاً خاصاً لكل التفات على حده:

ولقد أشار الزمخشري في كشافة إلى شيء من هذا في سورة الفاتحة عند قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ والحق أنّ دراسة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى تفتح أبواباً في أسرار القرآن وإعجازه، فقد يكون الالتفاف انتقالاً من الخطاب إلى الغيبة ويكون الغرض منه تصنيف أولئك المخاطبين والإعراض عنهم، كأنهم ليسو أهلاً للخطاب كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

---

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٢) الحجة في القراءات السبع للفارسي، ٥٥/٢.

[الملك ١٨] وقوله ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك ١٦-١٧]

وقد يكون انتقالاً من الغيبة إلى الخطاب وغرضه التضييق على المخاطبين وإلزامهم الحجة بحيث لا يدع لهم فرصة ولا يبق لهم طريقاً لمهرب وذلك مثل قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك ٢٠] بعد قوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك ١٩].

ولو أن هذه الآية جاءت بأسلوب الغيبة هذا أي ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ ما كان فيه هذا الإلزام ولكن الأسلوب الخطابي فيه تقريع وإلزام بالإجابة على السؤال الموجبة إليهم.

ولذا فإن الآيات التي وردت تارة بأسلوب الغيبة وتارة بأسلوب الخطاب يمكن أن نضعهما على هذا التوجيه البياني لكل أسلوب"[1].

وهذا الحديث يجرنا إلى أن اللغة متكاملة لابد من أن يصحبها كل باحث أي أن اللغة العربية لا يمكن أن نأخذ النحو دون الصرف ولا الصرف والنحو دون البلاغة وعلم اللغة وغيرها من العلوم التي لها علاقة الأداء والكلام من سياق لغوي وتاريخي وسلوكي.... الخ. ففيها إلزام لهم فالدلالة الصوتية هنا تظهر في تغيير حرفي المضارعة (التاء والياء) فوضع فونيم المخاطبة في موضع فونيم الغيبة يؤدي إلى تغيير دلالي واضح في سياق الجملة برمتها.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ١٦٢].

---

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، فيصل حسن، ص٢٩٢-٢٩٣.

"وردت (وَٱلْمُقِيمِينَ) منصوبة وهي ضمن نسق مرفوع ما قبلها وما بعده"[1].

وهنا يظهر أثر الفونيم الصوتي الذي يعتبر أصغر وحدة صوتية ذات قيمة دلالية واضحاً وجلياً في تنوع النص القرآني، وهذا الفونيم وهي حرف (الياء) فقد دار خلاف عميق بين علماء القرآن الذين يقولون أنه من خطأ الكتاب أو لحن وقع، وبين النحاة الذين يؤولون في ذلك النصب وجوهاً عدة وهي (الياء) الناصبة لجمع المذكر السالم والتي هي سبب هذا الخلاف بين علماء القرآن أنفسهم من جهة وبينهم وبين علماء العربية من جهة أخرى. وهنالك من أثر بتأملات، فمن تلك التأملات قولهم: "ومن تأمل الآية الكريمة يجد فيها استثناء من الله سبحانه لمن هذه صفتهم من أهل الكتاب من اليهود والذين رسخوا في العلم وآمنوا بالقرآن فقادهم هذا الرسوخ إلى الإيمان بالدين كله، فجاء عميقاً راسخاً لا سطحياً"[2].

مما أعطى الآية الكريمة بعداً رجحياً في الثناء عليهم ومدهم بورود (لكن) التي دخلت بين نقيضين وجزئهما وهما الكافرون والعذاب الأليم، والمؤمنون والأجر العظيم، فلما طال الكلام نصب (وَٱلْمُقِيمِينَ) وقيل أن العرب تخرج من الرفع إلى النصب أذا كثر الكلام ثم تعود إلى الرفع على القطع، فيتحول التركيب كي تنشأ عنه جملة فعلية جديدة بفعل محذوف تقديره أعني المقيمين، أو مدح المقيمين ويعضد ذلك قوله سبحانه وتعالى: مرفوع على إضمار: هم المؤمنون؛ إذ لا يجوز أن يعطف على المرفوع الذي سبقه، لأن النعت إذا انقطع في شيء منه لم يعد ما بعده على إعراب المنعوت وهذا القطع جاء لبيان فضل الصلاة والزكاة، ومنهم من أنكر النصب في (وَٱلْمُقِيمِينَ) وعده مجرور بالعطف على قوله سبحانه وتعالى (بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ) بيد أن هذا الإعراب غير جائز لاختلاف المعنى، إذ التقدير يكون: ويؤمنون بالمقيمين وذهب آخرون مذهب الكسائي في الجر، ولكن بحجة العطف على الضمير في (إليك)، وهذا غير جائز أيضاً لكونه عطف مظهر على مضمر ولا

---

(١) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، ط ٢٠٠١م، عبدالعباس عبدالجاسم أحمد، المجمع الثقافي، أبو ظبي الأمارات العربية المتحدة، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١١٥.

يجوز، ومما جاء مؤيداً لنصب في قوله تعالى (وَٱلۡمُقِيمِينَ) ما ذهب إليه أهل التفسير من أن المعنى بذلك هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يخل شرع أحد منهم من الصلاة مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء ٧٣] (١).

ويرى آخرون أن سبب النصب نتج عن هذا التحول المعنوي في الكلام الذي صحبه تحول في الإعراب؛ لأن الله سبحانه لم يرد مجرد الإخبار في قوله، وإنما أراد الحث على إقامة الصلاة بوصفها عمود الدين فمدح المقيمين لها.

وبعض العرب يقول (الحمد لله ربّ العالمين) بفتح (ربَّ) أنها عربية ومثل ذلك قوله عز وجل ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[النساء: ١٦٢] (٢).

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[آل عمران ١٢٠].

"قرأ ابن كثير وأبي عمرو ونافع (لا يضِركم) بكسر الضاد وتخفيف الراء وقرأ الباقون (يضُرّكم) بضم الضاد وتشديد الراء"(٣).

يتجلى الدور الصوتي هنا في لقراءات التي ذكرت وذلك الاختلاف الدلالة التي تفهم من هذين الفونيمن فمن قرأ بضم، الضاد وتشديد الراء، (يَضُرُّكُمۡ)، وكسر الضاد وتخفيف الراء (يضُرْكم).

---

(١) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ، الناشر، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع د.ت، ٣٩٥/٣، وانظر الكشاف، ١-٥٨٢.

(٢) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، ص١١٣-١١٧.

(٣) الحجة في القراءات السبع، للفارسي ٣٦/٢.

"فمن قرأ (لا يضِرْكم) بضم الضاد وسكون الراء رد الفعل (يضركم) إلى: ضار، يضير، مثل باع يبيع، وهو مثل قوله تعالى في:﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَ ﴾ [الشعراء ٢٦]" (١).

وهذه القراءة موافقة للسياق النحوي، لأن جملة الفعل (يَضُرُّكُمۡ) بضم مع التشديد فيرى علماء المعاني في توجيهها– أنّ الفعل في قوله سبحانه (لَايَضُرُّكُمۡ) مجزوم لكن لتثقيل الحاصل في حركة الفعل أدى إلى التحريك بالرفع، وعدوه من ضرّ يضرّ لا من ضار يضير، لأن العرب تميل إلى (ضرّ) أكثر من (ضار) وهو كثير في القرآن الكريم كقوله سبحانه:﴿ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا ﴾ [المائدة ٧٦] وقوله سبحانه: ﴿ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف ١٨٨]، ولما كان في القرآن كثيراً فلا يتصرف عن شيء كثير منه، ويرى آخرون أنّ الفعل مجزوم وضم لالتقاء ساكنين، ذلك لأنه يشبه المرفوع، والضم ثقيل، والذين أكدوا الجزم أضمروا له الفاء، وقيل الإضمار حاصل للاضطرار ورد أنه ليس في القرآن اضطرار "(٢).

إذاً يتبين مما تقدم أن الآية يمكن أن تحمل توجيهاً آخر في الإعراب مبنياً على معنى يكاد يكون غير الذي ذهب إليه أغلب علماء المعاني والتأويل.

"فالآية الكريمة وما سبقها في الذكر الحكيم كانت في طلب الكف عن اتخاذ المشركين، والمنافقين من اليهود وغيرهم أخلاء كما كانوا عليه في الجاهلية، والنهي عن استمرار هذه المودة بما صدر عنهم من بغضاء ورغبتهم بوقوع المؤمنين في الشدة بإبعادهم عن دينهم وما خفي في صدورهم كان أعظم، وقد نبههم الله عن ذلك في قوله (ها أنتم أولاء) مقصود بها المنافقون) ولكن الله سبحانه أدخل الاطمئنان في قلوب المؤمنين بعد أن دعا على المنافقين بالموت الحاصل في غيظهم فلا ضير ولا ضرر مما يحصل فيهم من السوء الذي يقع عليهم لما أصابكم من خير أو الفرح مما حلّ فيكم من أذى ومكروه وهو أمر متوقع حصوله منهم فصبركم على ذلك وتقواكم ربكم وامتناعكم عن معاصيه وامتثال أوامره خيركم لكم من خوفكم كيدهم؛ لأن كيدهم

---

(١) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات القرآنية، عبد العباس، ص١٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٩.

مكر ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر ٤٣] وقد أكد سبحانه وتعالى في قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران ١٢٠]" (١).

ولذا فإن جواب الشرط في قوله سبحانه وتعالى: (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ) "محذوف، وتقديره إن تصبروا وتتقوا في كلام أحسن لكم لدلالة السياق وما سبقه في كلام اتضح الشرط، والجزاء حتى يكون التركيب الوارد في قوله: (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ) متسعاً لجميع مكايد المنافقين مهما تغيرت أشكالها وأزمانها وهو مما يكون في دلالة الجملة الفعلية وبه يكون رسوخ الإيمان في قلوب المؤمنين أشد وأقوى يصلب عود الصبر في نفوسهم، وحذف جواب الشرط في القرآن الكريم واردٌ حينما يكون السياق ملائماً كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس ١٩] أي أئن ذكرتم تطيرتم وقوله سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي فإن استعطت فأفعل"(٢).

فخلاصة القول في ذلك فإن (الضم والكسر) بالإضافة إلي التضعيف قد لعب دوراً مهماً في تنويع دلالة تلك الكلمة ولذا يبدو الرفع في (لا يضرُكم) يوحي بالتحول من الجزاء إلى الشرط لتثبيت الإيمان عند المسلمين وتقويته إذ أن الله تعالى أدرى وأعلم بالمؤمنين في عبادة وهو سبحانه محيطٌ بكل شيء "(٣).

الآية السابعة قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ

---

(١) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب، د. عبدالعباس، ص ٢٠٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحق إبراهيم المعروف بالزجاج، تحقيق د. عبد الجليل، دار الحديث للنشر، القاهرة، ط١٩٩٤م، ص٢٣٢١.

(٣) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، ص٢٠٢.

ٱلۡعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النساء: ١٩].

"قرأ حمزة، والكسائي وأبوبكر: (فإذا أحصَنَّ) بفتح الألف والصاد وقرأ الباقون: بضم الألف وفتح الصاد"(١)

ومن قرأ بالفتح في الألف وكسر الصاد أراد تزوجن جعلوهنّ مفعولات بإحصان أزواجهن:

وتأويله إذا أحصنهنّ أزواجهن ثم رد إلى ما لم يسم فاعله نظير قوله (ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ) بمعنى أنهن مفعولات وقد اختلفوا في جلد الأمة على مذاهب، فمذهب ابن عباس أنه لا تجلد الأمة إذا زنت حتى تتزوج وكان ابن مسعود يقول إذا أسلمت وزنت جلدت إن لم تتزوج.

والقراءة بالبناء للمفعول توجب الحد على المملوكة ذات الزوج دون الأيم في إجماع الجميع على وجوب الحد على المملوكة غير ذات الزوج.

وبهذا دليل على صحة من فتح الألف وأنهم لم يرفعوا الحد عن الأمة بالتزويج دون الإسلام وهم يريدون تهوين أمر الزنا بل يريدون إطلاق يد الإمام ليعاقبهما بما يردعهما، أما الحد فهو من خصائص المحصنات"(٢).

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ [النساء ١٩]

"قرأ حمزة والكسائي (كُرها) بالضم والباقون بفتحها" (٣).

---

(١) الحجة في القراءات السبع للفارسي، ص ٧٦/٢.

(٢) التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، الدكتور الهادي نهر أستاذ اللغويات في جامعة جدار الدارسات العليا، عالم الكتب الحديث الأردن، ط١ ٢٠٠٨، ص٦٣.

(٣) الحجة في القراءات السبع، للفارسي ٢/ ٧٣.

"فمن قرأ بالضم وهي المشقة وبالفتح الإجبار على الشيء؛ إذ أنّ تحريم ورثة النساء كَرهاً، أو كُرهاً فلا يحل إجبار الأرملة على نكاح من لا تريد ولا يحل إجبارها على ذلك بعد موت الزوج عنها ولو كان ذلك على شخص بعينه وهو مقتضى ما قرره اللغويون من الفرق بين الكره بالكسرة والكره بالضمة"(١).

وسواء أكانت القراءة بالفتح أو الضم فإن الدلالة مختلفة لاختلاف الصوتين الفتحة والضمة ويبدو دور الدلالة الصوتي واضحة من خلال هاتين القراءتين في تنوع المعنى المراد من النص.

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران ١١٩]

"الهاء للتنبيه أي على أن المخاطبين مخطئون في اتخاذهم بطانة ولذلك ليس المراد من ها ذا أنا أو أفعل وها أنت ذا تفعل للتفريق بل المراد استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور من المتكلم أو المخاطب فالجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الحال والإشارة للتحقير فاستعملتها ها هنا للتوبيخ أي كأنه أراد بهم ازدراء لظهور خطئهم في اتخاذ ذلك"(٢).

فالدلالة الصوتية هنا نجدها في كلمة (ها أنتم) حيث يشعر القارئ بنوع من التنبيه المشعر بالتحقير والتوبيخ وشناعة من يفعل ذلك إذ إن النبر في كلمة (ها أنتم) وهو نبر الكلمة حيث وقع عليها أكبر جهد من النطق المشعر بالإهانة والتحقير.

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ت ٢٤٤/٤.

(٢) المصدر السابق، ٢٤٤/٤.

تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة النساء ٢٠-٢١].

قوله (أَتَأْخُذُونَهُۥ) نجد أن النبر واضحٌ في "الهمزة أي الشيء الذي تأخذونه (بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) وهو استئناف مسبوق بتقرير النهي والاستفهام الإنكاري والتوبيخ، وقوله (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ)" [(١)].

فنجد نبرة قوية في كلمة (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ) وهو ما سمي بنبر الجمل وهو إنكار بعد إنكار.

"قد بولغ فيه كما في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة ٢٨] وقيل تعجب منه سبحانه وتعالى أي أخذكم له أمر عجيب، إلا أن في قوله (تَأْخُذُونَهُۥ) مفيدة لتأكيد التنكير وتقدير الاستبعاد أي على أي حال أو في تأخذونه والحال قد وقع منكم ما وقع"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء ٤١] ففي هذه الآية الكريمة: "تهويل وتضخيم وهو مستفاد من الاستفهام أو الفعل المعدي كما قرر صاحب الدر المصون والجار متعلق بما بعده أي: كل قليل وكثير يجازى عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون وكيف يكون حالهم يوم القيامة إذا جاءوا[(٣)].

الآية الحادية عشرة قوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ٨٠]

قوله (أَيَأْمُرُكُم) نجد أن النبر في كلمة (يَأْمُرَكُمْ) واضحٌ ذلك للاستفهام الإنكاري والواضح كما تنكر من شخص حكيم فعلاً لا ينبغي أن يقع فتقول له على سبيل

---

(١) روح المعاني الألوسي ٤/٤٣٢.

(٢) المصدر السابق، ٤/٤٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص٣٠٧.

الإنكار والاستغراق (أفعلت هذا) "ما كان ليزيد أن أكرمه ثم يهينني ويستخف بي" والمعنى أن رسول الله ﷺ كان ينهي قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والسميح، فلما قالوا له أنتخذك رباً قيل لهم ما كان بشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة وينهاكم عن عبادة الملائكة"[1].

فالنبر هنا وقع على أدوات الاستفهام كيف والهمزة لحملهما معنى الإنكار واستبعاد الفعل والنهي عنه.

الآية الثانية عشرة قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران ٢٠]

قوله (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ) ففي الآية الكريمة يتضمن الأمر أي هل انتم متبعون لي كما فعل المؤمنون، فإنه قد جاءكم من الآيات ما يوجبه ويقتضيه أم أنتم على كفرهم بآيات الله، وفي هذه الآية استفهام تقريري وفي ضمنه الأمر المضمر [2].

اختلاف المقاطع الصوتية وأثرها على المعنى:

تختلف أنواع المقاطع من لغة لأخرى، أي لكل لغة مقاطعها الخاصة بها، والطريقة، لتي تستخدمها بها، فالمقاطع الصوتية تنقسم عموماً إلى قسمين:

١- المقاطع المفتوحة.

٢- المقاطع المغلقة.

أ- المقطع المفتوح: هو الذي ينتهي بحركة طويلة أو حركة قصيرة نحو (ر/سَ/مَ) في (رسم)، والمقطع الطويل في كلمة (لا) و (ما).

ب- المقطع المنغلق وهو الذي ينتهي بحرف صامت أو حرفين والذي ينتهي بحرفين يسمى أحياناً مقطع مزدوج الإغلاق.

وانغلاق المقطع المديد المقفل بصامتين مثل (منْ) بالحرفين مثل (بنتْ).

---

(١) روح المعاني للألوسي، ٣٠٧/٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٨.

وعلى هذا فالمقاطع في اللغة العربية خمسة أقسام:

١- <صامت + حركة> نحو (قتل)(قَ/تَ/لَ) ويسمى المقطع القصير المفتوح.

٢- <صامت حركة صامت> (من) (عن) ويسمى المقطع الطويل المغلق بحركة قصيرة.

٣- <صامت حركة صامت صامت> نحو (بنت)، شعب، في حالة الوقف يسمى المقطع المقفل بصامتين.

٤- <ص ح ح> نحو (في) (ما) ويسمى مقطعاً طويلاً مفتوحاً.

٥- <ص ح ح+ ص> نحو (باب) يسمى مقطعاً طويلاً مديد مغفلاً بصامت.

٦- ص ح ح + ص + ص نحو (رادّ) ويسمى مقطعاً مديداً مغفلاً بصامتين.

وقد أهل الدكتور إبراهيم أنس المقطع السادس لندرته فذكر خمسة مقاطع وهي الشائعة في اللغة العربية"[١].

أهمية دراسة المقطع:

"يتضح مما سبق أن لدراسة نظام المقاطع فائدة كبيرة في معرفة الصيغ الجائزة والصيغ غير لجائزة في اللغة العربية المدروسة ففي اللغة العربية تعيننا على معرفة نسج الكلمة العربية ونسيج ما ليس بعربي من الكلمات كما تعيننا دراسة المقاطع الصوتية على موسيقى الشعر وموازينه".

وقد اختلف اللغويون في أهمية المقطع فبعضهم صرح بأنه لا أهمية له مثل (sweet) الذي قال: (إن القسم الوحيد الذي يتحقق في الكلام عملياً هو المجموعات النفسية التي تعود إلى الضرورة العضوية للنفس"، وعدّه بعض اللغويين غريباً على التحليل اللغوي لكن الدراسة التجريبية للعملية الكلامية أثبتت أنّ الصدر لا يواصل صنفاً ثابتاً خلال المجموعة النفسية وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع"[٢].

---

(١) ص = صامت، ح = حركة، ح ح حركة طويلة، انظر الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس، ص١٦٣.

(٢) علم اللغة العام، عبدالصبور شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٧م، ص١٧٤.

خصائص المقطع العربي:

"١- تميل اللغة العربية بطبيعتها إلى المقاطع الساكنة التي تنتهي بصوت ساكن ويقل فها توالي المقاطع المتحركة.

٢- من خصائص المقطع العربي أنه يجب أن يبدأ بصامت وينتهي بحركة أي أن المقطع العربية لا يبدأ إلا بحركة مهما يكون موقعه من الكلمة.

كما أن اللغة العربية شديدة الفرار من تجاور صوتين صامتين، ذلك ما نجده في فعل الأمر حيث اجتلبت له همزة وصل لتمكنه من النطق بالساكن".

كما نجد أن الفرد العربي أضاف همزة الوصل للكلمات الأعجمية حين ينطق بها فقال (افرنج) (اسطيل) (اسطول) [١]. ولأهمية هذه المقاطع ودورها في نسج الكلمة العربية أراد الباحث أن يأخذ نماذج من المقاطع الصوتية ذلك من خلال القراءات المختلفة، فمثلاً قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران ١٤٦] فنجد هناك قراءتين مختلفتين لفظاً ومعنىً وذلك بسبب اختلاف المقاطع الصوتية فيظهر من خلال هذه الكلمة دور المقطع الصوتي الذي هو يكاد يكون بمثابة الميزان في النظام النطقي، لكلمة (قتل).

ففي هذه الآية الكريمة نجد أنه يختلف معناها باختلاف المقطع الصوتي.

"فقد قرأ نافع وابن كثير والبصيريان بضم القاف وكسر التاء من غير ألف[٢] وهو مقطع قصير مفتوح (ق/ت/ل) <ص ح + ص ح + ص ح>، وقد قرأ الباقون بالألف (قاتل)".

وهو مقطع طويل مفتوح (قا/ ت ل) = <ص ح ح + ص ح ص>.

فقد اختلف النص القرآني بسبب هذين المقطعين اختلافاً بيناً.

فمن قرأ بالمقطع القصير (قتل)

---

(١) علم اللغة العام، عبدالصبور شاهين، ص ١٧٥.

(٢) الروايات الأربع السائد في العالم الإسلامي / د/ الأمين محمد احمد، ص١٨٦.

"وهو أسند الفعل إلى النبي ﷺدون الربيين ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾... ومن قرأ بالمقطع الطويل (قاتل) تحتمل وجهين:

١- إسناد الفعل للنبي ﷺ وجملة معه ربيون، مبتدأ وخبر صفة (نبي).

٢- إسناد الفعل للربيين وجملة (قاتل معه ربيون) صفة (نبيّ).

ففي هذا الوجه أن (ربيين) مرفوع (قتل) على المفعول الذي لم يسمى فاعله وعلى الوجه الأول مرفوع بالابتداء (ومعه) خبر مرفوع والجملة في الوجهين صفة للنبي" فقد بدأ دور المقطع جلياً في هذه الآية الكريمة من خلال المقطعين السابقين.

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النساء ٣٣]

"قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (عاقدت) بألف وقرأ حمزة وعاصم والكسائي (عقدت)[١].

نجد الاختلاف الدلالي بين المقطعين القصير والطويل واضحاً.

فمن قرأ بحذف الألف (عقدت) /ع/ق/ دت = <ص ح + ص ح + ص ح ص>. فعلى هذه القراءة (إنه أضاف الفعل إلى الإيمان، أن المراد إضافة الفعل إلى المخاطبين المتحالفين دون من خالفهم وفيه حذف مفعول، والتقدير والذين عقدت إيمانكم حلفهم ثم حذف محمول على لفظ الإيمان فأسند الفعل إليهما دون أصحاب الإيمان فلما أسند الفعل إلى الإيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المفاعلة؛ لأن يمين القوم الآخرون لا فعل لها فهذه القراءة محمولة على أصحاب الإيمان وهم فريقان كل واحد حالف محلوف فحمل على الفاعلة وهو باب المعاقدة بالإيمان، وقرأ الباقون بثبوت ألف (عاقدت) أي بالمقطع الطويل (عا/ق/د ت) = <ص ح ح+ ص ح + ص ح ص > جعلوه من المعاقدة وهي المحالفة في الجاهلية أي: أنه يواليه ويرثه ويقوم بثأره ويقوم بالوفاء لهم، فحسنت الألف هنا لأنها تجئ في بناء الاثنين،

---

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص١٨٦.

وهي الأقوى، ولأن المقصود بالآية أصحاب الإيمان لأن لا فعل ينسب إليهما حقيقة فباباه المفاعلة وهو عليه أكثر القراء"[1].

والآية الرابعة عشر قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء ١٢٨]

اختلف في ضم الياء وفتحها والتشديد من قوله جل وعز (أن يصلحا) فقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو (يصلحا) بفتح الياء والتشديد وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يصلحا بضم الياء والتخليف"[2].

"فمن قرأ يصلحا بضم الياء (يصلحا) وكسر اللام وذلك على المقطع القصير المفتوح (يص/ل/ح) = <ص ح ص + ص ح + ص ح ح> أي "على جعل الفعل مستقبل (أصلح، لأن الإصلاح في الصلح بين المتنازعين مستعمل كقوله تعالى: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء ١١٤]، وإتيان الصلح بعده ب، (يصلحا) نصب المفعول كما تقول (صلحت ثوباً) ويجوز أن تنصب على مصدر فعل مضمر على تقرير (أن يصلحا)".

وعلى القراءة بفتح(الياء)(والصاد) مشددة وإثبات الألف تلاوة وفتح اللام[3].

أي على المقطع الطويل أن (يصالحا)<ص ح ص + ص ح ح+ ص ح ح>.

"أي على جعل الفعل من اثنين من زوج وزوجة هما مذكوران في أول الكلام أتى الفعل من باب المفاعلة التي تثبت الاثنين فجاء على (تصالح الرجلان يتصالحا) وهو معروف في كلام العرب التصالح عند التنازع"[4].

---

(١) الحجة في القراءات السبع، للفارسي، تحقيق: عبدالحليم بخار، د.ت. ٢/٨٠.

(٢) المرجع السابق ٢/٨٥.

(٣) إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، ص٣١٦.

(٤) المرجع السابق ص ٣١٦.

الفصل الثاني

الدلالة الصرفية

المبحث الأول: التعريف بعلم الصرف وأهميته.

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني

المبحث الأول

الدلالة الصرفية: (Morphological- Semanticist)

التعريف بعلم الصرف وأهميته:

"الصرف، معناه التغير، والتغلب، والتحويل من جهة إلى أخرى، وفي الاصطلاح ما يلحق بنية الكلمة وجوهرها لمعرفة ما فيها من تغيرات عارضة طلباً لتكثير الألفاظ، ومن ثم تكثير الدلالات، وفقاً للتغيرات التي طرأت على اللفظ، وفي بعض الحالات يكون التغيير لا صلة له بالمعنى كما هو الحال في مسائل الحذف والإبدال والقلب والنقل والإعلال والإدغام وغير ذلك مما لا يتصل بضرب من ضروب المعاني"(١).

إذاً "علم الصرف (Morphology) هو العلم الذي تُعرف به الأبنية المختلفة للكلام، ويشتق منه كأبواب الفعل وتصريفه، وتصريف الاسم، وأصل بناء الفعل أو المصدر محل خلاف المصادر بأنواعها اسم الفاعل، واسم المفعول الصفة المشبهة وأفعل التفضيل اسمي الزمان والمكان واسم الآلة، والتصغير والنسب..الخ"(٢).

والنظام الصرفي في اللغة العربية الفصحى يبُنى على ثلاث دعائم هامة:

١- مجموعة من المعاني الصرفية التي ترجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الأخر إلى تصريف الصيغ.

٢- طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أو أدوات، قد يدل على المبني دلالة عدمية بالحذف، أو الإسناد، حيث تغني، القرينة في الحالتين عن الذكر.

٣- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني، وظائفه، أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

---

(١) علم الدلالة. د. هادي نهر، ص٥٥.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص٦١.

"وعلم الصرف هو العلم الذي يبحث في طرق بناء الكلمة وما يطرأ على هذا البناء من تغيرات لفظية ويبرز هذا التعريف المجالات التي يتناولها علم الصرف بالبحث والدراسة كما يبرز أهم خصائص هذا العلم وحاجة اللغة إليه فهو العلم الذي يكشف عن الطرق التي تنمي اللغة وتزودها بالمباني التي يندرج تحتها ما لا حصر له من الكلمات وهو يكشف عن الجانب الإبداعي الخلاق في اللغة"(١).

ولذلك فإن لكل بناء من تلك الأبنية التي أشرنا إليها، دلالة في المعنى، إلى جانب وظيفته التركيبية، وتحديد شكل البنية التي يقوم عليها المعنى المراد، فالمتكلم هو الذي يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية، بزيادة أو نقصان،أو نقل من زمان إلى زمان"(٢). أو تحويل في الصيغ الصرفية.

نجدهم مثلاً يتصرفون من "مفعول إلى فاعل والعدول من صيغة الماضي إلى الاستقبال. ووضع اسم الفاعل مقام المصدر قم قائماً أي قياماً وغير ذلك من الأمثلة".

لذلك فإن هناك نوعاً من الدلالة كما ذكرنا يستمد عن طريق الصيغ الصرفية وأبنيتها المختلفة، وأن أي تحول في الصيغة الصرفية يؤدي حتما إلى تغير في المحتوى الدلالي من خلال الإضافة الصوتية أو الحذف الذي يحل على تركيب الصيغة الصوتية،وهذا أمر ملموس بوضوح في أبنية الألفاظ.

"وقد تكون هذه الوحدة الصرفية جزءاً من كلمة قائمة بذاتها، وهو ما أطلق عليها (قندوس) (دوال الماهية) وسماها ابن جني (الدلالة الصناعية)"

وسماها الغربيون المورفيم (Morpheme)(٣).

ويقول عبدالقادر: "الصرف مورفيمات لها أسماء خاصة كالطلب، والصيرورة، والمطاوعة والتعدي واللزوم، والافتعال، والتكسير، والتصغير، والوقف وكذلك ما يتعلق بالأفعال وارتباطها بالأزمنة" (٤).

---

(١) علم اللسانيات الحديث، د. عبد القادر، ص١٥١.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص٦١.
فكلمة مثل (الضرب) تتصرف إلى وجوه مختلفة فيبنى للماضي منه ضرب وللحاضر (يضرب)والمستقبل سيضرب والأمر أضرب والنهي منه لا تضرب والفاعل ضارب للمفعول مضروب للموضع المِضرب وللوقت المَضرب للآلة المِضرب ولتكثير ضَّرب... الخ.

(٣) المدخل إلى علم اللغة رمضان عبدالتواب، الناشر مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٧هـ=١٩٩٧، ص١٧٩.

(٤) علم اللسانيات الحديث د. عبدالقادر، ص٢٦.

أهمية علم الصرف:

"علم الصرف هو الفرع من علم اللغة الذي يدرس تركيب المفردات اللغوية، وكيفية بنائها، وأنواعها المختلفة، لذلك هو يختلف من علم النحو الذي يبحث في بناء الجملة وأنواعها ووظائف مفرداتها.

"هو العلم الذي يبين لنا أن كلمة (حصان) (اسم) وكلمة (يركض) (فعل) وكلمت (في) (حرف).

ودراستنا لعلم الصرف هي الذي يدلنا على المفردات وجذورها ومشتقاها ولذلك نرى أن المورفيمات الصرفية كل ما أضيفت إلى بنية الكلمة أعطت دلالة غير التي قبلها فمثلاً: زيادة مورفيم (الألف) على الصيغة الصرفية نفسها فإنها تصبح (فاعلاً) وفي هذه دلالة جديدة أكسبها صوت الألف الصائت الطويل إلى الصيغة التي تدل على المشاركة في الفعل بين اثنين أو أكثر وليس من فعل واحد.

وأما إضافة المورفيم المقيد بدلالة التضعيف (فعَّل) فإنه يكسب الصيغة الدلالة على التكثير وقد تكون دلالة إيجاب أو دلالة سلب (مرّضتُ) الرجل مورفيم مقيد للسلب حمل لدلالة على السلبية وفي حين تضعيف مورفيمين مقيدين (تفعل) فإنهما يحملان دلالة التكثير المبالغ فيه"[1].

والنظام الصرفي في اللغة مكون من ثلاثة دعائم:

١/ يرجع القسم الأول إلى مجموعة المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى التقسيم كالاسمية والفعلية والحرفية.

٢/ يرجع القسم الثاني إلى التعريف، كالأفراد وفروعه والتذكير وفروعه، والتأنيث والجمع والتعريف والتنكير.

٣/ يرجع القسم الثالث إلى المقولات الصياغية الصرفية، كالطلب، المطاوعة، المبالغة، وغير ذلك من أنواع الصيغ الصرفية [2].

---

(١) علم اللسانيات الحديث، د. عبدالقادر، ص٥٢٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص١٤٦.

إذن يتضح لنا من خلال ما ذكرنا أن الصرف له أثر قوي في تغير المفردات وصياغة المفردات داخل الجملة مع تغير في المعنى الدلالي بالإضافة إلى تغيير البنية للكلمة، ونجد ذلك الأثر واضحاً في الأمثلة الآتية من القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سورة سبأ: ١٩] فقرئ (ربَّنا) بالنصب على أنه منادى مضاف (وباعد) بصيغة الأمر وقرئ (ربُّنا) بالرفع و(باعَدَ) بالفتح العين على أنه (فعل) ماضٍ وقرئ (بعَّد) بفتح العين مشددة مع رفع ربنا أيضاً"[١].

(كل هذا يدل على أهمية الصيغ الصرفية وأثرها في تغير المعنى وذلك من خلال الصناعة التي تطرأ على بنية الكلمة، ومن خلال هذه الآية الكريمة يمكن أن نقول ثمة علاقة وثيقة بين علم النحو والصرف.

"فكل جملة لا يتماشي نحوها مع صرفها، تصبح غير صحيحة؛ إلا أن الآثار اللغوية القديمة التي تناولت القضايا منتهجة في دراستها تكامل هذين العاملين، واعتماد بعضهما على بعض، وإنما استفاضت في معالجة القضايا الصرفية الجزئية التي تركز على الكلمات بوصفها ألفاظاً منزولة في التركيب، بغض النظر عن القواعد التي يمكن أن تستخلص منها لخدمة البحث في التركيب.

فالظواهر الصرفية التي يستفيد منها علم النحو في دراسته فهي تتمثل في الآتي:

١- ما تؤديه المورفيمات[٢] من وظائف نحوية عامة كانت أو خاصة.

٢- الضوابط الصرفية التي تعد ملامح أساسية لعدد من الوظائف النحوية.

٣- دور البنية الصرفية في الإعراب.

٤- دور البنية الصرفية في التقديم والتأخير.

ما تؤديه المورفيمات من وظائف صرفية ونحوية أخرى، فالمورفيمات الدالة على الأحداث مثلاً: (المورفيمات الفعلية تشترك في أداء الوظيفة النحوية العامة:

---

(١) الحجة للقراءات السبعة، للفارسي، ٧٠/٢.

(٢) متقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل ،عالم الكتب الحديث، ط، ٢٠٠٦م، ص٩٩.

وهي الإسناد إلى الغائب، وهو هنا يتكون من مورفيمين أحدهما يتمثل في الفعل (كتب) والثاني صوري يتمثل في الضمير هو".

"وهذه تسمى الوحدات الصرفية وهي تنقسم إلى قسمين:

١- وحدات صرفية حرة Free morphemes.

٢- وحدات صرفية مقيدة Bound morphemes.

والفرق بينهما أن الوحدات الصرفية الحرة، يمكن أن توجد مستقلة أي منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التي لا توجد إلا مرتبطة مثل (مصريون) لها وحدات صرفية حرة (مصر) وأخرى مقيدة مكونة من الكسرة والياء المشددة ولها وظيفة صرفية، تكوَّن صيغة النسب.

أنواع المورفيمات هي: أما مورفيم جزر وإما زائد، والزوائد بالطبع مورفيمات حرةً، والجزر هو المورفيم الأساسي في الكلمة وهو النواة التي ترتكز حولها المورفيمات الأخرى ومن هنا يبرز دور الصرف وأهميته داخل النص اللغوي، وفي تحديد الإعراب كما ذكرنا ويعتمد دور البنية الصرفية في تحديد الإعراب على الشروط الصرفية للوظيفة النحوية المعينة، وهذه الشروط تعد بمثابة المعيار الذي يلفت إليه في كثير من الأحيان، وذلك مع وجود المعايير الأخرى، بل قد يكون في بعض الأحيان المعيار الوحيد الذي يعول عليه في الإعراب.

فمثلاً: المصدر يقوم بوظيفة المفعول المطلق، والمفعول لأجله والاسم المشتق يرتبط بوظيفة الحال والنعت، بينما يصير بالجامد عن عطف البيان والبدل(١).

وقد أشار ابن هشام الأنصاري إلى أن البينة الصرفية يمكن أن تلعب دوراً هاماً في تحديد وظيفتها النحوية، وذلك بعد النظر إلى موقعها وإلى السياق الذي وردت فيه، فهو يستدل في ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ البقرة ٢٤٩

(١) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية، إبراهيم النجار، دار الكتب العلمية، د.ت، ص١٧٣.

فهو يقول: (إن فتحت (الغين) فمفعول مطلق، وإن ضُمت فمفعول به ومثلها حسوةً حسودةٌ" [1].

عليه يمكن القول: بأن البنية الصرفية للكلمة من الملاحيظ الدقيقة التي يمكن الاستعانة بها في تحديد ووظيفتها النحوية في التركيب أو في ترجيح وظيفة نحوية على أخرى[2].

"ولذلك فإن التحويل في الصيغ الصرفية عند القدماء بل عند القراء دليل على منهجية التحويل في الإعراب وتوجيهه، وسبب في تحويل المعنى بحسب التحويل في الصيغ الصرفية، بل إن النحاة العرب أنفسهم قد قدموا لدراسة النحو بيان صرفي هو (اللام وما يتألف منه) فإن صنيعهم هذا يشير إلى أن النحو لا يفتؤ يستخدم معطيات الصوت والصرف المختلفة في عرضه الأغلب الأعم من تحليلاته، وفي الرمز والعلاقة وأبوابه،حتى إننا لنجد القرائن اللفظية والدلالية على أبواب النحو المختلفة هي في جملتها عناصر تحليلية مستخدمة من الصوتيات والصرف من ذلك مثلاً.

اشتراط صيغة صرفية (ما) لتكن مبني لباب نحو (ما) أي قرينة لفظية على ذلك الباب كاشتراط المصدر للمفعول المطلق والمفعول لأجله وكالقول بالجمود للتمييز والاشتقاق للحال والنعت وكاطراد صيغة المبني للمفعول في الإسناد إلى نائب الفاعل وهلم جرّا، ومن هذا القبيل أيضاً التعبير عن الأسانيد المختلفة بالإلصاق والضمائر المتصلة بالأفعال ثم ما يتصل بذلك من إجراءات صوتية كالتحريك أو الإسكان أو النقل أو غير ذلك، كما قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام يقول بن مالك:

(اسم وفعل ثم حرف الكلم)

ثم حاولوا راشدين عند إنشاء هذا التقسيم أن يبنوه على مراعاة اعتبار الشكل والوظيفة أو بعبارة أخرى المبنى والمعنى؛ إذ ينشئون على هذين الأساسين قيماً

---

(١) انظر: (باب ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ،وانظر مغني اللبيب عن كُتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك، محمد علي، ط٢٠٠٥م. ص٥٥٨.

(٢) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية، إبراهيم النجار، ص١٧٤.

خلافية يفرقوا بها بين كل قسم وقسم آخر من الكلم كما يفعل اللغويون المحدثون في يومنا هذا.

ويتضح دور المبنى والمعنى في التقسيم الآتي للكلام من قول ابن مالك:

بـــالجَرِ وَالتَّنْـــوينِ والنِّـــدَاءِ وأل * ومســـندٌ للاســـمِ تَمييـــزٌ حصـــلْ

بِتَـــا فعلـــتَ أتـــت ويـــا افعلِـــي * ونـــونَ أقـــبلنْ فعـــلٌ ينجَلِـــى

ســواهما الحــرفُ كهــلْ وفــي لــمْ * ـــــ

هذا يُبين لنا بعض العلامات التي تميز الأقسام الثلاثة، الاسم، والحرف، والفعل، كما يتضح أيضا في قول النحاة الآخرين " الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن، والحرف ما ليس كذلك"

ومن المعلوم أن المباني الصرفية تعبر عن المعاني الصرفية الوظيفية التي أشرنا إليها وأن هذه المباني تقسمها أبواب تندرج تحتها علامات تتحقق المعاني بواسطتها، وسنضرب لذلك أمثلة تتضح بها الصلة بين العلامات والمعاني النطقية كما يأتي في هذا الجدول"[1]:

المعنى	المبنى	العلامة
الاسمية	صفة الاسم	زيد (مثلاً)
الفعلية	صيغة الفعل (فعل يفعل أفعل)	ضرب يضرب اضرب (مثلاً)
الإضمار	الضمير على إطلاقه هو أوهي (مثلاً)	هو أو هي بخصوصها (مثلاً)
التعريف	المعرفة على إطلاقها	ال (كتاب)
التأنيث	التاء للمؤنث	فاطمة
التثنية	الألف والنون (للمثنى)	الزيد (ان)

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص١٥٤.

"وقد أشار بكري محمد الحاج[١] إلى دور الصيغ الصرفية وأثرها على المعنى تحت ما يعرف بدور الصيغ الصرفية في التغير الدلالي، فقد تناول دور مورفيمات المضارعة في الإشارة إلى المعنى الكامن في الأبنية الباطنية، والدلالية على بعض العناصر المؤلفة للجملة، وعلى وجه الخصوص تحديد الفاعل وبيان الطبقة اللغوية التي ينتمي إليها من حيث النوع (مذكر أو مؤنثة (مفرد أو مثنى أو جمع) ومن حيث الشخص (متكلم أو مخاطب أو غائب)" [٢]وغير ذلك من الأمثلة.

وذلك إشارة إلى المعاني الكامنة في الأبنية الصرفية للجملة والإسهام في التفسير الدلالي للجملة، ساندها في ذلك الحركات الإعرابية.

---

(١) هو الدكتور بكري محمد الحاج أستاذ بجامعة أم درمان الإسلامية وعميد كلية اللغة العربية، أم درمان السودان.

(٢) أثر عناصر البناء الظاهري للجملة في التفسير الدلالي– الناشر دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر–ط ١٩٩٦– ص١٢٦.

المبحث الثاني

أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني

ذكرنا آنفاً أن هناك نوعاً من الدلالة تعرف من خلال الصيغ الصرفية المختلفة، ولهذا فإن أي تحول في الميزان الصرفي كما يقول الصرفيون يؤدي حتماً إلى تغير في دلالة الكلمة التي حصل فيها التغيير من زيادة أو حذف أو تضعيف أو غير من ذلك من أنواع المشتقات الصرفية، ومن خلال هذه التغيرات التي تطرأ على الكلمة رأى الباحث أن يأخذ نماذج من الآيات حتى تتضح له الرؤية أكثر في هذا العنصر المهم من عناصر اللغة العربية التي تعرف بأنها من اللغات المتصرفة.

الآية الأولى، قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

"فمن قرأ (كفَّلها) بتشديد (الفاء) على أنه فعل ماضٍ مضعف (العين) والفاعل ضمير يعود على الله تعالى و(الهاء) لـ(مريم) مفعول ثانٍ مقدم و(زكريا) مفعول لله تعالى وكذلك من قوله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾فأخبر عن نفسه تعالى بما فعل بها، وكذلك يجري (كفلها) على ذلك يخبر بأنه كفلها زكريا أي ألزمه كفالتها، وقدر ذلك عليه ويسره له؛ وبذلك يكون (زكريا) مفعول الثاني (لكفلها) لأنه بالتشديد يتعدى إلى مفعولين، ويقوى التشديد أن في الصحف أبي و(أكفلها) بهمزة الهمزة كالتشديد في التعدي.

وأما حجة من خفف؛ أنه اسند الفعل إلى (زكريا) أي أخبر الله تعالى عنه أنه هو الذي تولي كفالتها،والقيام بها، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ ﴾فأخبر الحق عنهم أنهم تنازعوا في كفالتها وتشاجروا في الدين حتى رموا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، واستهموا بها على كفالة مريم فخرج قلم زكريا بإذن الله تعالى وقدرته فكفلها زكريا، فالفعل مسند إليه فيجب تخفيف (كفلها) وهو

الاختيار؛ لأن التشديد يرجع إلى التخفيف، لأن الله تعالى إذا كفلها زكريا بأمر الله تعالى وله لأن زكريا كفلها بمشيئة الله وقدرته وإرادته"[١].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران ٧٩]

"اختلف في فتح التاء واللام، والتخصيص فيهما، والتشديد في قوله جل وعز: (تعلمون الكتاب) فقرأ بن كثير ونافع وعمر (تعْلمون) بسكون العين ونصب اللام، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (تعلِّمون) مثقلة"[٢].

"فعلى قراءة عاصم ومن معه بضم التاء وتشديد (اللام) من (التعليم)؛ لأن التعليم إنما هو من العلم؛ لأن كل معلم عالم بما يُعلم، وليس كل عالم بشي معلماً له، فالتشديد يدل على العلم والتعليم

وهو أشمل وأعم، وقرأ بالتخفيف ابن كثير ونافع وأبو عمرو.

وحجة من قرأ بالتخفيف مع فتح اللام وهو من العلم فالتعلم أبلغ وأمدح كما أن حجة من خفف حملة على ما بعد من قوله تعالى: ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾، مخففاً ولم يقل (تدرسون)، وكل من درس علم وليس كل من درس علم فحمل الفعلين على معنى واحد أليق وأحسن في المطابقة المجانسة"[٣]. إذاً من خلال القراءتين للآيتين السابقتين يتجلى دور الصيغ الصرفية وأثرها على دلالة الكلمة من خلال التضعيف الذي في كلمتي (كفلها، وتعلمون)

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص٢٩.

(٢) الحجة في القراءات السبعة للفارسي،١٩/٢.

(٣) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، ص١٦٩-١٧١.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران الآية ٨٣]. "اختلفوا في الياء والتاء من قوله تعالى: (تبغون، ويرجعون)" فقرأ أبو عمرو وحده (يبغون، ويرجعون) بالياء، وقرأ الباقون (يبغون، وترجعون)." (١).

"فمن قرأ بياء الغيب في (يبغون)؛ وحجة من قرأ بالياء على أنه جعله إخباراً عن غيب لا لأنهم لم يكونوا بالحضرة، وأيضاً فإن قبله ذكر بالغيب في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران الآية ٨٢].

وقرأ الباقون بالتاء على أن إجراء الخطاب لهم أي أمر الله نبيه أن يقول لهم: (أفغير دين الله تبغون) أيها الكافرون وإليه ترجعون، لأنهم كانوا ينكرون البعث وينتحلون غير دين الله فَخُوطِبُوا بذلك على لسان النبي ﷺ ويؤكد القراءة بالتاء في (ترجعون) قوله تعالى (مرجعكم) فالتاء كالكاف في الخطاب"(٢).

الآية الرابعة: وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] "اختلفوا في فتح الواو وكسره في قوله عز وجل (مسوِمين) فقرأ ابن كثير وعمرو وعاصم (مسومين) بكسر الواو وقرأ الباقون (مسومين بفتح الواو)" (٣).

" فعلى قراءة ابن كثير وعاصم وابن عمر "فالمعنى الدلالي على وجهين: احدهما أن يكون المعنى ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلمين، وفي الحديث عن النبي ﷺ يوم بدر لأصحابه (سَوِّمُوا فَإِنَّ المَلائَكةَ قَدْ سَوَّمتْ)" (٤).

والمعنى الآخر أن يكون المعنى من (سوَّمتُ الخيل) إذا أرسلتها فيكون المعنى (مرسلين خيلهم).

---

(١) الحجة في القراءات السبعة للفارسي– ٢٩/٢.

(٢) المصدر السابق، ٣٧/٢.

(٣) المصدر السابق، ٤١/٢.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٣١/٢.

وعلى قراءة (مسوَمين) بفتح الواو أيضا على وجهين: أحدهما أن يكون معناه (معلمَّين) بعلامة يعرفون بها ويقوى هذا المعنى ما قبله(منزلين) فهو اسم مفعول؛ لذلك يجب أن يكون (مسومين) اسم مفعول، والعرب تمدح الفارس في الحرب بمسوم كما قال عنترة:

وَمُسَوَمٌ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ * لا مُمعِنٍ[1] هَرَباً وَلا مُستَسلِمِ[2]

الوجه الثاني: على أنه اسم مفعول مرسلين"[3].

الآيــة الخامســة:قولــه تعــالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [سـورة آل عمـران١٤٧].

"اختلفوا في ضم القاف وفتحها وإدخال الألف، وإسقاطها من قوله تعالى: (قتل معه)، فقرأ بن كثير وبن عمرو ونافع (قُتل) بضم القاف من غير ألف، وقرأ الباقون (قاتل) بألفٍ"[4].

" فقد قرأ الجمهور بالألف من (قتال) وعلى هذه الوجه يكون قد اسند فعل (القتال) إلى النبي ﷺ ويكون ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾ (مبتدأ وخبر) ورفع (ربيُّون) بالظرف والجملة صفة للنبي ﷺ في الموضعين".

ويجوز أن تكون الجملة في موضع حال من الضمير في (قاتل) و(الهاء) في (معه) تعود على (نبيّ) ودل المعنى على أن (ربيين)، قاتلوا أيضاً مع قتال النبي ﷺ وحُسن ذلك لما جاء في الأثر (ما قتل نبي قط في قتال)، وكان إضافة القتال إليه أولى من إضافة القتل إليه[5].

---

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، ص١٧٩.

(٢) البيت لعنترة بن شداد في معلقته المشهورة، انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، ط١٩٦٣م، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٤٥.

(٣) شرح الهداية للإمام أبي العباس محمد بن عمار الهروي تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، دار عمار للنشر والتوزيع، ص ٤٢٠.

(٤) المصدر السابق، ٤١/٢.

(٥) الحجة في القراءات السبعة للفارسي-٤١/٢.

المعنى الثاني: على أن يكون فعلاً وما بعده صفة النبي ﷺ، والفعل مسند إلى النبي بدلالة قوله تعالى: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾، فأخبر أن النبي قد يقتل وقوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة ٦١]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة ٩١] (١).

وهذا فيمن قتل النبي في غيره قتال، سياق الكلام في قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ١٤٧]، وهذا كله يدل على أن القتل والقتال كان في الحرب في سبيل الله.

والوجه الثاني أن قتل وما بعده صفة أيضاً للنبي ﷺ والفعل مسند إلى (ربيين) فهو في هذا الوجه مرفوع بـ(قتل) على المفعول الذي لم يسم فاعله وعلى الوجه الأول مرفوع بالابتداء و(معه) خبراً مرفوعان بالظرف، والجملة في الوجهين صفة (للنبي) وهذا الوجه كما ذكرنا يقوي قولهم: (ما قتل نبي في قتال قط) ويجوز الوجه الأول أن يكون (مع ربيون) في موضع الحال من الضمير في قتل ويعود إذا كان (معه ربيون) صفة للنبي ﷺ)(٢)."الأثر الصرفي نجده يظهر من خلال الصيغتين المختلفتين لكلمة (قُتل وقاتل) ونجد هنالك اختلافاً بيناً في المعنى والإعراب.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٦١]. "اختلف في فتح الياء وضم الغين وضم الياء والغين من قوله عز وجل: (يغل) فقرأ ابن كثير وابن عمرو وعاصم بـ(يغَل) وقرأ الباقون (يُغَل) بضم الياء وفتح الغين"(٣).

---

(١) الروايات الأربع، د. الأمين محمد أحمد ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٣) الحجة للفارسي ٤٨/٢.

"فعلى قراءة من ضم الياء وفتح الغين دلالة ذلك على أنه حمل المعنى على النفي عن أصحاب رسول الله ﷺ، أن يخونوه في الغنائم وفيه معنى النهي عن فعل ذلك، هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ فدل على أنه كان في القوم غلول تنزيها للنبي ﷺ، وتعظيماً له أن يكون أحد من أمته نسب إليه الغلول[١] بل هم المخطئون والمذنبون فالمعنى (ما كان لنبي أن يخان في الغنائم).

وقرأ الباقون بفتح (الياء) وضم (الغين) (يَغُل)[٢]؛ أنه نفي الغلول، عن النبي ﷺ، وأضاف الفعل إليه ونفاه عنه أن يفعله، وقد ثبت أن الغلول وقع من غيري، فلا يحسن أن نفي الغلول عنه وهي خيانة في الغنائم – وقيل إن المنافقين اتهموا النبي ﷺ في شيء فُقد، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ أي يخون أمته في الغنائم فنفي عنه الغلول فهو أخذ الشيء خفية" [٣].

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ [سورة النساء الآية١٢]. "اختلفوا في كسر الصاد وفتحها في قوله عز وجل: (يوصي بها) فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر (يوصَى) بفتح الصاد وقرأ حفصٌ وعاصم بكسر الصاد"[٤].

"فمن قرأ بفتح (الصاد) في (يوصَي) وحجته في ذلك، أنه لما كان هذا الحكم ليس يراد به واحد بعينه، وإنما هو شائع في جميع الخلق أجراه على ما لم يسم فاعله فأخبر عن غير معين.

---

(١) الروايات الأربع، الأمين محمد أحمد، ص ١٧٨.

(٢) الغل الأخذ من الغنائم خفية، وهو خيانة قال جابر بن عبدالله: نزلت هذه الآية يوم بدر قال كان أناس غلو فنزلت فيهم فلم يخونوا العد. غل غلولاً وأغل إذا سرق من الغنيمة وأغل الجازر أي سرق من اللحم في الجلد، انظر: الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، ص ١٨٧.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص١٨٩.

(٤) الحجة للفارسي، ٧١/٢.

وعلى قراءة من كسر (الصاد) (يوصي) حجته، أنه لما تقدم ذكر الميت والمفروض في تركته أضاف الفعل إليه لأنه هو الموصي، كأنه قيل (من بعد وصية يوصي بها الميت ففيه تخصص للمذكور الميت) "[1].

بهذا الاختلاف في البناء الصرفي أدى بدوره إلى تغيير في المعنى بين نسبة الغلول إلى الرسول ﷺ والصحابة وما كان نتاج ذلك إلا بسبب الصيغ الصرفية والميزان الصرفي بين الفعل غُلّ، وغَلّ.

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سورة النساء الآية ١٤]. "اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل (يدخله) فقرأ ابن عامر ونافع (ندخله جنات) بالنونين في الحرفين جميعاً وقرأ الباقون بالياء فيهما"[2].

"فعلى القراءة الأولى (ندخله)، فحجة ذلك على أنه أخرج الكلام على الإخبار من الله عز وجل ذكره نفسه بعد لفظ الغيبة، وهذا مستعمل كثيراً في القرآن ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت ٢٣] فرجع الكلام إلى الإخبار من الله عن نفسه،وكذلك قوله ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٥٠] فأتى الكلام على لفظ الغيبة ثم قال ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ فرجع الكلام إلى الإخبار من الله تعالى عن نفسه.

وعلى القراءة بـ(الياء) حجة ذلك على أنه رد آخر الكلام على أوله فلما أتى أوله بلفظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ وقوله ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ النساء قال يعذبه بجعله بلفظ الغيبة يتكون الكلام على نظام واحد، ولأن أكثر القراء عليه، ولأنه أليق بالسياق في الكلام".

---

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٩٤- ١٩٦.

(٢) المرجع السابق- ص١٩٦.

الآيـة التاسـعة: قولـه تعـالى: ﴿ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [النسـاء الآيـة ٣١] "اختلفوا فـي ضـم المـيم وفتحهـا من قولـه عز وجـل (مـدخلاً) فقرأ نـافع وحـده (مَدخلاً) مفتوحة الميم وقرأ الباقون (مُدخلاً) مضمومة الميم"(١).

"فمن قرأ بفتح (الميم)؛ على أنه مصدر لفعل ثلاثي مضمر، دل عليه الرباعي الظاهر، وهو قوله تعالى: (ندخلكم) أي (ندخلكم فتدخلون مدخلاً أي دخولاً فدخلوا ومدخل مصدران للثلاثي بمعنى واحد ويجوز أن يكون (مَدْخلاً) بالفتح مكاناً أي (يدخلكم مكاناً) فيتعدي إليه (ندخلكم)، على المفعول به، وحسن ذلك لأنه،وقد وصف الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴾ [الشعراء٥٨]. وقرأ الدوري، وحفص بضم (الميم)، على أنه مصدر للفعل الذي قبله، وهو (يدخلكم)، ولم يحتاج إلى إضمار ثلاثي، فنصبه على المصدر فالميم في حركتها كحرف المضارعة في حركته، إن كان مفتوحاً فتحت (الميم) وإن كان مضموماً ضمت (الميم)، وفي الكلام مفعول محذوف؛ لأن الفعل لما نفل للرباعي تعدي إلى مفعول، نقول: (دخلت في دار زيد، وأدخلت عمراً في دار زيد).

فأصل (دخلت) ألا يتعدي؛ لأنه نقيضه لا يتعدي وهو (خرجت) وحكى النحويون (دخلت الدار) فعدوه بغير حرف وهو شاذ و التقريب و(يدخلكم الجنة مدخلاً كريماً) أي إدخالاً فمدخل وإدخال مصدران لـ(أدخل) (٢).

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾ [النســـــــاء ٣٣]. "اختلف القراء في قوله عز وجل (عقدت) وقد تعرضنا لهذه الآية في الفصل الأول – أثر الدلالة الصوتية على المعنى–

"فعلى قراءة حذف الألف (عقدت) على أنه أضاف الفعل إلى الإيمان، المراد إضافة الفعل إلى المخاطبين المتحالفين في المعنى، دون من خالفهم، وفيه حذف

---

(١) الحجة للفارسي، ٧٨/٢.

(٢) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٩٧.

مفعول، التقرير، والذين عقدت إيمانكم حلفهم، ثم حذف وهو محمول على لفظ الإيمان، فأسند الفعل إليهما دون أصحاب الإيمان فلما أسند الفعل إلى الإيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المفاعلة؛ لأن يمين القوم الآخرين لا فعل لها فهذا في هذه القراءة، محمول على أصحاب الإيمان وهم فريقان كل واحد حالف محلوف له فحمل على المفاعلة وهو باب المعاقدة بالإيمان.

وقرأ الباقون بثبوت الألف (عاقدت) على أنه جعله في المعاقدة وهي المحالفة في الجاهلية، أنه يواليه و ويرثه ويقوم بثأره، ويقوم بالوفاء لهم، فحسنت الألف هنا لأنها تجيء في بناء الاثنين،وهي الأقوى؛ ولأن المقصود بالآية أصحاب الإيمان، ولأن لا فعل ينسب إليهما حقيقة، فباباه المفاعلة، وهو عليه أكثر القراء)[1]. إذن هناك اختلاف في المعنى الدلالي بين الصيغتين لكلمة (وعاقدت) وهو ما أدى إلى تغيير في الإعراب والمعنى الدلالي.

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [النساء٤٢]. "اختلفوا في فتح التاء من (تَسَّوى) والتشديد وضمها والتخفيف، فقرأ ابن كثير وعاصم وأبوعمر (لو تَسَوى) مضمومة التاء خفيفة السين. وقرأ حمزة والكسائي (تسوى) مفتوحة التاء خفيفة السين. والواو ممالة مشددة"[2].

"فمن قرأ بفتح التاء (تَسّوى) وتشديد (السين) فأسند الفعل إلى (الأرض) فارتفعت بفعلها، وأصله الفعل (تسوي) (تتسوى) فأدغم التاء الثانية في السين فهو في العلة، والحجة في ذلك مثل (تساءلون) وتظاهرون، وذلك أنه جعل الأرض تتسوى بهم، والمراد به المخبر عنهم، وهم الذين كفروا يودون لو يصيرون يتسوون بالأرض، وعلى قراءة من ضم (التاء) وخفف السين، على أنه فاعل لم يسم فاعله من التسوية. مثل قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة ٤] وأقام الأرض، مقام الفاعل

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٩٧ – ١٩٨.

(٢) الحجة للفارسي ٣٨/٢

على معنى لو يجعلون الأرض سواء أي ترابا كما فُعِل بآبائهم ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ [سورة النبأ الآية ٤٠].

الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [سورة النساء الآية ١٢٤]. "اختلفوا في ضم الياء وفتحها في قوله جل وعز (يدخلون الجنة) فقرأ ابن كثير (يُدخلون) بضم الياء وقرأ خلف (يَدخلون) بفتح الياء"(١).

"فمن قرأ بضم (الياء) وفتح الخاء، المعنى أنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله عزز وجل إياها، فهم مفعولون في المعنى فنبوا الفعل للمفعول على ما لم يسمى فاعله، ولذلك نجدهم أجمعوا على قوله تعالى: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [سورة إبراهيم الآية ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [سورة المجادلة الآية٢٢]. وقرأ الباقون بفتح (الياء) وضم الخاء (يَدخُلون)؛ أي أنهم أضافوا الفعل إلى الداخلين؛ لأنهم هم الداخلون بأمر الله تعالى: لهم ودليل قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [سورة الأعراف الآية ٤٩] وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [سورة الحجر الآية ٤٦] والقراءتان متداخلتان؛ لأنه إذا أمروا بالدخول دخلوا؛ لأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها فهم داخلون مدخلون"(٢).

إذن من خلال ما سبق يتبين لنا دور الصرف، وأثره في تفسير بعض آيات القرآن الكريم سواء كان على مستوى الجملة أو الكلمة أو الحرف بل حتى داخل السياق القرآن نجد أن الصرف يلعب دوراً مهماً فيه وذلك من خلال التقديم والتأخير وبناء الفاعل في مقابل البناء للمفعول وضمير الغيبة والمخاطبة وغير ذلك.

---

(١) الحجة في القراءات السبعة ٣٨/٢.

(٢) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، أمين محمد أحمد، ص٢٠٦.

الفصل الثالث

الدلالة النحوية

المبحث الأول: التعريف بعلم النحو وأهميته

المبحث الثاني: أثر الدلالة النحوية على النص القرآني

المبحث الأول

الدلالة النحوية (Syntactic- Semantic)

التعريف بعلم النحو وأهميته:

"يعد الإعراب من أبرز الظواهر اللغوية في العربية الفصحى، فقد اقترنت به واقترنت بها، وصارت إجادة الإعراب، والبراعة فيه من أول الدلائل على إجادة الفصحى"(١).

وفي هذا الجانب نريد البحث عن العنصر النحوي وأثره على المعنى الدلالي.

"وتتعلق الدلالة النحوية بالمهام والوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات اللغوية داخل بنية (النص)، من حيث تصنيفها وإيضاح طرق بنائها وبيان نوع العلاقة التي تربط عناصرها"(٢).

"معنى الإعراب: جاء في لسان العرب لمادة (نحا) عدة معاني لكلمة إعراب فمن بعض معانيها الإفصاح والإيضاح. يقال: أعرب عما في ضميرك؛ أي ابن، ومنه قول النبي ﷺ (الثَّيِبُّ تُعْرِبُ عَمَّا فِي نَفْسِهَا) (٣). أي تفصح،وفي الاصطلاح النحوي(٤): وهو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها وهو علم يبحث عن أواخر الكلم إعراباً وبناء،.. هو العلم الذي يختص بقواعد اللغة التركيبية، أيضاً من معاني النحو اللغوية: القصد والجهة (نحاة)، وفي الحضارة العربية يؤرخ لظهور مصطلح النحو في القرن الثاني الهجري؛ وكان هذا المصطلح يقصد به كتاب سيبويه للغة العربية وتأسيساً؛ لذلك صنف كتاب سيبويه بأنه الكتاب في النحو، وهو بهذا المفهوم يضم مجموعة من الدراسات التي تصنف ضمن موضوعات علم اللغة الحديث.

---

(١) العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، د. محمد حماسة، ط٢٠٠١م، ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٥.

(٣) سنن ابن ماجة ٦٠٢/١، رقم ١٣٧٢ دار الفكر بيروت، د. ت.

(٤) النحو مصدر من نحا نحواً، وقد أريد به اسم المفعول أي المنحو بمعنى المقصود، ويدل على هذا ما قيل حول نشأة علم النحو، فقد كان يقصد به القواعد المنحوة في وضع اللغة؛ أي المتبعة، فالنحو بمعنى المنحو مثل كلمة صيد في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [سورة المائدة الآية ٩٦] أي مصيده: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ١١٤.

وبعد ذلك انجرفت إذا صح التعبير دلالة النحو في العربية شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى مفهوم العلم الذي يعني بأواخر الكلم من إعراب وبناء،و صارت حركات الإعراب والعامل والقياس من أهم دعائم علم النحو بما في ذلك قضايا الاشتقاق و وما حولها من المسائل الصرفية، ثم انفصل مفهوم النحو عن الصرف حتى صار مفهوم علم النحو هو العلم الذي يعالج قضايا ترتيب وتنظيم عناصر الجملة ووظائفها"[١].

"وفي اللغات الأوربية نجدهم استخدموا Grammar و Grammatik لمفهوم العلم الذي يعنى بالقواعد المنظمة للغة،أما (Syntax سنتات) فيقصد به دراسة القوانين المنظمة لتركيب العبارات والجمل نحوياً، أي أنه علم التركيب ويشمل علمي التركيب والصرف"[٢].

إلا أن علم النحو في القديم يختلف عن مفهومه حديثاً؛ فعلماء العرب استخدموا مصطلح النحو بدلالة عامة، تعني دراسة، نظام ترتيب الجمل والنظام الصوتي والنظام الصرفي، نجد هذا في تناول علمائنا الموضح النحو في مؤلفاتهم القديمة، ويتبين هذا المفهوم من تعريفهم النحو، قيل: (هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك.

وهذا هو المفهوم العام لعلم النحو عند القدماء،ولكن هذه الموضوعات (التركيب والإعراب، والأصوات، والصرف) التي درست تحت اسم النحو، أخذت شكلاً أكثر دقة وموضوعية عند المحدثين الذين وظفوا المناهج الحديثة في دراسة هذه الموضوعات فيما يتعلق بالتركيب والإعراب، أطلق عليه اسم النحو، وما يتعلق بالأبنية وصوغها أطلق عليه اسم علم الأصوات، وما يتعلق بالمعنى أطلق عليه اسم علم الدلالة".وهذا الفروع يطلق عليها العلوم اللغوية وهو الاسم العام لهذه الفروع[٣].

"ويتبين من هذا أن مصطلح النحو في الدرس العام له دلالة عامة في الدرس القديم، ودلالة خاصة في الدرس الحديث، ومصطلح (Syntax) لا يعني النحو

---

(١) الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية د. أحمد عبدالقدير أستاذ علم اللغة المشارك بكلية الآداب الرياض وكلية الآداب جامعة القاهرة، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، ص١٩.

(٢) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص٥٩.

(٣) الاتجاهات المعاصرة، د.أحمد عبدالقادر، ص٢٠.

بمعناه القديم وإنما يعني فرعاً من فروع النحو (Grammar) والأخير هو الذي يقابل المعنى العلم القديم، والتركيب (Syntax) يعني التأليف أو نظم المفردات في شكل معين وهو لا يعني الجملة المفيدة في كل السياقات، فقد يعني تأليف الحروف لتكوين كلمة، وهو ما يعرف بنظم حروف الكلمة، وقد استخدمه التقليديون على أنه أحد فروع النحو Grammar، الذي يعالج نظام ترتيب الجملة والعلاقات التي تربط أجزاءها وأثرها في المعنى، وأثر إعادة ترتيب الجملة ما قد ينجم عن تلك العلاقات من تغيرات تصريفية.

وهو يقابل في العربية تصريف الفعل وتطابقه مع الفاعل إفراداً وتثنية وجمعاً ومطابقته في النوع، وما يطرأ على الإعراب من تغيرات في حالة التركيب نتيجة للعلاقات بين عناصر التركيب مثل اتصال الفعل بضمير الفاعل في مثل قالوا قلت (يقلن) وإضافة الفاعل إلى مصدره مثل (ضَرْبُ محمدٍ علياً ظلماً)" (١).

إذن فمن خلال ما ذكر يتضح لنا أن الإعراب له قيمة دلالية لا يمكن تجاهلها داخل النص اللغوي، وذلك لإيضاح المعنى المراد في الألفاظ والمفردات.

أهمية علم النحو:

"إن علم النحو هو دعامة العلوم العربية، وقانونها، الأعلى، ولن تجد علماً منها يستقل عن النحو، أو يستغني عن مئونته، أو يسير بغير نوره وهداه، فجميع العلوم النقلية على جليل شأنها- لا سبيل إلى استخلاص حقائقها، والنفاذ إلى أسرارها إلا بهذا العلم، فهل ندرك كلام الله تعالى، ونفهم دقائق التفسير وأحاديث الرسول ﷺ وأصول العقائد وأدلة الأحكام والفقه الإسلامي والبحوث الشرعية عموماً إلا بإرشاد النحو وإلهامه، فالنحو وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوي، وعماد البلاغي وأداة

(١) ومصطلح (Syntax) أصله يوناني قديم ، وهو يدل على دارسة القواعد التي تقوم على نظامها مفردات الجملة. كما يدرس العلاقة التي تنشأ من ترتيب مفردات الجملة أو علاقة البنية، Arrangement أو التأليف Sittingouttogeher. انظر تحليل اللغوي في ضوء علم اللغة. الدكتور عكاشة ص١١٨.

المشرع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والشرعية جميعاً، فقد وصفه الأعلام السابقون بأنه (قانون وميزان تقويمها)" [١].

فالنحو بهذه الوظيفة الجليلة، ومكان الحاجة إليه بهذا القرر يسبق جميع علوم اللسان العربي، على الرغم من الحاجة الشديدة إليه فهي مبنية عليه، وفي حاجة إليه.

وقال ابن خلدون: "والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها من علوم اللسان العربي) هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولا النحو لجهل أصل الإفادة"[٢]

"وبهذا الكلام تتبين مكانة النحو الجليلة، ومدى الحاجة إليه ولماذا سارع سلفنا الصالح إلى ابتكاره قبل غيره لحفظ اللغة العربية، وصيانة الكتاب العزيز من اللحن، ويكفي النحو فضلاً أنه نشأ في رحاب القرآن الكريم، وكان هو الحاضن الأول لصيانته، وأبعاد الخطر عنه وإشراع السبيل الصحيح للنطق به، كما يكفه فضلاً كان التفكير فيه مبكراً ومن الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على يد التابعي الجليل أبي الأسود الدؤلي.

"وإن علم النحو كما ذكرنا يدخل تحت ما يعرف (بالدلالة التركيبية) حيث ما يطلق عليه (علم دلالة الجملة) (أو علم الدلالة التركيبي) وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد بدأ بحث دلالة الجملة مواكباً لوضع علم النحو العربي، ويؤكد هذا ما روى حول أسباب نشأة علم النحو، مثل ما روى أن ابنة أبي الأسود الدؤلي لحنت في حضرته، فلما تبين مقصدها صحح لحنها،وقد وقعت لحون في قراءة القرآن الكريم في عهد الصحابة رضوان الله عليهم فاستنكروها، لأنها قد أفسدت

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لشهاب الدين أبي العباس احمد بن عدي القلقشندي، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م، ص١٦٧.

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ولد بتونس سنة ٧٢٣هـ ، يرع في علوم كثيرة وله كتاب العبر في التاريخ ورحل إلى مصر وأقام بها ولى القضاء وإفتاء الفقه المالكي بالجامع الأزهر، توفى بمصر ٨٠٨هـ مقدمة ابن خلدون ص١٠٥٥ نشر دار الفكر بيروت ١٩٨١م.

المعنى، فالحركات الإعرابية شأنها شأن أي فونيم في الكلمة، له قيمة دلالية، وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النفس من معنى، فيكون تغيرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإبانة والإفصاح عنه.

ولذا فإن الحركات الإعرابية لم توجد لتدل على عوامل معينة، وإنما وجدت لتدل على معان كامنة في نفس المتكلم"(١).

ومن خلال الآية الكريمة نرى دور الحركات الإعرابية جلية في اختلاف المعنى من قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ [سورة التوبة الآية ٣] "فقد قرأ يعقوب (ورسولَه) بالنصبِ وهي قراءة الحسن وابن أبي اسحق وعيسى بن عمر، وقرأ سائر القراء (ورسولُه) بالرفع (ورسوله) على الابتداء والخبر محذوف أي (ورسوله بريئ) أيضا من المشركين فرسول حذف لدلالة الأول عليه، ومن قرأ بالنصب عطف على (اسم إنّ) وإذا كان المعنى الذي تشير إليه الحركات الفتحة والضمة متقارباً، وهو الإخبار عن براءة الله من المشركين وبراءة رسوله أيضا منهم،كما جاء في كتب تاريخ النحو إن أحد الأعراب قرأ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ بجر (رسولهِ) فقال الإعرابي أو قد برئ الله من رسوله؟ أن يكن الله تعالى برئ من رسوله فإنا أبرأ منه فدعا سيدنا عمر الإعراب، وأوضح له القراءة الصحيحة فقال الإعرابي وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فنرى هنا من خلال هذا المثال، كيف تشير الحركات الإعرابية إلى المعنى وتدل عليه وليس هذا بغريب؛ لأن الإعراب هو الفارق بين المعاني وأن الألفاظ خدم للمعاني وتابعه لها ولاحقة بها، وإن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"(٢).

---

(١) الحجة في القراءات للفارسي ٢/١٧٠.

(٢) أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي د. بكري محمد الحاج ص٩-١٠.

"ولهذا فقد اهتم النحاة بالعلامة الإعرابية وأولوها عناية فائقة؛ لأنها تعتبر المعيار الصحي للنحو، ولولاها ما مُيّز بين الفاعل والمفعول ولا مضاف ومضاف إليه ولا نعت وتوكيد الخ" (١).

وقد عرف هذا النوع من دراسة دلالة الجملة (٢) بعلم الدلالة التركيبي أو علم دلالة الجملة في الغرب، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي) (٣).

"ويتعدد معنى اللفظ بتعدد سياقه الذي يرد فيه،وهذه المعاني المتعددة لها علاقة بالمعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ؛ لأن المعنى هو محصلة التفاعل الدلالي بين معنى الألفاظ من ناحية ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى، أما الغرض فهو الفكرة العامة أو الفكر الخام قبل أن يصاغ في أسلوب بعينة والأغراض هي المعاني التي وصفها الجاحظ بأنها مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي)(٤).

ومن هنا "فإن المعنى يكتسب من ترتيب الكلمات على طريقة معلومة وحصولها على صورة من التأليف المخصوص،وكذلك رأى بعض علماء اللغة المحدثون أن الجملة لا الكلمة أهم وحدات المعنى، فليس للكلمة معنى منفصل عن سياقها بل معناها يحدده السياق الذي ترد فيه".

إذن يتضح من خلال ما سبق أن النحو يقوم ببحث العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة وبيان وظائفها، إذ أنه وسيلة نحو التفسير النهائي لتعقيدات التركيب اللغوي، فالنحو والدلالة يتعاونان معاً على توضيح النص وتفسيره"(٥).

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص٣٧.

(٢) ومعنى الجملة عند الغربيين يعني وظيفة معاني أجزائها أو معنى الوحدات القاموسية والصلات الدلالية بين مكونات الجملة ،كما بحثوا معنى الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) والمعاني التي تتحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات.

(٣) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة د. محمود عكاشة ص١١٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤.

(٥) مناهج البحث في اللغة، دكتور تمام حسان، دار الثقافة، د.ت، ص٢٢٩.

ويتضح من خلال ما ذكره علماء اللغة المحدثون أن وظيفة النحو تختلف عن وظيفتها عند المحدثين إذ أن وظيفة النحو قديماً كانت تقتصر على الناحية الشكلية، وهي معرفة أحول أو آخر الكلمات إعراباً وبناءً وقد نبه علماء اللغة المحدثون إلى وظيفة النحو في الدلالة فأتاحوا البحث في دراسة الجمل من ناحية العلاقات السياقية في مقابل الصرف الذي يدرس العلاقات الجدولية(١).

إلا أن محمود عكاشة،له رأى في ذلك حيث قال: "وأرى أن هذا الرأي لا يتسق مع آراء النحاة العرب على أنه صنع المحدثين بل هو في ذلك تابعون للقدماء من العرب ودراسة الجملة فقط تنسب إلى المدرسة البنيوية وغيرها من المذاهب الشكلية"(٢).

ويرى الباحث أن كلام عكاشة يجانبه الصواب في ذلك؛ لأننا نجد كثيراً من الشواهد التي تؤيد ذلك، ونظرية الجرجاني في النظم في كتابه دلائل الإعجاز خير دليل على ذلك على دراسة الجملة، ولذلك فإن الحركات الأعرابية كما ذكرنا شانها شأن أي فونيم في الكلمة له قيمة وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النفس من معنى، وهذه المعاني كما يقول الهادي نهر: "فإنها تتكاثر أي أوجه الإعراب على اللفظ الواحد في القراءة القرآنية وأن هذا التكاثر أدى بدوره إلى اختلاف في تأويل هذه الآية أو تلك، على أوجه دلالية متعددة للكلمة وما كان ذلك إلا بدور المجتمع والذوق الجماعي، وقد فرضت الملامح اللغوية الاجتماعية والثقافية هيمتها على أبعاد هذا الاختلاف النحوي الدلالي.

لذلك التجأ علماؤنا المتقدمون في توجه القراءات توجيهاً نحوياً إلى اللغة العربية نفسها، وقد كانت تؤدى بينهم على أنظمة معهودة منذ زمن بعيد، وتجري ألسنتهم عليها حتى أصبحت العربية بلهجاتها المتعددة نظاما عرفياً و لا يمكن الخروج عليها على أمة عرفت بالبيان والفصاحة، والبلاغة إلا بالقدر الذي يسمح به الواقع الاجتماعي والمكاني لكل مجموعة ناطقة بها وصار الأمر أكثر حزما وفاعلية

---

(١) التحليل اللغوي، د. محمود عكاشة، ص١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٥.

حين تهيأ العلماء العرب الأوائل أن يوجدوا بفعل الإسلام الحنيف علوماً في التفسير والأصول والشعر والفقه والمعاجم والعروض والنحو وغيرها"[١].

فالذي نقصده من هذا السرد النظري في هذا المقام الأول: "أن النحاة العرب قد شغلوا بالقراءات القرآنية وحاولوا الاعتماد عليها في توجيه الأنظمة النحوية التي كانت هي جزء من المنظومة اللغوية الشاملة أعنى اللغة العربية بكل تراثها الخالد، لذا كان النحو وصفاً لهذه المنظومة على وجوه متعددة بتعدد العلماء الذين وجهوا عنايتهم إلى كل ذلك من أجل الملاءمة بين القراءات واللغة العربية من جهة وما سمع من قراءات وما روى من كلام العرب بما يجعل القراءات تلتقي القاعدة النحوية فتقويها وتعضدها، لقد خاض علماؤنا لاسيما النحويون منهم تجربة الوجوه النحوية الجائزة التي توحي بها آيات القرآن الكريم وتداولوا هذه الوجوه فيما بينهم، وقيدوا ذلك كله بعنايتهم ونصوصهم وأشاروا في الغالب إلى المنابع الأولى التي استقوا منها توجيهاتهم تلك، وهي منابع متعددة المشارب والمعارف اشترك فيا القراء والمفسرون واللغويون والنحويون الأوائل بحيث صارت تجربة النحويين في معالجة الوجوه النحوية لتي قرئت بها بعض الآيات القرآنية ظاهرة شكلت منذ عهد مبكر في تاريخ البحث النحوي لوناً مميزاً من ألوان البحث النحوي الدلالي التطبيقي له منهجه وأصوله ومرتكزاته وكان ابن جني القمة في هذا كله في كتابه الجليل (المحتسب في شواذ القراءات) والأمثلة في الاستعانة بوجوه العربية أو أقوال العرب وأشعارهم في توجيه القراءات كثيرة[٢].

---

(١) التفسير اللغوي، د.الهادي نهر، ط١، ٢٠٠١م، عالم الكتب الحديث، أربد الأردني، ص١٧٢-١٧٣.

(٢) المرجع السابق نفسه-ص ١٧٥-١٧٦.

المبحث الثاني
أثر الدلالة النحوية على النص القرآني

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران الآية ١٨] (١).

"فقد اختلف القراء في همزة (إنه وقبل الدخول في اختلاف القراء يطرح بحر محمد حسين سؤالاً يقول: (كيف شهادة الله ؟ ومن يطلب منه سبحنه وتعالى أن يشهد، وهو الحكم والقاضي والآمر والناهي، وكيف يحدث التشريك بينه وبين الملائكة وأولى العلم في النطق بالشهادة؟ فنسبه هذا الفعل إلى الله عز وجل يبدو غريبة عند التأمل، ومنافيه لبعض صفاته سبحانه وتعالى فالشهادة أن يخبر بما رأى، وأن يُقرّ ما علم"(٢).

إلا أن النحو نجده يتدخل ليحل لنا جانباً من هذا الإشكال ويتمثل في ذلك الحل في دور الفتحة والكسرة.

"فقد قرأ ابن كثير (إنه) بكسر (الهمزة)، وهذه القراءة تؤكد أن معنى (شهد) قال أو أن تكون جملة (إنه لا إله إلا الله) اعتراضية ويكون معمول (أشهد) قوله تعالى بعدها: (إن الدين عند الله الإسلام) بفتح الهمزة.

وقد قرئت (شُهِدَ) مبنياً للمفعول، ولفظ الجلالة نائب فاعل.

---

(١) سورة آل عمران من السور المدنية بالإجماع كما حكي النقاش وإن اسمها في التوراة (طيبة) وقد ورد في فضلها آثار وأخبار فمن ذلك من جاء أنها أمان من الجيات وكنز للصعلوك، وأنها تحاج عن قارئها في الآخرة ويكتب لمن قرأ آخرها في كل ليلة كقيام ليلة ، وأخرج مسلم عن النواس بن سمعان الكلابي قال سمعت النبي ﷺ يقول يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، وضرب مثلاً الرسول ﷺ ثلاثة أمثال:

قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما (شرق) والشرق هو (الضوء) والسكون لآراء فيه أشهر من فتحها أو كأنما خرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما. انظر جامع القرآن للإمام القرطبي ، ٤/٤.

(٢) التوجيه اللغوي ولمشكل القرآن، د. مجدي محمد حسين ، ط٢٠٧م، رقم الإيداع ٢٣٥٠٧، ص١١٩.

وعلى هذه القراءة يكون (أنه لا إله إلا هو) في محل رفع بدلاً من اسم الله تعالى بدل اشتمال بتقدير شهد وحدانية الله وأولوهيته فتكون الشهادة صادرة من مخلوقاته وليس منه"[1].

ويظهر دور الأثر النحوي على التركيب من خلال ربط الجمل بعضها ببعض لأن هذه الهمزة في حالة الفتح والكسر مرتبطة بما قبلها وبما بعدها ارتباطاً معنوياً.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٩].

"قرأ الكسائي بفتح همزة[2]. (أن) والوجه في ذلك أنه جعل (أنه لا إله) بدلاً من شهد من قوله تعالى: (إن الدين) أي كأنه قال: (شهد الله بأنه لا إله إلا هو بأن الدين عند الله الإسلام) فيكون (إن الدين) بدلاً عن (أنه) بدل الكل، ويجوز أن يكون بدل اشتمال؛ لأن لدين مشتمل التوحيد ويجوز أن يكون بدلاً عن القسط من قوله تعالى: (قائماً) لأن كون الدين هو الإسلام وهو القسط العدل، وقرأ الباقون بكسر همزة (إن) لأن الكلام الذي قبله تام فيكون استئنافاً، وهو الأحسن، لأن ما يقصد به الثناء على الباري سبحانه وتعالى كان الكلام فيه إذا كان جملاً متتابعة أحسن لأنه أبلغ في المدح"[3].

والباحث يرى أن هذا التباين سببه العلامة الإعرابية التي بدورها أدت إلى تغيير في الإعراب ومن ثم في المعنى.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٣٦].

---

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد حسين، ص١١٩.

(٢) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ١٠/٢.

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن على الفارسي، تحقيق د. عمر حمدان، ط٢٠٠٥م، ص٣٦٤.

"قرأ ابن عامر وعاصم[1] (والله أعلم بما وضعتُ) بضم (التاء) وسكون العين، ووجه ذلك، لأن الكلام كلام مريم، وهو يجري مجرى قول القائل يا رب قد كان كذا وكذا وأنت أعلم يريد الخضوع والاستسلام، ويظهر أنه لا يقول ذلك على سبيل الإعلام فإن الله سبحانه وتعالى هو أعلم به. وقرأ الباقون (والله أعلم بما وضَعَتْ) بفتح (العين) وسكون (التاء)؛ على أنه من قوله تعالى لأن أم مريم (قالت رب إني وضعتها أنثى) فقال سبحانه وتعالى والله أعلم بذلك ويؤيد هذه القراءة أنه لو كان من قول أم مريم، وكانت (التاء) مضمومة لكان (وأنت أعلم بما وضعتُ)؛ لأنها تخاطب الله سبحانه وتعالى"[2].

فقد رأينا اختلاف الفتحة والكسرة في الآيتين السابقتين أديا إلى اختلاف في تفسير المعنى الدلالي للآيتين واختلاف في المعنى المراد.

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٨٠].

"اختلفوا في ضم الراء وفتحها من قوله تعالى: (أَيَأْمُرُكُم) قرأها ابن كثير والكسائي ونافع (أَيَأْمُرُكُم) رفعاً وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة (أَيَأْمُرُكُم) نصباً"[3].

فمن قرأ "بنصب الراء (يأمركم) حجتهم في ذلك أن (يأمركم) معطوف على ما قبله وهو (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة) ثم يقول كأنه قال لا أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ويؤيد ذلك ما جاء في الأثر أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أتريد أن نتخذك رباً؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٧٩]. وقرأ الباقون بالرفع"[4].

---

(١) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ٢٨/١.

(٢) الموضع في وجوه القراءات وعللها ، للإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبدالله الشيراني الفارسي ، وتحقيق الدكتور عمر حمدان ج١ ط٢٠٠٥م ، ص٣٦٤-٣٣٨.

(٣) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ٢/ ٢٨.

(٤) الموضح في وجود القراءات وعللها، ص ٣٦٤.

"وعلى قراءة الرفع فجاءت منقطعة من الأولى لأنه أراد (لا يأمركم الله) فهو أبدل على الانقطاع"(١).

إذا بدأ الاختلاف الدلالي للفعل (يأمركم) واضحاً وذلك من خلال اختلاف الفعل بين الرفع والنصب، فمن قرأ بالنصب جعل الكلام معطوفاً على ما قبله ومن قرأ بالرفع جعل الكلام منقطعاً عما قبله.

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ [آل عمران ٨١].

"قرأ حمزة بكسر اللام في (لما) "ووجه ذلك أن اللام لام الجر، والمعنى أخذ الله ميثاق النبيين لهذا وهو ما أعطاكم من كتاب وحكمة، لأن من أوتي الكتاب والحكمة أخذ عليه ميثاق، وما بمعنى الذي هو (موصول) والعائد إليه محذوف والتقدير (الذي آتيتكموه من الكتاب والحكمة). وقرأ الباقون (لما) بفتح اللام. ووجه ذلك، أن اللام لام الابتداء (ما) موصولة كما تقدم وموضعها الرفع بالابتداء وخبرها (لتؤمنن) ولتؤمنن متعلق بالقسم محذوف والتقدير (والله لتؤمنن) ويجوز أن تكون "ما" شرطية كما في قولك ما تفعل أفعل وموضعها النصب بآتيتكم واللام فيها لام تؤطئة القسم يدخل في الشرط فيأتي جوابه جواباً للقسم كما في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٦٠]"(٢).

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٥٤].

"اختلفوا في رفع اللام ونصبها من قوله تعالى: (كُلَّهُۥ) فقرأ أبوعمرو وحده (كلُّهُ) رفعاً وقرأ الباقون (كلَه) نصباً"(٣).

---

(١) الحجة للفارسي، ٣٠/٢

(٢) الموضح في وجوه القراءات وعللها ، ص٣٤٠-٣٤١.

(٣) الحجة في القراءات السبع للفارسي، ٦٩/٢.

ولذا فإن حجة من نصب (كله) جعله بمنزلة أجمعين أو أجمع، أي في أنه للإحاطة والشمول كما هو في باب التأكيد أي أن الأمر أجمع لله في أجمع لم يكن إلا النصب، وحجة من رفع جعله مبتدأ مثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [سورة مريم الآية ٩٥.]

" فعلى قراءة أبي عمر برفع لام "(كله) لأنه جعله مبتدأ وخبره "لله"، ولم يجعله تأكيداً للأمر، لأن كلاً يليه العوامل فهو كسائر الأسماء، وعلى قراءة الباقين بنصب لام (كله) على أنه بمنزلة أجمعين في أنه للإحاطة والعموم فكما أن الأمر اجمع نصب لا محالة فكذلك أن الأمر (كله)"[١].

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٨١].

"اختلفوا في قوله تعالى: (سَنَكْتُبُ) في الياء والنون والرفع والنصب، فقرأ حمزة وحده (سَنَكْتُبُ) بالياء و(قتلهم) رفعاً (ويقول) بالياء وقرأ الباقون (سنكتب) بالنون (وقتلهم) نصباً و(نقول) بالنون"[٢].

"فعلى قراءة حمزة بضم الياء في (سيكتب) وفتح (التاء) وضم اللام في (وقتلهم) وقرأ (بالياء) (ويقول)، والوجه أن (سيكتب) فعل لم يسم فاعله وصلته في موضع رفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله وهو في تقدير المصدر والمعنى: (سيكتب قولهم) ولهذا عطف عليه (قتلهم) بالرفع والفاعل فيه هذا الفعل هو الله تعالى وأما جاء على ما لم يسم فاعله ولهذا قال (يقول) بالياء والمراد ويقول الله.

وعلى قراءة الباقين (سنكتب) بالنون وبنصب لام (قتلهم) أنه على مجئ ضمير اسم الله سبحانه وتعالى بلفظ الجمع على التعظيم والفاعل هو الله سبحانه وتعالى و(قتلهم) منصوب على أنه مفعول (سنكتب)" [٣].

---

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص٣٩٦.

فالأثر النحوي هنا على قراءة الياء سيكتب أسند الفعل لضمير الغيبة وهو "الله" أي "الله" سيكتب ما قالوا ومن قرأ بالنون جعل الفعل مسنداً إلى ضمير الجماعة أي نحن سنكتب.

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [سورة النساء الآية ٩٢].

فهذا الاستثناء "يعد من المشكلات فكأن ظاهر التركيب يجيز قتل الخطأ وإنه جزء من التكليف ومستثنى من النهي أو النفي وغيره داخل فيه، وكان التقدير يمكن للمؤمن أن يقتل المؤمن خطأ"(١). ومن هنا اختلفوا في الاستثناء في الآية الكريمة.

"قيل إنه استثناء منقطع وهو قول الجمهور إن أريد بالنفي معناه، ولا يجوز أن يكون متصلاً إذ يصير المعنى إلا خطأ فله قتله كقوله تعالى:﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ [سورة النساء، الآية ٢٩]

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [سورة النجم الآية ٣٢]

أو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [سورة الواقعة الآية ٢٥ –٢٦](٢).

ومن ذلك قول جرير:

مِنَ البيضِ لَم تَظعَنْ بَعيداً وَلَم تَطَأْ * عَلى الأَرضِ إِلّا ذيلَ مِرطٍ مُرَحَّلِ(٣).

"يعني ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل المرط، وليس ذيل المرط من الأرض، وقيل الاستثناء متصل، ويكون المعنى إن الإنسان يؤاخذ على القتل إلا إذا كان القتل خطأ فإنه لا يؤاخذ به أو ليس لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة إلا عن الخطأ

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٣) البيت لجرير في قصيدة طويلة يهجو فيها عياش بن الزبرقان. المرحل: إزار من الخز أو الصوف منفوش. أنظر: ديوان جرير، تأليف: محمد إسماعيل عبدالله الصاوي، دار مكتبة الحياة،بيروت، د.ت.

وقال بعضهم: الاستثناء مفرغ وهو المنفي ولم يذكر فيه المستثنى منه وفي نصبه أقوال ثلاثة:

١- أنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا الخطأ وحده.

٢ – النصب على أنه حال أي ما ينبغي له أن يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ.

٣- على أنه مصدر محذوف أي إلا قتلاً خطأ.

وقال أبوهشام وهو أحد رؤساء المعتزلة تقرير الآية أن المعنى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيبغي مؤمناً إلا أن يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمناً، والمراد أن قتل المؤمن يخرجه عن كونه مؤمناً إلا أن يكون خطأ فإنه لا يخرجه عن كونه مؤمناً"(١).

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء الآية ١٢٧]

"وقوله (وترغبون أن تنكحوهن).الفعل رغب له معنيان متضادان، ذلك بحسب ما يتعلق به من حرف الجر، فإذا جاء بعده حرف (في) كان المعنى (يحب) وإذا جاء بعده حرف (عن) كان المعنى (يكره) ولذلك فلا بد من ذكر هذين الحرفين ليتضح المعنى ولأمن اللبس، خاصة إذا كان المعنى يحتملهما جميعاً، ولذلك فإن حرف الجر مع هذه الأفعال يعد جزءاً من الدلالة الأساسية للفعل لا تتم إلا به، ولا بد من التوقف في معنى الفعل حتى يذكر حرف الجر فنقول مثلاً (رغبت، مررت، ذهبت) لعدم وضوح الدلالة المرادة، قد ذكر أهل اللغة العربية أحرف الجر التي يجوز حذفها باطراد مع (أنْ وأنّ) بشرط أمن اللبس، نحو عجبت أن تقوم أي من أن تقوم بخلاف ملت إلى أن تقوم أو عن تقوم، والآية من هذا القبيل فمنع لإشكال المراد بعد الحرف هل هو على معنى (في) أو (عن)؛لأن رغب يتعدى لكل منهما،

---

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص ١٨٤.

ومعناه هنا مختلف ويشكل عليه قوله تعالى (وترغبون أن تنكحوهن) فحذف حرف الجر مع أن اللبس موجود بدليل أن المفسرين اختلفوا في المراد فبعضهم قدر (في) وبعضهم قدر (عن) واستدل كل منهم على ما ذهب إليه.

والذي يعمق اللبس في هذه الآية أن المعنيين المتضاديين وردت بهما الروايات فروى عن عائشة (من أنها اليتيمة تكن في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن في كمال الصداق) فهذه الآية تفيد أن معنى (ترغبون) أي (تحبون) والتقدير حرف (في) وروى عنها كذلك أنها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها لدمامتها وقيل حذف حرف الجر هنا لا يعد لبساً بل إجمالاً فكل من الحرفين مراد على سبيل البدل"[1].

الآية الحادية عشر قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ١٦٢].

"آراء النحاة وتأويلهم في نصب و(المقيمين) الصابرين وأمثالها عقد سيبويه رحمه الله تعالى – باباً في (الكتاب) بعنوان (هذا باب ما ينصب على التعظيم والمدح) شرح فيه ما يكون تابعاً من الأسماء مجروراً فيجوز قطعه بالرفع على الابتداء والنصب على المدح أو الذم أو منصوباً فيجوز قطعه بالرفع على الابتداء أو مرفوعاً فيقطع بالنصب على المدح أو الذم.

وقد فضل سيبويه القول في ذلك كله تفصيلاً كاملاً، فكان من ذلك قوله: (وإن شئت جعلته ضمة فجرى على الأول وإن شئت قطعت فابتدأه، وذلك قولك (الحمد لله الحميد هو، الحمد لله أهل الحمد، والملك لله أهل الملك. ولو ابتدأت فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نَفْسِي فِداءُ أَميرِ المُؤمِنينَ إِذا * أَبْدَى النَّواجِذَ يَوماً باسِلٌ ذَكَرُ

---

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص١٨٨.

الخائِضُ الغَمرَةَ وَالمَيمونُ طائِرُهُ * خَليفَةُ اللَهِ يُستَسقى بِهِ المَطَرُ[1].

وأما الصفة فإن كثيراً من العرب يجعلونه صفة فيتبعونه لأول فيقولن أهل الحمد والحميد هو، وكذلك الحمد لله أهله إن شئت جررت وإن شئت نصبت وإن شئت ابتدأت وفي هذا الشأن.

قال ابن هشام الأنصاري: (ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعاً بتقدير (هو) ونصباً بتقدير أعنى أو أمدح أذم أو ارحم ثم قال: (إذا كان الموصوف معلوماً بدون الصفة جاز لك في الصفة الإتباع والقطع مثال ذلك في صفة المدح: الحمد لله الحميد وأجاز فيه سيبويه الجر على الإتباع والنصب بتقدير أمدح والرفع بتقدير هو مثل قوله تعالى في صفة الذم:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ قرأ الجمهور بالرفع على الإتباع وقرأ عاصم بالنصب على الذم" [2].

كما قال المهلهل:

وَلَقَد خَبَطتُ بُيوتَ يَشكُرَ خَبطَةً * أَخوالُنا وَهُمُ بَنو الأَعمامِ[3].

وسمعنا بعض العرب يقول: (الحمد لله ربَّ العالمين) [4]. فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [النساء ١٦٢]. فلو كان كله رفعاً كان جيداً فأما (المؤتون) فحمل على الابتداء ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [سورة

---

(١) قصيدة طويلة في ديوانه ص٨٩ ويمدح بها عبدالملك بن مروان(انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ص١٦٨ معنى المفردات الناجذ الضرسي وبداء النواجذ كتابة عن شدة اليوم وبسالته ، الباس الكريه المنظر والذكر (الشديد) والغمر الماء الكثير. ويقال: ميمون الطائر للكثير الخير الذي يتيمن به (الكتاب)٦٢/٢.

(٢) سورة المسد ذكر سيبويه هذه الآية في باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما شبه وعباراته فيه بلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً: (امرأته حمالة الحطب) ولم يجعله خبرا للمرأة ولكنه قال: اذكر حمالة الحطب شتماً نها ، وإن كان فعلاً يستعل إظهاره كتبا سيبويه ج٢/ص٧٠.

(٣) من قصيدة بعض أبياتها في الأصمعيات ص١٥٦ وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٢٥/٥ وخطبن: يعنى الخليل بفرسانها. والخبط الضرب الشديد والمراد بالبيوت القبائل والأحياء وإنما ذكر العمومة؛ لأنه من تغلب بن وائل ويشكر من يشكر بن وائل ، الشاهد فيه أنه قطع (أخوالنا) على الابتداء.

(٤) الآية الأولى من سورة الفاتحة ونصب (ربِّ) قراءة شاذة نسبها أبوحيان في البحر المحيط إلى زيد بن علي وطائفة إلا أن سيبويه القراءات عنده سواء في الاحتجاج أي الشاذة والصحيحة منها كما قال ذلك في الكتاب، ١٤٨/١.

البقرة الآية ١٧٧] ولو رفع (الصابرين) على أول الكلام كان جيداً ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأ في قوله (المؤتون الزكاة) سورة النساء الآية ١٦٢.ونظير هذا النصب من الشعر قول الخرنق:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمي الَّذينَ هُمُ * سُمُّ العُداةِ وَآفَةُ الجُزرِ
النازِلونَ بِكُلِّ مُعتَرَكٍ * وَالطَّيِّبونَ مَعاقِدَ الأُزرِ(١).

فرفع الطيبين كرفع المؤتين؛ لأن من العرب من يقول النازلون بكل معترك..... الطيبون فهذا مثل (الصابرين).

الآية الثانية عشر قوله تعلى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [سورة آل عمران الآية٣].

" فعلى قراءة من خفف (نزل) يدل على استقلال الجملة التي هي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران الآية٢] ألا ترى أنه لا ضمير في قوله (نزل عليك الكتاب) يعود على اسم الله تعالى فعلى هذا ينبغي أن يكون جملة مستقلة أيضا في قراءة من شدد (الزاء) ونصب (الكتاب) فيكون اسم الله مرفوعاً بالابتداء وقوله (لا إله إلا هو) خبر عنه، ويكون (الحي القيوم) صفة له وثناء عليه، وإن

---

(١) أمالي بن شجري ١/ص٣٤٤ لا يبعدن بفتح العين أما لا يهلكن. وسم العداوة أي هم كالسم لأعدائهم ويقضون عليهم والعداة جمع عاد كقاض وقاضة ، لآفة العلة المرض. والجزر جمع جذور النافة تجزر. والأزر جمع إزار وهو ما سستر النصف الأسفل من البدن والرداء ما يستر النصف الأعلى منه والمعاقد جمع مقعد حيث يعقد الازار ويثني وطيب المعاقد كناية عن العفة وأنها لا تحل الفاحشة، انظر: أماني الشجر ١٤٨/١، وإن الواو في قوله (وأنزل الفرقان تقتضي المغايرة، والغالب أنها عاطفية عطفت جملة على جملة، لا فماذا يكون المراد بالفرقان بعد أن أشارت الآية الأولى وإلى نزول الكتب السماوية القرآن والتوراة والإنجيل، انظر التوجيه اللغوي ص ٢٠٠.

فقد أورد أبوحيان ثمانية أقول في المراد بالفرقان.

المقام مما يدل على أن الآية أن مشكل القرآن التي اختلف فيها المستغربون واللغويين: ونورد بعض في هذه الأقوال:

قيل (وأنزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الإلهية؛ لأنها فارقة بين الحق والباطل ، وذكر بعد ذلك الكتب الثلاثة ليعلم ما عدها فهو من ذكر العام بعد الخاص و فمن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ ﴾ عبس من ٢٧-٣٠.

وقيل المراد بالفرقان القرآن وذكره تشريفاً له مع ما يشمل عليه من هذا الذكر الآخر من الوصف له بأنه بفرق بين الحق والباطل وذكر التنزيل أولاً ، الإنزال ثانياً لكونه جامعاً بين الوصفين فإنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة ثم انزل إلى النبي ﷺ مفرقاً منجماً حسب الحوادث.

وقيل المراد بالفرقان:المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب ، وذلك لأنهم لما أتو هذه افتقدوا في إثبات هذه الدعوة إلى دليل الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات حصلت المعارفة الفرقان: انظر: التوجيه اللغوي لمشكل القرآن ، د. مجدي محمد حسين ، ص١١٧-١١٨.

شئت جعلت (لا إله إلا هو) ثناء عليه معترضاً بين المبتدأ والخبر، ويكون (الحي القيوم) خبرين عنه فيكون له ثلاثة أخبار وإن شئت أن تخبر عند المبتدأ بعشر أخبار أو بأكثر جاز ذلك وحسن لما يتضمنه كل خبر منها في الفائدة فكأنه أخبر عنه وأثنى عليه ثم أخذ يقص الحديث فقال (نزل عليك الكتاب)"[1]. وفي ذلك يقول ابن مالك: وأخبروا باثنين أو بأكثر عن واحد، (كهم سراة شعراء)[2].

الآية الثالثة عشرة تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[آل عمران الآية ١٩٥] " اختلفوا في قوله تعالى (قاتلوا وقتلوا) في تقديم الفعل المبني للفاعل وتأخيره، والتشديد والتخفيف فقراء ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقتّلوا) مشددة التاء وقراء نافع وعاصم وأبو عمرو (وقاتلوا وقتلوا).

فعلى (قراءة حمزة والكسائي (قُتِلوا وقاتلوا) على تقديم الفعل على المفعول به؛ وهذا وإن كان القتال قبل القتل حسن؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى وإن كان مؤخراً في اللفظ؛ لأن الواو لا توجب ترتيباً ويجوز أن يكون المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون لم يهنوا ولم يضعفوا، وعلى قراءة الباقين (وقاتلوا) بالألف وقتلوا بالضم؛ الوجه لأن القتال قبل القتل، وشدد ابن كثير (التاء) (قُتلوا)؛ على الفعل المخفف يقع على القليل والكثير لما في الأفعال من معنى الجنسية، دون الثقيلة لما كانتا معاً لمعنى واحد وهو التأكيد اختار الخفيفة لخفتها)[3]. فقد ظهر لنا دور العلامة الإعرابية واضحاً في الآيات التي تناولناها و إن دل هذا فإنما يدل على أهمية الإعراب والعلامة الإعرابية في تفسير القرآن ومعرفة المعاني المراد منه).

---

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها، مجدي محمد، ص٣٩٧.

(٢) شرح ألفية ابن مالك، لابن عقيل ٢٥٦/١.

(٣) الحجة للفارسي، ٢ /٥٩.

الفصل الرابع

السياق وأثره في تحديد المعنى

المبحث الأول: **تعريف السياق وأهميته**.

المبحث الثاني: **أثر السياق اللغوي على النص القرآني**.

المبحث الثالث: **أثر سياق المقام على النص القرآني**.

المبحث الأول
التعريف بالسياق وأهميته

تعريف السياق:

"السياق في اللغة لفظ ذو تشكيلات عديدة، وفي اللَّسان يأتي بمعنى المتابعة، ومنه (ساق الإبل يسوقها سوقاً وسياقاً، وتساوقت الإبل أي تتابعت"[١] وفي أساس البلاغة إن من المجاز قولهم: فلان يسوق الحديث أحسن سياق، "وهذا الكلام مساقه إلى كذا"[٢] معناه هنا النمط الذي يتخذه الحديث في تتابعه وقريب من هذا ما ورد في المعجم الوسيط: ساق الحديث سرده وسلسله، وساوقه تابعه وسايره وجاراه وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجرى عليه." [٣]

"ولا ريب أنَّ الكلمة قد مرت بتطورات عديدة حتى وصلت إلى معناها الذي نعرفه اليوم. وقد تكون كتب التفسير من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السياق بمعناه الاصطلاحي، كما نجد ذلك في كتب التفسير والفقه، وتطلق لفظة (السياق) في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، وقد تدل على السياق ألفاظ أخرى كالمقام ومقتضى الحال والتأليف وغير ذلك". [٤]

"وفي المعاجم الحديثة يعرَّف السياق بأنه (بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه ويعرفه آخرون بأنه علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه).

والإشارة إلى الدلالة المعجمية لكلمة (سياق) في هذا المقام مهم جداً؛ إذ إنها تساعد على عقد مقارنة بين المعنى اللغوي للسياق وبين الفهم الاصطلاحي لهذا اللفظ، خاصة في الدراسات اللغوية الحديثة وهي التي عنيت بالسياق ودوره في

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، مادة (سوق).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (سوق).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (سوق).

(٤) دراسة في العلاقة بين النص والسياق من سورة البقرة، د. خلود الهموش، عالم الكتاب الحديث عمان الأردن، ط ٢٠٠٨م، د. خلود العموش، ص٢٤.

النص اللغوي، وتشير هذه المعاجم إلى تضافر سياقات عديدة في النص تساهم في صياغة الرسالة اللغوية، وهي السياقات النحوية والبلاغية والصوتية، وانطلاقاً منها يدخل العديد في الاعتبارات النفسية والاجتماعية." (١)

"أما في تراثنا القديم فلم تستخدم لفظ (سياق) عند علمائنا، ولكنهم استخدموا ألفاظاً أخرى مرادفة لها في المعنى، مثل: (السبك والنظم والتركيب والصياغة والصناعة وغير ذلك". (٢)

"إذن البحث في هذا الموضوع واسع سعة البحث اللغوي- وله ارتباط ببعض العلوم الأخرى، مثل علم الدلالة والنحو ذلك، وإن نظرية السياق ذات علاقة وطيدة بهذا العلم الذي يعنى بدراسة المعنى بكل الوسائل اللغوية وغير اللغوية، التي تساعد في الكشف عن الدلالة ووضوحها ورفع الغموض أو اللبس عنها، فالكشف عن الدلالة لا يقتصر كما يعتقد البعض على وضوح المفردات اللغوية ووظائفها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية على مستوى التركيب، بل هناك الكثير من هذه التراكيب لا نستطيع أن ندرك معاني مفرداتها المعجمية وكذا وظائفها اللغوية ولا ندرك دلالتها الكاملة؛ لأنها تفتقد عنصراً مهماً من عناصرها وهذا العنصر سواء كان عنصراً سياقياً أو غير سياق، وهذا يعنى أن تحليل الوظائف اللغوية على مستوى الصوتيات والصرف والنحو والتعرف على العلاقات الصرفية بين المفردات على مستوى المعجم ليس هو غاية المطاف للوصول إلى الفهم الدلالي الكامل للحدث اللغوي." (٣)

---

(١) قد اهتم النقاد والدلاليون واللسانيون والأسلوبيون بالسياق من وجهات مختلفة فدرس (أوستن) استخراج السياق من خلال البنية المختلفة للرسالة اللغوية واهتم علماء الدلالة بالمعنى السياقي، وقصدوا به المعنى الذي يستخرجه المخاطب من الكلام استناداً للسياق... وقيد الأسلوبيون علاقة الأسلوب بمقتضيات السياق المقامي وعلى رأسها الإطار النفسي للحديث كما عدَّ النقاد السياق دعامة رئيسية في تحليل النص الأدبي، والخطاب القرآني، ص ٢٥-٢٦.

(٢) علم اللسانيات، د. عبدالقادر، ص ٥٤٠.

(٣) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، د. عبدالمنعم خليل ط الأولى ٢٠٠٧م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنسر، ص ٩.

"لأن الوصول إلى هذا الفهم الكلامي يتطلب الوقوف على السياق المقالي باعتباره عنصراً هاماً من عناصر المعنى الدلالي والمتتبع لتطور الدرس اللغوي أو علم اللغة سيجد أن النظريات اللغوية على اختلاف مناهجها كانت تركز أحياناً على الوحدة الكبرى أو الجملة من الكلام أو الحدث اللغوي مجرداً عن سياقه.

ثم تطورت هذه المناهج لتوجيه النظر إلى دراسة الجملة في إطار النص أو بتعبير آخر دراسة النص باعتباره وحدة كاملة، بينما تربط نظرية السياق كل هذه الدراسة بإطارها السياقي المتعدد للوصول إلى الدلالة الكاملة للنص أو الحدث اللغوي، وعلى هذا فإن نظرية السياق تشكل ركناً أصيلاً من أركان الدرس اللغوي الحديث والمعاصر؛ ولأنَّ التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا المعنى الحرفي أو المعنى الظاهر للنص وهو معنى فارغ تماماً عن محتواه الاجتماعي والتاريخي ومنعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى" (١).

أهمية السياق:

ومن هذا المنطلق فقد اكتسبت هذه النظرية أهمية خاصة في الدرس اللغوي الحديث يمكن أن تلخص في النقاط الآتية:

١/ السياق بكل عناصره ركيزة هامة في الكشف عن الدلالة ورفع اللبس أو الغموض فالمعنى المعجمي لكثير من المفردات اللغوية معنى عام ومتعدد لا يحدده إلا السياق الذي ترد فيه الكلمة حيث تظهر علاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها بالإضافة إلى المقام الذي يكمل المعنى الدلالي.

كلمة (جلل) تعنى (العظيم) غير أنها في قول الشاعر:

كُلَّ شيءٍ مَا خَلا الموتُ جَلَلٌ وَالفَتَيَ يَسْعَىَ ويُلْهِيه الأَمَلُ(٢)

فكلمة جلل هنا تعنى اليسير، فنجد أثر السياق في تسلسل وتتابع الكلمات واضح ونجد أيضاً قيمته دلالية واضحة من خلال الجملة فقد دل ما تقدم قبل جلل

---

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ص ١٠.

(٢) البيت للبيد في ديوانه، انظر شعر لبيد بن ربيعة تأليف: زكريا عبد الرحمن حسام، مطابع دار النشر، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٢٦.

وتأخر فإنَّ معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ،ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن جلل هنا معناها العظيم. (١)

وهناك الكثير من المفردات اللغوية التي تحمل معاني متضادة تظهر دلالتها بمعونة السياق، فالسياق وحده هو الذي يحدد المعاني الدلالية لهذه الكلمات عن طريق وضعها في سياقاتها الأصلية.

٢/ للسياق دورٌ في تحديد معاني المفردات التي تندرج تحت ما يسمى بالمشترك اللفظي homonymy وهو يعنى دلالة الوحدة المعجمية المفردة على معنيين مختلفين أو بتعبير آخر اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة.

٣/ للسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى الدلالي للكلمات المترادفة. (٢)

٤/ دور السياق في توجيه الإعراب ففي العطف على جواب الجزاء مثلاً نجد ثلاثة أوجه للإعراب(٣) تخضع كلها لما يقصده المتكلم وهو عنصر من عناصر المقام. (٤)

---

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ١٠-١١.

(٢) وينقسم الترادف عند علماء اللغة والمعاجم في العصر الحديث إلى الآتي:

١/ الترادف المطلق absolubesymonymy.

٢/ شبه الترادف near synonymy.

أما الأول فقد اشترطوا في وقوعه أن تطابق الكلمتان في ثلاثة أصول:

أ/ ما تشير إليه الكلمة في الخارجdesignation

ب/ ما تستدعيه الكلمة في الذهن Connotation

ج/ درجة التطابق Range of application

(٣) ففي قولنا من يقصدْني أقصده وأحسنْ إليه يجوز فيه الرفع باعتبار القطع والاستئناف والنصب باعتبار إضمار (أن) والجرم باعتبار العطف على جواب الجزاء وكل هذه الاعتبارات يوضحها المتكلم الذي يستخدم حركة الإعراب للدلالة على المقصود، وفي قولنا هذا محرم شرعاً يمكن أن يكون المنصوب منصوباً على نزع الخافض بمعنى أنه محرم في الشرع أو منصوباً على أنه مفعول لأجله أي لأجل الشرع أو منصوباً على أنه نائب عن المفعول المطلق فنصبه هنا متوقف على الدلالة التي تؤخذ من المقام انظر نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ١١.

(٤) المرجع السابق، ص ١١٢.

٥/ للسياق أثر في التمييز بين كثير من الصيغ الصرفية التي تتفق في الشكل وتختلف في المدلول، فصيغة (فاعل) قد تدل على اسم الفاعل من فعل أو من فاعل وفعل قد تكون للمصدر كضرب أو لاسم معين كبيت أو للصفة كشهم والمرجع في التفرقة بين أمثال هذه الصيغ هو السياق.

٦/ لنظرية السياق أهميته في العمل المعجمي، فالمفردات اللغوية في أصل وضعها إما أن تربطها بدلالاتها علاقة طبيعية، وذلك مثل كلمات حفيف، وخرير وصليل وإما أن ترتبط بهذه الدلالات عن طريق العلاقة الرمزية الاصطلاحية الصرفية التي تكون من صنع المجتمع؛ لأنها تمثل عاداته وتقاليده وثقافته بوجه عام لذا فإن دراسة هذا النوع من الكلمات ذو علاقة متينة بنظرية السياق التي يعد المجتمع بكل ما فيه عنصراً من عناصرها، وبناءً على ذلك فإن الدلالة المعجمية لهذه الكلمات تتطلب أن يجمع المعجمي عدداً من السياقات التي تستخدم فيها الكلمة داخل المجتمع ليصل إلى المعنى المقصود." (١).

تلك هي أهم الأسباب التي جعلت لهذه النظرية أهمية خاصة في الدرس اللغوي. (٢)

"ومع تعدد هذه الميادين واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها، فإنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة للأداء اللغوي في وظيفته التواصلية والإبلاغية لدى كل من منتج للكلام والمتلقي، وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية". (٣)

ولذا فإن السياق كما قيل: يشغل في البحث اللغوي المعاصر حيزاً واسعاً ويستحوذ دوره في تحديد الدلالة على انتباه الباحثين اللغويين ويستأثر باهتمامهم حتى يصير نظرية مكتملة ترتبط بجهود علماء كثيرين يأتي في مقدمتهم عالم اللغة الإنكليزي فيرث الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة ويؤكد هؤلاء

---

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبدالمنعم، ص ١٢-١٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٤.

(٣) الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص ٢٦.

العلماء إن معنى الكلمة لا يحدده استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة." (١)

"وبيان ذلك أن معظم الوحدات تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها." (٢)

"وعلى هذا فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة على هذا يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى لتوزيعها اللغوي." (٣)

إذاً "إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة صارت حجر أساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، كما أنها أحدثت ثورة في طريق التحليل الأدبي ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الإسناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتاً، كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات مما ظهر على يد العالمين أوجدن وريتشاردز، وفق هذا كله وضعت مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما سماه فيرث ترتيب الحقائق في سلسة من السياقات أي سياقات كل واحد منها ينطوي تحت سياق آخر، ولكل واحد منها وظيفة بنفسه وهو عضو في سياق أكبر وفي كل السياقات الأخرى وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة، وإن علماء اللغة العرب والأصوليين كانوا قد انتبهوا قبل أن يقرر البحث اللغوي المعاصر لهذه الحقائق ووضعوها في إطار أوسع يعني (نظرية السياق) والتنبه إلى جملة من الحقائق المتصلة بقوام هذه النظرية من علماء اللغة والنحو، والأصول يقررون بوضوح أن

---

(١) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر، ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها الدكتور صاحب أبوجناح كلية الآداب جامعة مؤتة الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨م- ١٤١٩هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأردن ص ٢٠٧-٢٠٩.

السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان: آية ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير." (١).

"ولذلك فإن المنهج النظري اللغوي المعاصر استقرت رؤيته على مبدأ التعامل مع النص كلاً واحداً لا يتجزأ فالأسلوبيون والسياقيون يرون أن السياق ينبغي أن لا يقتصر على الكلمات والجمل والحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل ينبغي أن يشمل القطعة كلها والكتابة كلها كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات.

وهذه النظرية المنهجية كانت واضحة لدى كثير من علماء اللغة فقد تأكد لديهم أهمية الوعي بالظروف والملابسات المحيطة بالنص فضلاً عما توحي به الدلالات اللغوية لمفرداته ومكوناته العامة." (٢)

"وإذا كان المعنى في البحث اللغوي المعاصر مركباً من مجموعة من الوظائف اللغوية إلى جانب العناصر غير اللغوية تشمل الوظيفة الصوتية ثم الصرفية والنحوية والمعجمية، فإن علماء التفسير إدراكاً منهم لهذه الحقيقة وضعوا شروطاً في المفسر تتمثل في الآتي:

إتقانه لمجموعة من العلوم تنسجم مع مراحل التحليل المذكورة عند السياقيين فاشترطوا في المفسر أن يكون عالماً بالقراءات وهي الجانب الصوتي في الأداء الذي يترجح به بعض الوجوه المحتملة على بعض وأن يكون متقناً لعلم التصريف والاشتقاق وعلم النحو والمعاني والبيان والبديع والمعجم وما يتصل به من علم اللغة الذي يعرف بشرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

---

(١) دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، أبوجناح، ص ٢٠٩-٢٠١.

(٢) المرجع السابق، ص٢١١

"وإذا كانت هذه الإشارات جلية في توضيح الإطار النظري الذي رسمه الأصوليون وجلَّهم من المنشغلين بدراسة اللغة والنحو لعنصر السياق ودوره في عملية الأداء اللغوي والوظيفة الإبلاغية للغة، فإن أئمة النحو واللغة كانوا قد تنبَّهوا منذ وقت مبكر إلى دور السياق في فهم النص اللغوي والتعامل معه، بل إلى الدور المهم الذي يشغله في نظرية المعنى عندهم، ومن ثم انطلقت تحليلاتهم للنص من خلال تصوير الموقف الذي أطلق فيه النص أو ارتجل فيه حتى يتيسر لتلاميذهم الوقوف على مجمل الملابسات والدواعي التي رافقت عملية التعبير وأسهمت في توجيهها واختيار الصيغة الملائمة لها.

وتظهر المؤلفات الأولى التي تنبَّه لدور السياق في فهم النص وتحليل الوظائف اللغوية المكونة لنسجه وبنيته في أقدم النصوص النحوية المدونة التي بين أيدينا." (١).

كما نجد في كتب اللغة القديمة "عبارات وحكايات متعددة محكية عن العرب منها عبارات مختصرة يغلب عليها طابع الإختزال والتكثيف لكثرة ما ترددت على ألسنتهم ومنها عبارات مجتزأة يصح القول عنها إنها مبتورة اعتمد فيها على فهم السامع وحسن إدراكه وهي (حالة ما إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بما تضمره) وذلك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج قاصداً في هيئة الحاج فقلت مكة ورب الكعبة، حيث كان أنه يريد مكة كأنك قلت: يريد مكة والله أو رأيت رجلاً يسدد سهماً قلت القرطاس فقلت: القرطاس والله أي يصيب القرطاس وإذا سمعت وقع السهم قبل القرطاس قلت: القرطاس والله أي أصاب القرطاس ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة أبي أبصروا الهلال." (٢)

وفي ذلك يقول أبوجناح عندما تحدث عن دور سيبويه في هذا العنصر "وهو بصدد أداء هذه المهمة في إيضاح هذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب وتحليل الظواهر الإعرابية الموافقة لها تعبيراً عن وظائف كلامية معرفة يستعيد

---

(١) دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، أبوجناح، ص ٢١٢-٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٤.

السياق الذي ولدت فيه والجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافق ولادتها مما سماه (الحال) أو المقام الذي قيلت فيه ولعل أخطر ما تنبه له اللغويون العرب المتقدمون في مجال التنويه بدور السياق رصدهم لظاهرة التحول الدلالي بسبب تغير السياق وقد سجلوا صوراً من انتقال دلالة التركيب النحوي من مفهوم وضعت له في الأصل إلى مفهوم آخر جديد.

ويوضح هذه النظرية بقوله: "قد يدخل المعنى في اللفظ دون السياق فمن ذلك قوله (عَلِمَ الله لأفعلن) لفظه لفظ رزق الله أي خبر ومعناه القسم ومن ذلك قوله (غفر الله لزيد) لفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء ومن ذلك أنك تقول تالله لأفعلن فتقسم على معنى العجب ولا تدخل التاء على شيء من أسماء الله غير هذا الاسم؛ لأن المعنى الذي يوجب التعجب إنما وقع هاهنا، وقولك: غفر الله لزيد فلفظه لفظ ما قد وقع ومعناه أسأل الله أن يغفر له، فلما علم السامع أنك غير مخبر عن الله بأنه فعل جاز أن يقع ما ذكرناه ولم يفهم عن قائله إلا على ذلك." (١).

وفي ذلك قولهم: إنَّ همزة الاستفهام تخرج عن الاستفهام الحقيقي لثمانية معان. (٢)

إذاً من خلال سردنا لهذه النظرية "إن مزية الألفاظ في تركيبها لا في إفرادها، وعلم بان التفاوت والتفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأنّ تركيب أعسر وأشق ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث إنفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلاَّ بفضل التراكيب"(٣).

---

(١) نظرية السياق، عبد المنعم، ص٢١٨.

(٢) منها همزة التسوية، والإنكار والإبطال، والإنكار التوبيخي، والتقرير والتهكم والأمر والتعجب والاستبطاء وذكر بعضهم معان آخر لا صحة لها وقد عقب الدمامين قائلاً أي لا مانع من أن همزة الاستفهام عند امتناع حملها على حقيقة الاستفهام أن يتولد لها بمعونة القرائن ما يناسب المقام غير ما ذكر من المعاني الثمانية وقد أكد المتبني لهذا الاحتمال الذي يتولد بمعونة القرائن السياقية بقوله: من استعمال الهمزة للتهديد والوعيد قوله تعالى: (أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ) [سورة المرسلات الآية ١٦] ولتهديد ليس في المعاني الثمانية التي ذكرت أنظر كتاب نظرية في دراسة النحو العربي وتطبيقاتها، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) نظرية السياق، أبو جناح، ص٢١٩.

ويتضح لنا ذلك أن هذه التقسيمات الأربعة تخضع لنظرية السياق سواء كان السياق الصوتي الذي يتعلق بذوق العربي للكلمة والحروف التي ركبت منها أو سياقها التركيبي داخل نظم المفردات التي هي وعاء المعاني.

وقد ذكرنا سابقاً أن علماءنا قد تصدوا لنظرية السياق تحت ما يسمى بالنظم والمعنى أو السبك وغير ذلك من مصطلحاتهم فمن هؤلاء عبدالقاهر الجرجاني: الذي تعرض لنظرية السياق في باب (اللفظ والنظم فقال: إنَّ الألفاظ ما هي إلا رموز للمعاني المفردة تدل عليها هذه الرموز أو هي مجرد علامات أو إشارة إلى شيء (ما) وليست الدلالة على حقيقته، فإن الإنسان يعرف مدلول اللفظ المفرد أولاً، ثم يعرف هذا الذي يدل عليه.

ثانياً: فإن الدلالة على حقيقة الشيء لا تكون إلا إذا نظمت تلك الألفاظ في (سياق معين). (١)

إذن يتضح لنا مما سبق من كلام الجرجاني أن الألفاظ والمعاني تتلاحم فيما بينها لأداء الدلالة المقصودة، لأن اللفظ عنده خدم للمعاني. وإن المعاني كالجواري وأن الألفاظ كالمعارض.

"وقد تناول النقاد نظرية النظم والسياق تحت ما يعرف بالدراسات الأدبية والنقدية لتعلقها بسر الإبداع في الأساليب العربية فإنَّ قضية الشكل والمضمون قد شغلت علماء اللغة قديماً وحديثاً لأهميتها في الحدث الكلامي وخاصة في اللغة العربية عامة والقرآن الكريم بصفة خاصة. ولهذا يقول على رمضان: (كانت المعركة على أشدها بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، وهي قضية نقدية أصلية بين (اللفظ والمعنى) وصل إليها نقَّاد العرب في القرن الثالث الهجري على يد أبي عثمان الجاحظ الذي عنى باللفظ والمعنى معاً، ولكن ليس هو أول من اعتنق مذهب الصياغة والصناعة فقد سبقه إليه بعض النقاد العرب." (٢)

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، بلاغته ونقده: علي رمضان، ص ٢٥.

(٢) عبد القاهر الجرجاني بالغته ونقده، ص ٢٥.

ويقول على رمضان عندما سمع الجاحظ أبا عمر الشيباني قد استحسن بيتين من الشعر لحسن معناهما مع سوء العبارة واللفظ:

لا تَحسبَنَّ الموتَ مَوْتَ البِلىَ فإنَّمَا المَوتُ سُؤَالُ الرِّجالِ

كَلاهُمَا مَوْتٌ وَلكَن ذا أشدُ من ذاك لِذلِّ السُّؤالِ[1]

قال الجاحظ معلقاً على هذين البيتين: (أنا ازعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً). [2]

أيضاً من قوله في المعنى والنظم قولته الشهيرة: (إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما البيان في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثر الماء وصحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير).

"فإن سر الإبداع في الأساليب راجع لجمال النظم وحسن الصياغة فيها ويستشهد بالآية الكريمة ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ [سورة الأنفال: آية ٥٨] يقول فيها لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية للمعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستودعها فتقول: (إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة أو نقضاً فأعلمهم أنَّك قد نقضت ما شرطت لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء وهذا الكلام من صميم النظم وعلاقات الترابط بين اللفظ والمعنى"[3].

إذن القرآن الكريم كما ذكرنا "قد اهتم بالنظم والسياق وأنه (أي القرآن) يأخذ المعنى المعجمي ويهتم بالصورة الصوتية والنظم والسياق في نفس الوقت وهذا الارتباط بين اللفظ والمعنى لا سبيل إلى الفكاك عنه، وإن الإنسان ليقرأ النص القرآني فيعجب لهذه المواقف والمشاعر المتباينة التي يمر بها أو تمر عليه ينشرح

---

(١) كتاب الحيوان، أبوعمرو بن جريد محبوب الكناني المعروف بالجاحظ البصري من أشهر مؤلفاته كتاب الحيوان، البيان والتبيين وهو معتزلي، توفى ٢٥٥هـ، ٢١٩/١ باب شعر ابن المقفع.

(٢) المرجع السابق، ١٣١/١-١٣٢.

(٣) ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية، د.محمد الحربي، ط ١، ص ١٩٦.

صدره تارة ويرتعد تارة أخرى وتفيض عيناه بالدمع وترتعد فرائصه من الرُّعب وتتوالى أمامه الصورة فكأنما يكاد يلمس المعنى بيديه أو يراه بعينيه، ومن الطبيعي أن هذا التأثير لا يتأتي من مجرد المعنى الأصلي للكلمات بل مما يفعله السياق اللغوي في نفس القارئ مع أخذ المعنى في الاعتبار"[1].

لذلك نجد أن القرآن الكريم يهتم بكل الجوانب السياقية والصوتية والصرفية وعندما نتحدث عن المخارج والأصوات المجهورة والمهموسة ما هو إلا نوع من الظواهر الصياغية والإدغام والإظهار ظاهرة سياقه وكراهية توالى الأمثال أيضاً سياقية والتناسب وحركة المناسبة والمتقاربان، والمتماثلان والحذف والإسكان والإشباع والإضعاف والنبر والتنغيم والإعلال والإبدال مروراً بالقواعد النحوية والصرفية كلها في الحقيقة تتلاحم فيما بينها لتكوِّن لنا جملة لتوصلنا إلى المعنى المقصود من اللفظ ولتتماشى معا لذوق العربي وحسن الأداء للغة العربية وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل: آية ١٠٣]

"ومع تعدد هذه الميادين واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها فأنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والابلاغية لدى كل من منتج الكلام والمتلقي، وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية ويأتي السياق في نوعين:

١/ السياق اللغوي.

٢/ السياق الحالي.

---

(١) كتاب ودراسات قيم في علم القلم، ص ٢٩٧.

المبحث الثاني

أثر السياق اللغوي على النص القرآني

مدخل:

"السياق اللغوي Linguistic- context وهو يعنى ذلك المعنى الذي ورد لهذه الكلمة في المعجم أي معنى الكلمة في الجملة أو العبارة أو بمعنى آخر المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب فقد نجد كلمة ما يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكوّن معها جملة أو عبارة من ذلك مثل كلمة "ضرب" فهي تعنى:

١/ ضرب مدفعاً بمعنى أطلقه.

٢/ ضرب النار بمعنى أشعل.

٣/ ضرب البوق بمعنى زمَّر.

٤/ ضرب الإسلام الجاهلية بمعنى أبطلها.

ونجد في ذلك أن السياق وحده هو الذي يحدد المعنى المقصود من بين هذه المعاني المختلفة لهذه الكلمة الواحدة وقد ساق الإمام السيوطي(١) أمثلة من القرآن الكريم لبعض الألفاظ التي تأتي بمعان متعددة يحددها السياق. (٢)

ويقول من ذلك الهدى،يأتي على سبعة عشر وجهاً بمعنى الثبات ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: آية ٦] البيان ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [البقرة: آية ٥] وبمعنى الدين والدعاء ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:آية٧] ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٧٣] بمعنى القرآن ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [سورة النجم: ٢٣]وبمعنى

---

(١) هو عبدالرحمن ابن أبي بكر بن محمد الحضري السيوطي، إمام وحافظ ومؤرخ، له نحو ٦٠٠ مصنف من مؤلفاته الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، وجمع الجوامع وهمع الهوامع. انظر: كتاب الأعلام للزركلي ٣/ ٣٠١.

(٢) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ٣٥-٣٧.

الإيمان ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾ [سورة مريم: ٧٦] المعرفة ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[سورة النحل: آية ١٦]"[١].

ولذا "فإن السياق اللغوي في النظرية السياقية هو عبارة عن نظم الكلمة في الجملة وموقعها من ذلك النظم وعلاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها وأن هذه العلاقة في الإطار اللغوي تعتبر كل كلمة هي وحدة لغوية تأخذ مكانها المناسب داخل النظام هذا المكان المناسب هو الذي يحدد معنى الكلمة ولعل مفهوم السياق ودوره يتضح بشكل جلي".

وخلاصة القول "إن المقصود بالسياق اللغوي في الاصطلاح هو ما عبر عنه علماء اللغة بأنه (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم).

لذا "فإن السياق اللغوي كالطريق لابد من معالم توضيحية له، ولاشك أن مباني التقسيم وما تبدو فيه من صيغ صرفية وصور شكلية وكذلك مباني التصريف لما تمتاز به من لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جداً توضح منحنيات هذا الطريق ولكن السياق حتى وضوح الصيغ واللواصق يظل بحاجة إلى الكثير من القرائن الأخرى التي تتضح بها العلاقات العضوية في السياق بين الكلمات."[٢]

ويقودنا هذا إلى الحديث عن مكونات هذا النوع من السياق التي تُعين على توضيح العلاقات والوظائف التي تحكم تلك المكونات والعلاقات تلك التي تكون بين الضمائر أو الأبواب في الجملة، مثل علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله ومفعوله أو

---

(١) ويمضى السيوطي في ذكر هذه الكلمات متتبعاً معانيها في سياق الآي أنظر كتاب الإتقان في علوم القرآن بل أفرد لهذا النوع كتاباً سماه معترك الأقران في إعجاز القرآن والإتقان في علوم القرآن، ص ٢٩٩.

(٢) ويقصد بمباني التقسيم الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة: اسم الفعل اسم الصوت صيغة التعجب وفعلي المدح والذم والظرف والأداة، ويقصد بمباني التصريف صور التعبير عن الشخص (التكلم، الخطاب الغيبة) العدد (الأفراد والتثنية الجمع) النوع: التذكير التأنيث التعيين (التعريف التنكير) ويقصد باللواصق الضمائر المتصلة وحروف المضارعة ألف التثنية واو الجماعة تاء التأنيث ألف القصر وهمزة المد وتاء التأنيث ونون النسوة والألف واللام للتعريف، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٣٤.

ضمنية معينة تثبت علاقة أو جهة خاصة في الجملة كباقي المفاعيل والحال، والاستثناء والتميز والتوابع إلى غير ذلك." (١)

ولذلك فإن هذه الدراسة يظهر فيها دور السياق وأهميته في تفسير وفهم دلالة الجمل ويعتبر عنصراً مهماً من عناصر الدلالة، فإن كل النظريات والمدارس التي ذهبت مذاهب شتى في شأن دراسة المعنى، كانت أهدافها الوصول إلى ما وراء الرموز اللغوية من معانٍ، وفك تلك الرموز ما كان منها واضحاً أو خفياً- ومن المفترض ألا يكون هناك معنى خافٍ مبهمٌ إلا إذا غاب المنهج المتكامل لدراسة المعنى.

ولقد فصلنا القول فيما مضى عن أهمية نظرية السياق قديماً، وحديثاً، وما تقدمه من وسائل متعددة تجعل منها منهجاً متكاملاً، يتضح به كل قول، ويتذلل كل معنى عسرت مسالكه بالعموم والغموض، أو بالتعدد والاحتمال.

ولقد تركت لنا اللغة العربية في رحلة حياتها الطويلة المليئة بالحضارات نصوصاً خالدة نثراً ونظماً وقف عندها الشراح والمفسرون متفقين تارة ومختلفين تارة أخرى.

وإن الكلمة في السياق تستوعب بُعداً دلالياً علاوة على معناها المعجمي الذي تحمله، لأن السياق يربطها بما قبلها وما بعدها وأحياناً بمقامها ومحيطها لذا نجد بعض المعاصرين كتمام حسان وغيره يتكلمون كثيراً عن نظرية السياق ودورها في تفسير النص باعتبارها خادمة للنص من كل جوانبه لغوية وغير لغوية في ملابسات وظروف خارجية.

ونجد أن اولمان قد عدها حجر الأساس في علم المعنى يقول: " إنَّ نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن- وفوق هذا كله فقد

---

(١) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، د.محمد صلاح الدين مصطفى، الكويت مؤسسة الصباح، ط ١٩٦٢، ٢٣/٢.

وضعت نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق ما سماه الأستاذ (فيرث) ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات أي سياقات كل واحد ينضوي تحت سياق آخر ولكل واحد منهما وظيفة بنفسه وهو عضو في سياق أكبر وفي كل السياقات الأخرى وله مكانه الخاص في ما يمكن أن نسميه سياق الثقافة" [١].

"فارتباط الكلمة بما قبلها وما بعدها يكاد يكون هو الفصل في البعد الدلالي للكلمة، ثم العلاقة بين الجملة والجملة وهذا ما نلحظه عند علماء القراءات تحت اسم (علم المناسبة بين الآيات والسور فهم يبحثون عن دلالة السياق بين الآيات والسور ليكتشفوا من خلالها الروابط العقلية أو الذهنية أو اللغوية؛ لأن المناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص وحدة بنائية متماسكة لذلك تحتاج إلى نفاذ بصيرة لاقتحام آفاق النص الإلهي.

يقول الزرقاني: في وحدة ترابط النص (وبيان ذلك أنَّ القرآن الكريم نقرأه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوى الإتصال أخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجرى دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه... نظمت حروفه وكلماته وبدأ أوله مواتياً لآخره." [٢]

ومنه قول السيوطي عند المناسبة بين سورة البينة وسورة الزلزلة أقول: لما ذكر في آخر (لم يكن) إن جزاء الكافرين جهنم وجزاء المؤمنين جنات فكأنه قيل متى ذلك. فقيل (إذا زلزلت الأرض زلزالها)" [٣].

ولأهمية السياق ودوره في تحديد النص اللغوي رأى الباحث أنه لابد من أن يتناول هذا الجانب وذلك برؤيته المتواضعة والقاصر في هذا الجانب مستعيناً بما رسمه علماء القرآن الكريم واللغة والتفسير ونحو وغيرهم في هذا المجال الحيوي الذي يستحق البحث والقراءة والتمحيص حتى يتجلى دور السياق واضحاً جلياً ويعين القارئ والباحث على فهم القرآن الكريم واللغة العربية.

---

(١) دور الكلمة في اللغة، اولمان ترجمة كمال بشر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٢م، ص٦٦-٦٧.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني محمد عبدالعظيم تصحيح أمين سليم، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٨م، ٤٤/١.

(٣) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ٢٩٧.

الآيـة الأولـى قولـه تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧] دار خلاف شديد بين النحاة والمفسرين.

في الواو من قوله تعالى (والراسخون) هل هي استئنافية فيوقف على ما قبلها أم عاطفة فيوصل ما قبلها بما بعدها؟ وبمعنى أدق هل يكون علم تأويل المتشابه قاصراً على الله أم يشاركه في علمه الراسخون في العلم؟

فمن قال الواو استئنافية وهو قول تميل إليه أغلب آراء المفسرين[١] والتقدير عند ابن هشام: "وأما الراسخون في العلم وعلى هذا يكون الوقف عنده على قوله { وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ } وكأنه تعالى قال: (وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به) وزعم أنه جاز حذفها لأنه قد جرى ذكرها وهو قوله تعالى: { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ }." [٢].

ويقول الزمخشري: "أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يُحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضَّوا عليه بضرس قاطع"[٣]

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣٣٣/١.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، ص٦٣.

(٣) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد، ص١٢٢.

"وظاهر التركيب يتعارض مع ما ذهب إليه الزمخشري، إذ لو كانت الواو عاطفة لأدى ذلك إلى اللبس؛ لأن قوله { يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا } سيكون صادراً في هذه الحالة من الله ومن الراسخين وهذا كلام لا يستقيم."(١)

وفي ذلك يقول يحيي رمضان: "والحقيقة أنَّ من يتتبع هذه المسألة سيجد خلطاً كبيراً إلى الحد الذي يصبح فيه أحد الصحابة كابن عباس-ﷺ= قائلاً بالوقف وضده فهو قال بالوقف على الله وفي الوقت نفسه بالوقف على (الراسخون في العلم) وهو يعتبر من القائلين بعدم قدرة البشر على معرفة المتشابه، ينقل عنه أنه قال: (أعلم كل القرآن إلا أربعة الغسلين والحنان والرقيم ثم روى عنه أنه علم ذلك وروى عنه أنه كان يقول الراسخون في العلم يعلمون تأويله وأنا ممن يعلم تأويله.".

وقال يحيي رمضان نقلاً عن أبي إسحاق الشيرازي القول بالعطف وقال ليس في القرآن شيء أستأثر الله بعلمه بل وقف العلماء عليه؛ لأنَّ الله تعالى أورد هذا مدحاً للعلماء فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة وبطل مدحهم"(٢).

ويسأل يحيي رمضان سؤالاً عن قوله تعالى:{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ } الواو للعطف أم الأولى الوقف على الله قلنا كل واحد محتمل فإن كان المراد يوم القيامة فالوقف أولى وإلاَّ فالعطف إذ الظاهر إنَّ الله تعالى لا يخاطب العرب بما لا سبيل إلى معرفته لأحد من الخلق."(٣).

ويظهر دور السياق هنا في تفسير وإعراب الآية الكريمة من خلال العطف أو الاستئناف الذي يعتبر نوعاً من أنواع السياق اللغوي الذي يربط الجمل بعضها

---

(١) قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) معناه إنَّ أستأثر بعلم تأويل المتشابه وهو قول ابن سعود ومالك بن أنس وابن عباس والحسن وعروة وعمر بن عبدالعزيز وعائشة وغيرهم وحيئذ (الراسخون) يكون مبتدأ (ويقولون) خبر عنه، ومنهم من قال بالعطف واستدل بدعاء الرسول-ﷺ- لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، ما يبين ذلك أي علَّمه معاني كتابك وكان عمر إذا وقع مشكل في كتاب الله يستدعي بن عباس ويقول له غيص غوَّاص ويجمع أبناء المهاجرين والأنصار ويأمرهم بالنظر في معاني الكتاب أنظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي القرناطي في تفسير قوله تعالى { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ} التوجيه اللغوي لمشكل القرآن الكريم، مجدي حسين، جامعة الإسكندرية، ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق ١٢٣

(٣) المرجع السابق ١٢٤.

ببعض فمن هنا نجد أن المعنى الدلالي اختلف باختلاف الواو وموقعها من الجملة هل هي استئنافية أم عاطفة بين الجملتين ولكل من الإعرابين اختلاف دلالي.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ [سورة النساء: الآية١٢٩]

قوله تعالى: { فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ }. ففي الآية الكريمة نهى للرجل على أن يحيف بين نسائه وأن لا يعدل بينهن فلا يترك المرأة معلقة، إلا أن السياق جاء لينوع لنا الدلالة ويعطيها قوة في المعنى، والنهى، قال في الدر المصون "فتذرها" فيها وجهان:

أحدهما: أنه منصوب بإضمار "أن" في جواب النهى.

الثاني: أنه مجزوم عطفاً على الفعل قبله أي لا تذروها.

ففي الأول نهى عن الجمع بينهما،وفي الثاني نهى عن كلٍ على حِدَتِهِ وهو أبلغ والضمير في "تذروها" يعود إلى المميل عنها لدلالة السياق عليها وبقوله "كالمعلقة" حال من "الهاء" في "تذروها" فيتعلق بمحذوف أي فتذروها مشبهة المعلقة ويجوز عندي أن يكون مفعولاً ثانياً، لأنَّ قوله "تذر" بمعنى تترك وترك يتعدى لاثنين إذا كان بمعنى صيَّر." (١)

فدور السياق هنا يظهر من خلال الوجهين اللذين ذكرهما صاحب الدر المصون فمن نصب (تذروها) جعل أن مضمرة مربوطة بالسياق في جواب النهي أي فلا تذروها ومن جزمها جعلها معطوفة على الفعل الذي قبلها.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية٤٤]

---

(١) الدرر المصون، للسمين، ١١١/٣.

"فالضمير في "نوحيه" قيل عائد إلى "ذلك" إشارة إلى ما تقدم ذكره من قصص امرأة عمرنا وبنتها مريم وزكريا ويحيي، وقيل أنه عائد على الغيب أي شأننا أننا نوحي إليك الغيب ونعلمك،ولذلك أتي بالمضارع ويكون أكثر فائدة من عود الضمير على ذلك؛ إذ يشمل ما تقدم من القصص وغيرها التي يوحيها إليه في المستقبل إذ يصير نظير زيد يطعم المساكين فيكون إخبار بالحالة الدائمة والمستعمل في هذا المعنى إنَّما هو المضارع إذ يلزم من عوده على ذلك أن يكون نوحيه بمعنى أوحيناه إليك؛ لأنَّ الوحي به قد وقع وانفصل فيكون أبعد في المجاز منه؛ إذا كان شاملاً لهذه القصص وغيرها." (١)

"وقيل إن الضمير في "نوحيه" عائد على الغيب أي الأمر والشأن إنا نوحي إليك الغيب ونعلمك ونظهرك على قصص من تقدمك مع عدم مدارستك لأهل العلم والإخبار، وذلك أتي بالمضارع في "نوحيه" وهذا أحسن من عوده على "ذلك"؛ لأن عوده على الغيب يشمل ما تقدم من القصص وما لم يتقدم منها، ولو أعدته على ذلك اختص بما مضى وتقدم وقيل أن يكون "نوحيه" هو الخبر "ومن أنباء الغيب" على وجهيه المتقدمين من كونه حالاً من ذلك أو متعلقاً بنوحيه"(٢).

فأثر السياق فهو مرجع ضمير الخطاب (إليك) العائد إلى ما تقدم ذكره من قوله تعالى من أنباء الغيب أي قصص آل عمران التي تقدم ذكرها أم هو عائد على الغيب أي شأننا أننا نوحي إليك الغيب فالسياق سياق جمل لربط الجمل فيما بينها.

---

(١) مرجع الضمير في القرآن الكريم، د. محمد حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢٠٠١، ص ١٣٤.

(٢) الدر المصون، السمين ٣/ ١٧٠.

الآيـة الرابعـة قولـه تعـالى ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا[1] حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]

نجد "أن كلمة "شفا" مذكر ولكن الضمير في "منها" يعود على مؤنث وهو مقام الشاهد عندنا فكيف يعود الضمير المؤنث على المذكر ولابد من المطابقة.

قيل جاء الضمير مؤنثاً لأنَّ معنى الشفه وهي مؤنثة وقيل اكتسب كلمة "شفا" التأنيث من المضاف إليه حفرة كما يقال "قطعت بعض أصابعه" فإنَّ المضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه إذا كان بعضاً منه أو فعلاً له أو صفة كما صرح به بن مالك بقوله:

وُربَّما أكسبَ ثانٍ أولاَ * تأنيثاً إن كان للحذفِ موهلا[2]

ومنه قول الشاعر:

وتُشْرِقُ بالْقُوْلِ الَّذي أَذَعْتُهُ * كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ بالدمِ[3].

وقيل عود الضمير إلى الحفرة أتم؛ لأنها هي التي يمتنَّ بالإنقاذ منها حقيقة وأمَّا الامتنان بالإنقاذ من الشفا قلما يستلزمه الكون على الشف غالباً من الهوى إلى الحفر فيكون الإنقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة التي يتوقع فيها إضافة المنة إلى الإنقاذ من الحفرة أبلغ وأوقع مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إليه قد عدوه من ضروريات الشعر، وقوله: "فأنقذكم منها" ولم يقل منه، لأن المقصود في الخبر "النار" أي فأنقذكم منها النبي –ﷺ– أي أن الضمير أُنث لأنه يعود على النار.

---

(١) شفا الشيء طرفه وحرفه وهو مقصور من ذوات الواو يثني الواو نحو شفوين ويكتب بالألف ويجمع على اشفاء ويستعمل مضافاً إلى أعلى الشف وإلى أسفله فمن الأول شفا جرف ومن الثاني هذه الآية وأشفى على كذا أي قاربه ومنه اشفى المريض على المرض يقال للرجل عند موته وللقمر عند محاقه وللشمس عند غروبها ما بقي منه أو منها غير شفاء أي إلا قليل... انظر التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص١٣٥.

(٢) ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ص ٩٠.

(٣) البيت من الطويل وهو للأعشى في ديوانه ص١٧٣، والأشباه والنظائر ٢٢٥/٥. والشاهد فيه قوله: وتُشرِقُ بالقولِ الذي أذعتُهُ حيث أكسب المضاف وهو قوله صدر من المضاف إليه وهو القناة التأنيث وذلك جاء في العربية إذا صح الحذف كما سبق في قول ابن مالك.

وقال أبوحيان: لا يحسن عود الضمير إلا على الشفا؛ لأن كونهم على الشفا هو أحد جزئي الإسناد فالضمير لا يعود إلا عليه، أما ذكر الحفرة فإنما جاءت على سبيل الإضافة إليها ألا ترى أنك إذا قلت كان زيد غلام جعفر ولم يكن جعفر محدثاً عنه وليس أحد جزئي الإسناد وكذلك لو قلت: ضرب زيد غلام هند لم تحدث عن هند بشيء وإنما ذكرت جعفر وهند مخصصاً للمحدث عنه إما إذا ذكر النار فإنما جئ بها لتخصيص الحفرة وليست أيضاً أحد جزئي الإسناد لها"[1].

وقال الزمخشري أيضاً: "إن الضمير يعود على "الشفا"؛ لأنه هو الذي كانوا عليه ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالإنقاذ من الحفرة وقد علم أنهم كانوا صائرين إليها لولا الإنقاذ الرباني فبولغ في الإتيان بذلك ألا ترى إلى قوله –ﷺ– (الرَّاعِي حَوْلَ الحَمِى يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فِيه)[2] ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾[سورة التوبة: الآية ١٠٩]

فانظر كيف جعل كون البنيان على الشفا سبباً مؤدياً إلى انهياره في نار جهنم مع تأكيد الحفرة ذلك بقوله (هار)"[3].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٠]

نجد أن دور السياق في قراءة من قرأ بالغيبة وقراءة من قرأ بالخطاب في تحديد توجيه المعنى الدلالي في الآية الكريمة.

"فقد قرأ حمزة بالخطاب: والباقون بالغيبة"[4].

فعلى قراءة حمزة فا"الذين" مفعول أول و"خيراً" هو المفعول الثاني، ولابد من حذف مضاف ليصدق الخبر على المبتدأ وتقديره{وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ }.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان، ١١٤/٣.

(٢) سنن ابن ماجة، ١٣١٨/٢، دار الفكر، بيروت، د. ت.

(٣) الكشاف للزمخشري ٥٢٢/١.

(٤) الحجة في القراءات السبعة للفارسي ٥٦/٢

وقال أبو البقاء وهو ضعيف؛ لأنَّ فيه إضمار البخل قبل ذكر ما يدل عليه وفيه نظر؛ لأن الدلالة على المحذوف قد تكون متقدمة وقد تكون متأخرة،وليس هذا من باب الإضمار في شيء حتى يشترط فيه تقدم ما يدل على ذلك الضمير.

وهو فيه وجهان أحدهما: أنه فصل بين مفعولي تحسبنَّ والثاني أنه توكيد وهو خطأ؛ لأنَّ المضمر لا يؤكد المظهر والمفعول الأول اسم مظهر ولكنه حذف كما تقدم،أما قراءة الجماعة فيجوز فيه الآتي:

١/ أن يكون الفعل مسنداً إلى ضمير غائب إمَّا المرسول وما حاسب ما، ويجوز أن يكون مسنداً إلى الذين فإن كان مسند إلى ضمير غائب فا"الذين" مفعول أول على حذف مضاف كما تقدم ذلك في قراءة حمزة أي "بخل الذين يبخلون" والتقدير ولا يحسبنَّ الرسول أو أحد بخل الذين يبخلون خيراً و"هو" فصل كما تقدم، وإن كان مسنداً لـ"الذين" ففي المفعول الأول وجهان أحدهما أنه محذوف لدلالة يبخلون عليه كأنه قيل "ولا يحسبنَّ الباخلون بخلهم هو خيراً لهم" و"هو" فصل ودل على هذا يبخلون كما دل على السفيه السَّفه في قول:

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليه وخَالَفُ والسَّفَيَهُ إلى خِلافٍ(١).

أي جرى إلى السفه وليست الدلالة فيها سواء لوجهين أحدهما أن دلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل عليه والوجه الثاني: أن "هو" أنه المفعول نفسه وهو ضمير البخل الذي دل عليه "يبخلون" كقوله تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨] وقيل غير ذلك لأنه ينبغي أن يكون ضميراً بصفة المنصوب فيقول "إياه" لكونه منصوباً بـ"يحسبنَّ".(٢)

وقيل إن مناسبة هذه الآية لما قبله أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الأرواح في الجهاد في الآيات السابقة شرع في التحريض هنا على بذل الأموال في

---

(١) البيت من الوافر وهو لأبي قيس الأسلت الأنصاري ٩٠٢/١ وخزانة الأدب ٣٦٣/٤، والشاهد فيه هو أن الضمير في إليه راجع إلى المصدر المدلول عليه بالوصف أي إلى السفيه.

(٢) الدر المصون للسمين ٥١٠/٣-٥١١.

الجهاد وغيره وبين الوعيد الشديد لمن يبخل والبخل الشرعي هو عبارة عن منع بذل الواجب.

ولذلك عندما تحدث عن الآية من الناحية السياقية خرج فتُخرّج القراءة على أنه من كون الذين هو المفعول الأول على حذف مضاف و"هو" ضمير فصل.

ومن ذلك قول الشاعر السابق: إذا نهى السفيه جر إليه...

والمعنى جرى إلى السفه وليست الدلالة فيهما على ما سواء وذلك لوجهين:

أحدهما: أنَّ الدال في الآية الكريمة هو الفعل وفي البيت هو اسم الفاعل ودلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل ولذلك كثر إضمار المصدر لدلالة الفعل عليه في القرآن الكريم وكلام العرب ولم تكثر دلالة اسم الفاعل على المصدر وإنما جاءت في هذا البيت". (١)

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٦٩]

"على هذه القراءة فـ"الذين" مفعول أول و"أمواتاً" مفعول ثانٍ، والفاعل إما ضمير كل فمخاطب أو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام، وقرأ حميد بن قيس وهشام بخلاف عنه "يحسبنَّ" بياء الغيبة وفي الفاعل وجهان:

أحدهما: أنه ضمير إما ضمير الرسول وإما ضمير من صلح لحسبان أي حاسب." (٢)

الثاني قول الزمخشري: "وهو أن يكون "الذين قتلوا" قال: ويجوز أن يكون "الذين قتلوا فاعلاً" والتقدير ولا يحسبهم الذين قتلوا أمواتاً أي ولا يحسبنَّ الذين قتلوا

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان، ١٢٧/٣-١٢٨.

(٢) وفي قراءة حميد بن قيس بأن هذا التقدير يؤدى إلى تقديم الضمير على مفسره وذلك لا يجوز إلاَّ في أبواب محصورة وعدَّ باب ربه رجلاً ونعم رجلاً زيدُ والتنازع عند أعمال الثاني في رأى سيبويه والبدل على خلاف فيه وضمير الأمر... أنظر الدر المصون، ٤٨٠/٣.

أنفسهم أمواتاً، فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول؟ قلت هو في الأصل مبتدأ محذوف كما حذف المبتدأ في قوله بل أحياء أي هم أحياء لدلالة اللام عليه."[1]

وقال أبوحيان: "(ولا تحسبنَّ) بالتاء الخطاب للسامع وبالياء "ولا يحسبنَّ" هو أي حاسب وبالتاء أيها السامع وقيل: الخطاب للرسول-ﷺ-."[2]

وفي الآية الكريمة جاء دور السياق من خلال القراءتين ليبين لنا مرجع الضمير في حرفي المضارعة ويساعدنا على تأويل القراءتين في ذلك، فعلى قراءة تحسبن وهو الرسول ﷺ وعلى قراءة يحسبن على أن المخاطبين هم الذين يبخلون.

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٩]

ويتجلى دور السياق واضحاً في قوله تعالى {إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً } وذلك من خلال اختلاف النحاة في الاستثناء هل هو منقطع أم متصل؟.

وفي ذلك قال صاحب الدر المصون: قوله تعالى "{إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً } ففي هذا الاستثناء قولان أحدهما: وهو الأصح أنه استثناء منقطع لوجهين:

١/ أن التجارة لم تندرج في الأموال المأكولة بالباطل حتى يستثنى عنها خسرت بالباطل بغير عوض أو بغير طريق شرعي.

٢/ أن المستثنى كون والكون ليس مالاً من الأموال.

القول الثاني: أنه استثناء متصل واعتل صاحب هذا القول بأن المعنى لا تأكلوها بسبب إلاَّ أن تكون التجارة. وقيل هذا القول ضعيف.

لأنه قال "بالباطل" والتجارة ليست من الباطل وفي الكلام حذف مضاف تقديره إلاَّ في حال كونها تجارة أو في وقت كونها تجارة." [3]

---

(١) الكشاف للإمام الزمخشري،٥٢٢/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان، ١١٢/٣.

(٣) وقد قرأ الكوفيون (تجارةً) بالنصب على أن كان ناقصة واسمها مستتر يعود إلى الأموال وقرأ الباقون "تجارةُ" رفعاً على أن كان تامّة، انظر الدر المصون، ٦٦٣/٣-٦٦٤.

وقال الزمخشري: "إلاَّ أن تكون تجارة" أي إلاَّ أن تقع التجارة عن تراض منكم،والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراضٍ منكم أو لكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه.

وقوله عن تراضٍ صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضٍ وخص بالتجارة لأنها أسباب الرزق أكثرها متعلق بها". (١)

الآية الثامنة:قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [سورة النساء: الآية ٩٧-٩٨]

في الآية ٩٧ نجد أن الله سبحانه وتعالى ذم الذين ماتوا على كفرهم واستكانوا على ظلم أنفسهم ولم يهاجروا بدينهم في سبيل الله وعاتبهم بقوله تعالى موبخاً لهم {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا } ثم وعد هؤلاء بان مأواهم جهنم وساءت مصيراً واستثنى منهم المستضعفين الذين لا يجدون سبيلاً ولا هدى وهو المعنى المستفاد من الآيتين الكريمتين.

"فنجد في قوله تعالى { إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ } في هذا الإستثناء قولان:

أحدهما: أنه متصل والمستثني منه { فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ } والضمير يعود على المتوفين ظالمي أنفسهم قال هذا كأنه قيل فأولئك في جهنم إلاَّ المستضعفين فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً.

والقول الثاني: وهو الصحيح أنه منقطع؛ لأن الضمير في مأواهم عائد على قوله تعالى {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ} وهؤلاء المتوفون إمَّا كفار أو عصاة بالتخلف عن الهجرة

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ٥٢٢/١.

كما قال المفسرون؛ فهم حينئذٍ قادرون على الهجرة فلم يندرج فيهم المستضعفون فكان الاستثناء منقطع و{ مِنَ ٱلرِّجَالِ } حال من المستضعفين." [1]

وقال أبوحيان: "الذي يقتضيه النظر أنه استثناء منقطع؛ لأن قوله {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ } يعود الضمير في مأواهم إليهم وهم على أقوال المفسرين إمَّا كفار أو عصاة بالتخلف عن الهجرة وهم قادرون فلم يندرج فيهم المستضعفون المستثنون؛ لأنهم عاجزون فهو منقطع لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً". [2]

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾ [سورة النساء: الآية ٩٢]

"يعد هذا الاستثناء من المشكلات؛ فكان ظاهر التركيب يجيز قتل المؤمن ولا يعاقب من يفعل ذلك ولا يلام، وكأن القتل الخطأ جزءٌ من التكليف ومستثنى من النهى أو النفي وغير داخل فيه وكأن التقدير "يمكن للمؤمن أن يقتل المؤمن خطأ" وهذا ما جوزه بعضهم،إلا أنه يأتي خلاف في الاستثناء هل منقطع أم متصل؟ فقول الجمهور من العلماء يقولون: إذا أريد به النفي معناه ولا يجوز أن يكون متصلاً؛ إذا يصير المعنى (إلاَّ خطأ فله قتله)

كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً ﴾ [سورة النساء: الآية٢٩] ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ ﴾ [سورة النجم: الآية ٣٣] وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [سورة الواقعة: الآية ٢٥-٢٦]

---

(١) الدر المصون، للسمين ٣/٢٠.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣٣٥.

ومنه قول جرير:

مِنْ البِيضِ لَمْ تَظْعَنْ بَعِيداً ولم تَطَأْ علىَّ الأرضِ إلاَّ زَيلَ مرطٍ مرحل[1]

يعنى ولم تطأ على الأرض إلاَّ أن تطأ ذيل البرد وليس ذيل البرد من الأرض.

وقيل استثناء متصل ويكون المعنى أن الإنسان يؤاخذ على القتل إلاَّ إذا كان القتل خطأ فإنه لا يؤاخذ به أو ليس لمؤمن أن يقتل مؤمناً ألبته إلا عند الخطأ.

وقيل استثناء مفرغ وهو المنفي ولم يذكر فيه المستثني منه وفي نصبه ثلاثة احتمالات:

١/ أنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلاَّ الخطأ وحده.

٢/ أنه مفعول أي ما ينبغي له أن يقتله في حال من الأحوال إلاّ في حال الخطأ.

٣/ أنه نعت مصدر محذوف أي إلاَّ قتلاً خطأ.

وقيل "إلاَّ" بمعنى الواو أي ولا خطأ كقوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٠]

قال الزمخشري: "أي أنه من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجوه قتل المؤمن ابتداء البتة إلاَّ إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمى كافراً فيصيب مسلماً...الخ، وقال أبوهشام وهو احد رؤساء المعتزلة تقدير الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيبقي مؤمناً إلاَّ أن يقتله خطأ فيبقي حينئذ مؤمنا، والمراد أن قتل المؤمن للمؤمن يخرجه عن كونه مؤمناً إلاَّ أن يكون خطأ فإنه لا يخرجه عن كونه مؤمناً. [2]"

---

(١) البيت لجرير في قصيدة طويلة يهجو فيها عياش بن الزبرقان/ المرجل: إزار من الخز أو الصوف منفوشاً، ديوان جرير، لمحمد إسماعيل عبدالله الصاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، ص٤٥٧

(٢) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد، ص ١٨٣.

مضمون الآية أن الله تعالى قد نهى عن قتل النفس إلا إذا وقع بغير قصد إلاَّ السياق يلعب دوراً مهماً في تنوع المعاني وذلك من خلال الاستثناء في سياق الآية الكريمة.

الآية العاشرة قول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٧٥]

"قوله تعالى { ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ } فيه عدة وجوه أحدهما: أنَّ "ذلكم" مبتدأ والشيطان خبر عنه، { يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ } حال بدليل وقوع الحال الصريحة في مثل هذا التركيب نحو ﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗاۖ ﴾ [سورة هود: الآية ٧٢] وقوله ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ ﴾ [سورة النمل: الآية ٥٢]

الثاني: أن يكون الشيطان بدلاً أو عطف ببيان و"يخوف" الخبر.

الثالث: أن يكون الشيطان نعتاً لاسم الإشارة و"يخوف" الخبر، على أن يراد بالشيطان نعيم أو أبوسفيان. (١)

وقال الزمخشري: "الشيطان" خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان { يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ } جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر.

والمراد بالشيطان نُعيم أو أبوسفيان، ويجوز أن يكون على تقدير حذف مضاف بمعنى { إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ }

وهناك قول آخر: (إن ذلكم مبتدأ أول، والشيطان مبتدأ ثاني ويخوف خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره خبر الأول وقيل هذا الإعراب خير في تناسق المعنى في أن يكون الشيطان خبر ذلكم؛ لأنه يجئ في المعنى استعارة بعيدة." (٢).

---

(١) الكشاف للزمخشري، ١/ ٤٨١.

(٢) الدر المصون، للسمين ٤٩٤/٣

"إذاً فما هو السياق الذي يدلنا على المعنى المراد من المفردات المشار إليها بـ"ذلكم" هل هو عين أو معنى؟ فيه احتمالان:

أحدهما: إنه إشارة إلى ناس مخصوصين كنُعيم وأبي سفيان واتساعهما على ما تقدم.

والثاني: إنه إشارة إلى جميع ما جرى من أخبار الركب وإرسال أبي سفيان وجزع من جزع وعلى هذا التقدير فلابد من حذف مضاف أي فعل الشيطان وقدَّره الزمخشري كما ذكرنا من قبل "قول الشيطان" أي قوله السابق وهو أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم.

وعلى كلا التقديرين أعنى كون الإشارة أعياناً أو معاني فالإخبار بالشيطان عن ذلكم مجاز؛ لأن الأعيان المذكورون والمعاني من الأقوال والأفعال الصادرة من الكفار ليست نفس الشيطان وإنما كانت بسببه ووسوسته جاز ذلك." (١)

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[سورة النساء: الآية ٦٩]

"تحدثت الآية عن فئات ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم أشارت إليهم مجتمعين { وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقًا } بالإفراد والقياس "رفقاء" لأنه جمع، وتتكرر مثل هذه الظاهرة في القرآن الكريم بأن يعبر عن الجمع ويراد به المفرد والعكس.

قيل أفرد في هذه الآية لأنه كالصديق والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد ولأنه أريد حسن كل واحد منهم رفيقاً أي أنها تنصب على التمييز كما قال تعالى (ثم تخرجهم طفلاً).وقيل: (الرفيق في لفظ الواحد بمعنى الجميع كما قال الشاعر:

دعوتُ الهوى ثم ارتَمَيْنَ قلوبَنا * بأسهمِ أعداءٍ وهن صديقُ(٢)

---

(١) الدر المصون، للسمين ٤٩٤/٣.

(٢) البيت من الطويل وهو لجرير انظر ديوان جرير لمحمد إسماعيل الصاوي ص ٢٠٣.

وقيل إنَّ الفاصلة القرآنية تلعب دوراً في هذا المقام، لأن الجمع "رفقا) لا يصلح رأس آية في هذا الموضع فجئ بـ(رفيقاً) للتناسب مع رؤوس الآي بالسورة التي تمضى على هذا النحو وكيلاً- نقير- فتيلاً- كثيراً... الخ ومراعاة الفاصلة أمر يحرص عليه النص القرآني وتقع من أجله مخالفات تتصل بالناحية الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو المفردات ولا بأس مادامت اللغة تحتمل كل ذلك ولا تؤثر هذه المخالفات في المعنى بشكل مباشر"[1].

الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: الآية ٣٧]

"(أنى) بمعنى كيف كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٩] ويقول يحيي رمضان: ومن هذا التعدد في الدلالة جاء اشتباه معناه على القارئ الذي يحاول الأمر في أي معنى جاءت أني في الآية الكريمة محل التمثيل ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٣] فيقوم أولاً بطلب معاني اللفظية موضع الخفاء والاشتباه وبعد ضبطها ينتقل إلى مرحلة ثانية وهي المتمثل في تأمل السياق الذي وردت فيه والقرائن الممكن اعتمادها لتغليب معنى من معاني "أنَّى"[2].

لقد نظر هذا القارئ فوجد أنه حملها على معنى "أين" كان المعنى فأتوا في أي موضع شئتم من نسائكم فيتناول الموضع المكروه.

أما إن استعملها بمعنى "كيف" فيكون المعنى فأتوهن بأي كيفية شئتم من القعود والقيام والاضطجاع وغير ذلك لكن الفعل المأتي به وهو الفعل المعتاد؛ فكان لابد من الانتقال إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة التأمل أي مرحلة الانتقاء المناسب أو بعبارة الأصوليين الأحناف مرحلة التمييز المشكل من إشكاله وأمثاله ولتنزيل التعريف على المثال المعالج هنا نقول التمييز المعنى المناسب من معنى "أنَّى" ومن

---

(١) التوجيه اللغوي، ص ١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٩.

أجل انتفاء المناسب ينبغي الاعتماد على السياق الذي ورد فيه المشكل والقرائن الحافة به"[1].

"إذن أن السياق الذي وردت فيه لفظة "أنى" يشير إلى اعتبار النساء حرثاً { نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ } والحرث مكان البذر وموضع النسل ولا حرث في غير مكانه والموضع المكروه لا يطلب منه الولد فيمتنع بذلك دلالة "أنى" على المكان ولذلك فقد مكن السياق والقرينة إذن من نفى المكانية على لفظ أنى في الآية الكريمة التي تضمنته الأمر الذي لا يبقي معه إلاَّ دلالتها على الكيفية أي كيفية إتيان الرجال لنسائهم بتخييرهم بين حالاته المتعددة تربطه أن يكون المأتى واحداً وهو موضع الحرث والنسل." [2]

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية٤٣]

"قدم في هذه الآية السجود على الركوع وهو متأخر في الواقع وكان التناسق الذهني يقتضى تقديم الأسبق في الفعل والعطف بالواو ويقتضى أن يكون الثاني بعد الأول فما سر هذا التقديم؟"[3].

قال أبوحيان: "أمرتها الملائكة بفعل ثلاثة أشياء من هيئات الصلاة فإن أريد ظاهر الهيئات فهي معطوفة بالواو والواو لا تفيد ترتيباً فلا يسأل لم قدم السجود على الركوع إلاَّ من جهة علم البيان.

والجواب إن السجود لما كانت الهيئة التي هي أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله قدم وإن كان متأخراً في العمل على الركوع فيكون إذاً ذلك التقديم بالشرف ولو كان الأمر كذلك لقدم السجود على الركوع في شرعنا تجسيداً لهذا الشرف وهذا التقدير."

"ولكن هذه الواو وإن كانت لا تفيد ترتيباً على رأى البعض فإن هذه الأفعال التي وردت في الآية لها ترتيب معروف فالأمر يختلف في قولنا جاء زيد وعمرو

---

(١) النحو والصرف من خلال القرآن الكريم، د. محمد صلاح الدين، ٣٠/٢.

(٢) القراءة في الخطاب الأصولي د.يحيي رمضان،ص ٤٠٦-٤٠٨.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٤٠٩/٤.

فليس هنا إشكال أن نسأل من جاء أولاً بخلاف هذه الأفعال من ركوع وسجود المسلم فيها بالترتيب ولا يجب أنن قبل كذلك أن التركيب جاء على هذا النحو تنبيهاً على أن الواو لا تفيد ترتيباً فالقرآن نزل على قوم متمكنين في اللغة ولم ينزل على أناس يتعلمون اللغة." (١).

(١) القراءة في الخطاب الأصولي، يحيي رمضان ص٤٠٩

المبحث الثالث

دلالة سياق المقام وأثرها على النص القرآني

(ب) السياق الحالي:"Context of situation"

"ويسمى أحياناً سياق الموقف(Situational context) ويمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي أو النص،ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضاً أو هو السمات التي يمثلها العالم الخارجي بالنسبة للكلمة المنطوقة أو النص الذي يحمل معنى." (١)

"ومن هذه السمات الكلام السابق والإطار الاجتماعي الذي يتم فيه الكلام ومستوى العلاقة بين طرفي الكلام اجتماعياً وثقافياً، والزمان والمكان وكل ما يحيط بالنص اللغوي". (٢)

وقد أشار عبدالمنعم إلى أن المقام هو البيئة التي تجعل الحياة تدب في النص أي أننا نستطيع أن نحدد مفهوم المقام (Situation) على أنه الظروف أو الملابسات ذات الصلة بكل ما هو خارج النص (extra textnal) سواء كان لغوياً Linguistic أم غير لغوي مما يتصل بالحدث اللغوي.

وقد أُطلق عليه (المسرح اللغوي theatre Linguistic) أو المقام أو مجريات الحال) والمقام ليس هو مجرد مكان يلقي فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة يأخذ بعضها بحجز بعض، فالموقف اللغوي أو سياق الحال هما اسمان لمضمون واحد وهو (الحال) التي تؤثر في النص بعبارة معينة وعدم مراعاة هذا (المقام) يجعل الكلام عبثاً"(٣)

ومما سبق نستطيع أن نقول: إن سياق الحال أو المقام يقوم على أساسين:

١/ إن المعنى الدلالي الكامل للحدث اللغوي لا يقف عند حدود المعاني الوظيفة للأحداث اللغوية على جميع مستوياتها؛ بل بد من سياق الحال أو المقام

---

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم، ص ٨١.

(٢) النحو والصرف من خلال القرآن الكريم، محمد صلاح الدين،٢/٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٣٠.

الذي استخدم في هذه الأحداث اللغوية في بيئة زمانية ومكانية معينة، فالأحداث اللغوية لا تقع بعيدة عن العناصر الأخرى أو منفصلة عنها بل هي تتفاعل مع أنواع السلوك الاجتماعي الإنساني المركب والمتنوع وترتبط معه على نحو تبادل هذه الأحداث اللغوية داخل السياق اللغوي.

٢/ إن اللغة ظاهرة اجتماعية لا تنحصر في الأحداث اللغوية على جميع مستوياتها الصوتية والفونولوجية والنحوية والمعجمية وإنما تضم إلى هذه الأحداث اللغوية والبيئية التي تستخدمها المتكلم والمخاطب والأشياء المحيطة بهما والزمان والمكان ومستوى الحديث ونوعه ومجاله." (١)

وقد أشار تمام حسان بشأن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة الآية ٢١٩]

ويقول: "فإذا اكتفينا بظاهر نص الآية ولم تلتفت إلى الظروف والملابسات التي تحيط بهذا النص القرآني لكان فهمنا لها غير المقصود منها، ولفهمنا أن الإسلام لم يحرم الخمر أو أنه يفاضل بين منافعها ومضارها ولكن سياقها الحالي وعناصرها تكشف لنا حب العرب للخمر واقترانها عندهم بالمروءة والنجدة والكرم والجود وغير ذلك مما نستسقيه من أشعارهم ومعلقاتهم. ثم كراهية الإسلام للخمر وعزمه على صرفهم عنها تدريجياً ثم رغبته في تأليف قلوبهم؛ إذ أنهم قريبي عهد بالجاهلية لو أنها حرمت دفعة واحدة لربما كانت النتيجة غير محمودة فبهذا بدأ الإسلام بالمفاضلة بين المنافع والمضار حيث رجَّح كفة المضار عن المنافع فابتهل الضائقون بها أمثال عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- إلى الله تعالى أن ينزل في الخمر حكماً شافياً فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية ٩] وهذا هو مقامها أو سياقها الحالي الذي ينبغي أن تفهم على ضوئه مع استصحاب عناصر أخرى، ولهذا كانت معرفة

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم، ص ٨٣-٨٤.

أسباب النزول شرطاً لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم لمعايشة الجو التاريخي إن جاز التعبير وفهم النصوص على أساس هذه المعرفة المهمة."

كما نجد هذا السياق في السنة المطهرة ومنه حديث الرسول-ﷺ- أكبر دليل على أهمية سياق الموقف ودوره في ميدان اللغة قال -ﷺ-: (ألا أُنَبِئُكُم بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ ثَلاثَاً قُلْنَا بَلَىَ يَا رَسُولَ الله قَالَ الشِّركُ باللهِ وعُقُوقَ الوالدِيَنَ وَكَان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت).[1]

فجلوس الرسول-ﷺ- بعد أن كان متكئاً يدل على عظمة شهادة الزور عند الله. وأن الرسول-ﷺ- أراد أن يحذر الناس من هذا الأمر سياق الحال؛ هو المقام الذي يصدر فيه الكلام عن صاحبه في زمن "ما" منقضي وارتبط بذلك الزمن وخلّف في الكلام الأثر الذي يظهر في لفظه ولا يفهم الكلام حق فهمه إلا به. [2]

ومثال ذلك: "(خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في الكوفة) فالذي يقرأ الخطبة لأول مرة وهو لا يعرف مقامها قد يتهم الحجاج بسوء السياسة لاستهلال ولايته بهذه الخطبة البتراء. ولكن المقام الذي يشتمل على إيضاح العلاقة بين العراقيين وبين بني أمية ربما شمل من الحوادث الماضية كمقتل عثمان الخليفة الثالث ومعركة صفين ومقتل الحسين وتشيع العراقيين وكراهيتهم لبني أمية ورغبة الأمويين في تأديب هؤلاء العراقيين حتى لا يثورا عليهم أو يعصوا ولاتهم مرة أخرى ومن هنا يصبح من الضرورة أن يأتي وصف المقام في صورة مقدمة للخطبة دلالة على الحزم والتأديب دائماً:

أَنَا اِبنُ جَلاَّ وَطَلاَّعِ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعُ العِمَامَةَ تَعرِفُوني[3]

---

(١) البخاري (٥) ص ٢٦٧ فتح مسلم ٨/٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) البيت من الكامل وهو لسحيم ابن وثيل الرياسي وإنما قال الحجاج متمثلاً بحاله، كتاب الآغاني لأبي الفرج الأصفهاني دار الفكر بيروت، تحقيق الدكتور سمير جابر د.ت. ١٤٩/٣.

أني لأري رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وأني لصاحبها"[١]

ويندرج تحت السياق الحالي السياق الثقافي والسياق العاطفي والسلوك.

"فالسياق الثقافي (Cultural Context)، هو الإطار العام الذي تستعمل فيه لغة من اللغات، أو بمعنى آخر هو البيئة الخاصة للغة، ويعرف بمصطلح (السياق الثقافي) أي الخلفية غير اللغوية للكلام من حيث كونها عنصراً أساسياً في المعنى يوازي في أهميته العوامل اللغوية نفسها كالأصوات والتراكيب، والثقافة يقصد بها مجموعة التركة التي يرثها جيل عن جيل من تقاليد ونظم معاشية ودين وفن ولغة

والسياق الثقافي هو المعرفة المشتركة بين المخاطبين فهنالك معرفة يمكن أن نسميها اجتماعية أو ثقافية أو تراثية.

لذلك لا يمكن لنا أن نفهم ما يقوله الجماعة إلا بملاحظة فهم الأشياء المتصلة بثقافتهم المادية فهماً دقيقاً إلا بالسياق الثقافي.

وعندما نتحدث عن الثقافة لا نعنى بها هنا معنى يرتبط بالتعليم أو التثقيف، وإنما المقصود هنا ما يشمل مجموع العادات وطرق السلوك والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات والفلكلور الشعبي ووسائل التكسب والعواطف الاجتماعية[٢] وغير ذلك من النظم الاجتماعية المختلفة.

ولهذا كان لابد إذا أردنا أن نعرف شيئاً من نظم العرب في جاهليتهم أن ندرس بيئتهم الثقافية والاجتماعية وأن ندرس لغتهم في ذلك العصر دراسة مستفيضة من حيث دلالات المفردات وما تدل عليه كل كلمة منها في نظام جاهلي بعينه،ويكفي أن نقرأ قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[سورة المائدة الآية ١٠٣] حتى نبدأ في فهم العادات العربية المتعلقة بهذه الكلمات وتقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ وقوله تعالى:﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة الآية ٣]، حتى ترى أن هذه

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، د تمام حسان، ص ٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٣٥١.

النصوص تشير إلى عادات جاهلية هي في صلب الثقافة العربية ولا نستطيع أن نفهم العربي الجاهلي إلا إذا عرضنا له هذه العادات ومظاهر السلوك الاجتماعي الذي يعيش فيه." (١)

إذن يتضح لنا في الكلام السابق أنه لا يمكن أن يؤخذ النص اللغوي دون التأثيرات الخارجية التي تحيط به من سياقات ثقافية واجتماعية.

ولهذا نجد أن الكلمة الواحدة تغيرت دلالاتها حسب السياق الثقافي الذي ترد فيه وهذا نجده ظاهراً في الألفاظ الإسلامية مثل:

الصلاة، الركوع، الحج، الإسلام، المنافق، المسلم، الرب، الإله وغير ذلك من الألفاظ الإسلامية.

وفي هذا السياق تتضح لنا جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي والحالة الكلامية ولأهمية هذه العناصر وتأثيرها المباشر على النص اللغوي كان لابد من ذكرها وهذه العناصر هي:

١/ شخصية المتكلم وتكوينها الثقافية وشخصية من شهد الكلام (المخاطب) والسامع العوامل والظواهر والعلاقات والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي.

وقد ذكر رمضان عبدالتواب نقلاً عن (قندريس) أن اللغة نتاج من الاحتكاك الاجتماعي ثم تصبح عاملاً من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع الإنساني.

ويرى علماء الاجتماع أن الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة تفرض على أفراد المجتمع ألواناً من السلوك والتفكير والعواطف وتحتم عليهم أن يصبُّوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم في قوالب محددة مرسومة،ومما يدل على وجود القهر في الظواهر الاجتماعية عند علماء الاجتماع– أن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى هذه الظواهر الاجتماعية فإنه سرعان ما يشعر بردة فعل مضاد من المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأن المجتمع على حد تعبيرهم يشرف على سلوك أفراده ويستطيع توقيع

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان، ص ٣٥١.

العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليها. وأهون هذه العقوبات هو التهكم الشديد والسخرية المرة[١].

والأمثلة على وجود هذا القهر كثيرة ولا يمكن حصرها وإن المجتمع لا يسمح لأحد بالخروج عن هذه الظواهر والتمرد عليها.

وخير مثال على ذلك:

قصة علقمة الثقفي الذي اشتهر باستعمال الغريب الوحشي من الألفاظ في حوار مع طبيب جاء إليه يشكو من ألم أصابه إذ دخل عليه وقال له: (أمتع الله بك إني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى رأبة العنق فلم يزيل يربو وينمى حتى خالط الجِلُبِ والشراشيف فهل عندك دواء فقال له الطبيب خذ خرنقاً وشلفقاً وشبرقاً فزهزقه وأغسله بماء روث وأشربه فقال أبوعلقمة لم أفهم عنك؟ فقال له الطبيب أفهمتك كما أفهمتني). [٢]

ولذلك فإن دارسي علوم القرآن رصدوا بعض الملاحظات التي تتعلق بالسياق الخارجي المحيط بالنص اللغوي وهو ما يعرف بالسياق التاريخي أو الاجتماعي أو المقامي أو الحال على اختلاف مسميات علماء اللغة المحدثين، ونقصد هنا بسياق المقام كما ذكرنا جميع الظروف التي تصاحب النص اللغوي مثل أسباب النزول والأحوال الاجتماعية أو التاريخية أو السياسية أو الجغرافية وأحوال المخاطبين.

" والمقام بهذا يعتبر الشق الثاني من شقي السياق وبه يتجدد النص بصورة كاملة تختلف عما كان في السياق اللغوي ولذا كان حاسماً في تحديد المعنى الدلالي بشكل دقيق ومحسوم بمعنى إننا عندما نجرد أي نص من آدائه وملابساته التي هي المقام بالنسبة لهذا النص فإنما يبقى بأيدينا يكون أشبه بجسم بلا روح"[٣].

وفي هذا يقول تمام حسان: "بالضرورة التزام طلاب اللغة العربية وآدابها بدراسة التاريخ الإسلامي، والفلسفة والتعبير والحديث والأدب والشريعة وغيرها فحين ينظر

---

(١) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٧.

(٣) الأبعاد الدلالية للمقاييس الأسلوبية، سيدنا علي جوب، رسالة دكتوراه، ص٢١١ – ٢١٢.

في نص أدبي معين ينبغي أن يكون له من المعلومات الشاملة في هذه الفروع جميعاً ما يعينه على فهم (المقام) الذي يقال فيه هذا النص" [1].

" ويدعم هذا الرأي طريقة علماء الأصول في عملية استخلاصهم للحكم الشرعي من النص المعين ويحتم الأصوليون على ما من يتصدى لاستخراج الأحكام الشريعة في القرآن الكريم أموراً لا ينبغي أن يغفل عنها هي في الواقع

فعليه مثلاً :

١ – ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.

٢ – ألا يغفل عن السنة في تفسيره.

٣– أن يعرف أسباب نزول الآيات.

٤ – أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

وهذه التركة التي يرثها الجيل اللاحق عن السابق تكون واضحة المعالم ومحددة فكل سلوك أو عادة أو تفكير قد حدده العرف الاجتماعي فيظل ذا نماذج معروفة ومطبوعة بطابع الاستعمال سواء كان ذلك ديناً أو نظاماً من النظم المعيشية أو فناً شعبياً" ولذا فإن هنالك من الآيات ما لا يفهم معناها إلا بالرجوع إلى صاغها الحالي والمقامي في فهم ما تحمله من مضامين وأحكام شرعية[2].

فمنها الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠١].

ففي هذه الآية الكريمة فإن السياق اللغوي بظاهره يقتضي أن القصر في الصلاة لا يجوز إلا إذا خاف المسافر على نفسه من العدو، وهذا بدليل الشرط في قوله: (إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ) أي القصر مشروط بالخوف، وهذا خلاف ما عليه فعل المسلمين اليوم وقبل.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص ٣٤٧.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان، ص ٣٤٧.

ولهذا قال القرطبي: (وذهب جماعة إلى أن هذه الآية إنما هي مبيحة للقصر في السفر للخائف من العدو، فمن كان آمناً فلا قصر له)[1].

ولا نريد أن نذكر كل ما قيل في هذا الموضوع، ولكن الذي يهمنا فيه ما أورده الإمام القرطبي والذي يظهر من خلال كلامه أنه يريد أن يحسم أمر هذا الخلاف.

فهو يقول: "قلت قد جاء حديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجه أنه قال سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ فقالوا إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي فأنزل الله ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ثم انقطع الكلام فلما كان بعد ذلك غزا رسول الله ﷺ فقال المشركون لقد أمنكم محمد وأصحابه من ظهرهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم إن لهم أخرى في أثرها فأنزل الله تعالى بين الصلاتين: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ إلى آخر الآية.

فإن صح هذا الخبر فليس لأحدٍ معه مقال ويكون فيه دليل على القصر في غير الخوف بالقرآن[2].

ونجد القرطبي في ذلك إنما رجع إلى سياق الحال أو الموقف عندما وجد هناك لبساً لا يذهبه السياق اللغوي وحده بل لابد من سياق الحال (المقام).

فاتضح من ذلك أن للآية مناسبتين، قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ وهي إجابة عن سؤال التجار (إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي)، ومناسبة أخرى قوله تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ﴾ إنها جاءت بمناسبة تهديد المشركين للمسلمين بالهجوم عليهم أثناء الصلاة فجاءت العبارة لتذهب عن المسلمين ذلك الخوف الناتج من تواصي المشركين المباغتة أثناء صلاة العصر "[3].

---

(١)تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، د.ت ٣٦٢/٥.

(٢) المصدر السابق، ٣٦٢/٥.

(٣) وقد أورد الإمام القرطبي قولاً آخر لابن عباس بنفي المعنى أن الجزء الأول نزل في السفر ثم نزل الجزء الثاني في الخوف، انظر: الإمام القرطبي، ٣٦٢/٥.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فقد يأخذ هذا النص إثبات ما بدلالة ألفاظه هذه ويدخل كل من فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل في دائرة العذاب يوم القيامة؛ لأن النص يحمل هذا المعنى بعمومه.

"وقد أشكل هذا الأمر على مروان بن الحكم فبين له ابن عباس رضي الله عنهما وهو كان الذي يعلم الموقف الذي نزلت فيه هذه الآية حيث ذكر له أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب اليهود حين سألهم النبي ﷺ عن شيء كتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوه بذلك إليه فأنزل الله هذه الآية [١] "

فقد اتضحت الآية من خلال هذا الموقف الاجتماعي الذي جرت أحداثه في عهد رسول الله وكان بينه وبين اليهود حديث وحوار فتخصصت بذلك كلمة الذين في قوله تعالى: (الذين يفرحون) بأنها خاصة باليهود الذين كانوا بينهم وبين رسول الله ﷺ حوار فانتفت عنها بذلك صفة العموم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩).

فالسياق اللغوي للآية يرشدنا إلى طاعة الحاكم وعدم مخالفته أو عصيان أمره في كل أمر من الأمور وهذا هو المعنى العام للآية.

" والمراد بأولي الأمر هم الأمراء والحكام وهذا مروي عن أبي هريرة وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ودليلهم إن الآية سبقت بالحديث إلى الأمراء بأداء الأمانات إلى أهلها وأمرت بالرد إلى الله والرسول وهذا من شأن الأمراء، وأن النبي ﷺ رغب كثيراً في طاعة الأمراء منها ما عليه قال: (من أطاع أميري فقد أطاعني) [٢]. وهنالك بعض آراء في ذلك الرأي الأول:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٨٤/١.

(٢) الحديث رواه البخاري – كتاب الجهاد – باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به رقم ١٤٠٩.

"لأن أوامرهم نافذة على الخلق وإنْ العلماء أو أهل الإجماع ليست أوامرهم نافذة عليهم.

الرأي الثاني: المقصود بأولى الأمر هم العلماء المفتون: وقد أسند هذا الرأي إلى جابر بن عبدالله ومجاهد وعن ابن عباس وقال صلاح سلطان هو اختيار مالك."[1].

وقيل (أن ظاهر الآية يفيد أنَّ أولي الأمر هم الأمراء والعلماء ولا يجوز تخصيصها بغير مخصص فتُحمل الآية على عمومها ويرد على من يرى أولي الأمر يطاعون فيما ليس فيه نص؛ لأن الدين قد كمل واستوعب كل شيء فتجب طاعتهم في تنفيذ أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ فيما نقلوه عنهم وعند التنازع لا يجوز طاعة أحد بل نرد الأمر إلى الله والرسول، وذلك لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ويفهم من هذا أنه إذا اتفقتم فلا تردوا.

ويبدو أن الأرجح في معنى أولي الأمر أنهم العلماء والأمراء لقوة الأدلة على طاعة الأمراء وسبب نزول الآية وعموم اللفظ يجعل دخول العلماء في ذلك وارداً على العموم ولا يصح تخصيصها بالأمراء وحدهم أو العلماء وحدهم ولا أهل البيت كما يقول الشيعة إلا بدليل شرعي فلما لم يوجد بطل هذا التخصيص كما أنه لا تعارض بين طاعة الأمراء والعلماء في دولة الإسلام؛ فالأصل أن الأمراء علماء وليسوا جهالاً أو عواماً[2]

يبدو أن أسباب نزول آي القرآن الكريم كفيل بالفصل في الخلاف بين العلماء وذلك لأن القرآن نزل حسب المواقع والمناسبات ومعالجة المشاكل التي تطرأ على المجتمع المسلم، وكما هو في سبب نزول هذه الآية الكريمة، (فقد روى مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن حذاقة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، وكان فيه دعابة معروفة فأمرهم أن يجمعوا حطباً ويوقدوا

---

(١) الأدلة الاجتهادية بين الغلو والإنكار دراسة نقدية دلالية في المذاهب الإسلامية، صلاح سلطان ط٢، ٢٠٠٦م ، ص ٤٠- ٤١.

(٢) الأدلة الاجتهادية بين الغلو والإنكار، صلاح سلطان، ص ٤٣ – ٤٤.

ناراً فلما أوقدها أمرهم بالتفحم فيها فأبوا فقال لهم ألم يأمركم رسول الله بطاعتي ؟ وقال (من أطاع أميري فقد أطاعني)"[1] فقالوا: ما آمنا بالله واتبعنا رسوله إلا لننجو من النار فصوب النبي ﷺ فعلهم وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[2].

"ثانياً: ما جاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خالداً بن الوليد في سرية إلى حي من أحياء العرب، وكان معه عمار بن يسار فسار خالد حتى دنا من القوم عرّس لكي يصبحهم فأتاهم النذير فهربوا إلا رجلاً كان قد أسلم فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير ثم انطلق حتى إذا أتى عسكر خالد ودخل على عمار فقال: يا أبا اليقظان إني منكم وإن قومي لما سمعوا بي هربوا وأقمت على إسلامي أأقم في ذلك أو أهرب كما هرب قومي؟ فقال: أقم وانصرف الرجل إلى أهله فأمرهم بالمقام وأصبح خالد فصار إلى القوم فلم يجد غير ذلك الرجل فأخذه وأخذه ماله فأتاه عمار فقال: خل سبيل الرجل فإنه مسلم، وقد كنت أمنته وأمرته بالمقام فقال خالد: أنت تجير علي وأنا الأمير فقال عمار نعم فكان بينهما كلام حتى أتوا النبي ﷺ فأخبروه خبر الرجل فأمنه وأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير بعد ذلك على أمير بغير إذنه، قال واستتب عمار خالد فأغلظ عمار لخالد فغضب خالد وقال يا رسول الله أتدع هذا العبد يشتمني فوالله لولا أنت ما شتمني وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ (يا خالد كف عن عمار فإنه من يسب عمار يسبه الله ومن يبغض عمار يبغضه الله فقام عمار فتبعه خالد فأخذ بثوبه يسترضيه فنزلت الآية)"[3].

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

"يشير الله تعالى إلى أن بعضاً من المنافقين وضعاف المسلمين إذا علم خبراً عن سرية غازية أو ستغزو بأنهم قد آمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم أو الخوف من

---

(١) أسباب النزول للواحدي، ص ٣٩ – ٤٠.

(٢) رواه الإمام مسلم – كتاب الإمارة – باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (٤٠).

(٣) الأدلة الاجتماعية، صلاح سلطان، ص ٣٩–٤٠.

عدوهم بإصابة عدوهم منهم أذاعوا به أي أفشوه وبثوه في الناس قبل أن يكون النبي ﷺ أو أحد الأمراء هو المتحدث به فيصححوا الخبر إن كان صحيحاً أو يبطلوه إن كان باطلاً، وهذا المعنى يتفق عليه علماء التفسير ثم لم تفصل في بعض هذه الأمور وأهمها: معنى أولي الأمر هل هو أمراء السرايا أو العلماء أم أبوبكر وعمر ويبدو لي راجحاً أولي الأمر هم الأمراء والعلماء وقد فصلته في باب كتاب عن الإجماع(١).

"وقيل أن هناك أشكالاً على هذه الآية على من قال للقياس لأن القياس لا يفيد العلم فقد يخطئ المجتهد وقد يصيب وأن العلم يحصل بعد الاجتهاد عن طريق اطمئن القلب وإن كان لا يدرك ما هو حق باجتهاده وذلك مثل قوله تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] فإن المراد به العلم من حيث الظاهر، وقيل أن الآية عندما ذكرت الاستنباط نبهت على القياس لأن القياس رد إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر فمرة يكون الرد إلى النص وقد أورد ذلك ليس في مقام الاستدلال على حجية القياس بل في مقام الرد على أدلة نقاة القياس الذين استدلوا بها على نفي القياس" (٢).

وهنالك روايتان لهذه الآية الرواية الأولى:

"إن النبي ﷺ اعتزل نساءه فدخل عمر المسجد وسمع الناس يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فدخل عمر على الرسول ﷺ فسأله أطلقت نساءك قال: لا. فخرج فنادي إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه فنزلت الآية، وكان عمر هو الذي استنبط الأمر.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢٢. قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، فالاستنباط استخراج الماء من باطن الأرض والاستنباط في اللغة هو الاستخراج كما قال القرطبي وكل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن العيون أو معارف القلب فهو مستنبط وروى أن الذين يستنبطونه هم الذين ينقلون الأخبار أي يتعقبونها ويتحسسونها وروى الفخر الرازي أن الاستنباط في الفقه هو: استخراج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه وجاء في حاشية الشهاب على البيضاوي أن الذين يستنبطونه هم البصراء بالأمراء أو الأمراء يستخرجون تدابير الأمر بتجاربهم وأنظارهم وقال الشوكاني إنهم أولو العلم والعقول الراجحة. انظر: الأدلة ص ٣٤٢.

(٢) الأدلة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٣٢١.

الرواية الثانية:

أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية في السرايا فغلبت أو غلبت تحدثوا بذلك وأفشوه ولم يصبروا حتى يكون رسول الله ﷺ هو المتحدث به فنزلت الآية.

لذلك فإن الآية نزلت في شأن وقائع الحروب والجهاد فلا يلزم جوازه في الوقائع الشرعية، وقد رد على ذلك بأن الأمر من الأمن أو الخوف عام في كل ما يتعلق ببيان التكليف وليس في الآية ما يفيد تخصصاً بأمر الحرب فقط ولو ثبت في الحرب لجاز في غيره، لأنه لا فرق في الواقع فلا يقبل من أحد أن يزعم أن القياس حجة في باب البيع دون النكاح" [1].

الآية الخامسة قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٥-١١٦]

ففي الآيتين الكريمتين وعيد من الله تعالى على كل من خالف الرسول وشاقه في أمر من الأمور، وسلك مسلكاً غير مسلك المؤمنين فإن مصيره نار جهنم وبئس المصير.

"ويذهب جميع المفسرين إلى معنى قوله: (يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ) فإن مشاقة الرسول ﷺ تعني الردة عن الإسلام ومعاداة النبي ﷺ ومباينته بأن يصير المعادي في شق غير الذي فيه النبي ﷺ واتفق المفسرون على أن غير سبيل المؤمنين هو الكفر، وقال ابن عباس: هو الكفر دين أهل مكة والشرك، وقال الرازي: هو غير دين الموحدين؛ لأن طعمه تركة دين الإسلام كما سيأتي، أما قوله تعالى: (نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ) أي نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، ونوله ما تولى من آلهة باطلة، فنجد أن العلماء قد اختلفوا في مدلول هذه الآية هل هي عامة في وعيد الكفار وكل من خالف المسلمين ولو في المسائل الفرعية أم هي لا صلة لها بالمسائل الفرعية لأن الآية لا تنطبق بحال على من اجتهد فخالف من بعصره، أو

(١) الأدلة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٣٢٥.

الوعيد فقد يتناول من جميع بين المشاقة وإتباع غير سبيل المؤمنين، وإن الآية نزلت في سبيل المؤمنين في عصر النبي ﷺ، فأين هذا من الإجماع الذي لا يقع إلا بعد النبي"[1].

"وهل أن سبيل المؤمنين هو الإجماع وإذا سلمنا أنه هو الإجماع فلا تحرم مخالفته إلا بشرط تبين الهدى ومن جملة أنواع الهدي الدليل (مسند الإجماع) فإذا عرف أغنى عن الإجماع وإن لم يتبين لم تحرم مخالفته، إلا أنه قد ورد على ذلك بأن تبين الهدي شرط في مشاقة الرسول ﷺ وقيام الدليل على صدق نبوته في الأصول لا في الفروع.

ولو قلنا أن إتباع سبيل المؤمنين واجب لاقتضى ذلك أن نفعل المباحات التي فعلوها على أنها واجبة وهو غير مسلم به.

أن الآية توجب إتباع سبيل المؤمنين والرسول ﷺ أول المؤمنين والإجماع لا يتحقق إلا بعد وفاة الرسول ﷺ فكيف يكون الجمع بين هذا وذاك[2].

يبدو أن أسباب النزول قد تحسم هذا الجدل وهي التي تعتبر سياقاً من سياقات المقام.

"فقد روى الإمام الطبري أن هذه الآية والتي بعدها نزلتا في طعمة بن أبيرق حين سرق بالمدينة فقضى النبي ﷺ أن يقطع يده فهرب إلى مكة مرتداً وما لبث أن نقب بيتاً بمكة وهرب فلحقه المشركون فقتلوه فنزلت الآيتان.

---

(١) فقد تحدث الأصوليون في هذه الآية عن إجماع الأمة أي اتفاق الأمة في أمر من الأمور وأول من استدل بذلك الإمام الشافعي حيث يروي المدني قال كنت يوماً عند الإمام الشافعي فجاءه شيخ عليه لباس صوف، وبيده عصا فلما رآه الشافعي أستوي جالساً فقال له: ما الحجة في دين الله تعالى، قال: كتاب الله ورسوله قال وماذا؟ قال:بسنة نبيه ﷺ قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة قال من أين هذا الأخير: هو من كتاب الله، فتدبر أي الشافعي ساكتاً فقال له الشيخ: أجلتك ثلاثة أيام بلياليهن فإن جئت بآية فيها وإلا فاعتزل الناس فمكث الشافعي ثلاثة أيام لا يخرج ثم خرج وقد تغير لونه فجاءه الشيخ وقال حاجتي فقال نعم (ومن يشاقق... الآية) فقال الشيخ صدقت، وقد ذكر الرازي أن الشافعي قرأ القرآن في الأيام الثلاثة ثلاثمائة مرة حتى خلص إلى هذه الآية.

(٢) الأدلة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٣٣.

وقيل نزلت في نفر من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين فنزلت الآية"[1].

ورأى جمهور المفسرين هو الصواب وأن الآية تعني إتباع سبيل الكفر وليس مخالفة بعض مسائل الفروع ويؤكد هذا كما ذكرنا سبب نزول الآية الذي يعتبر سياق مقام يساعد على فهم بعض المسائل ذات الخلاف اللغوي.

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء الآية ١٦٣].

"تدور أقوال المفسرين حول قضية الوحي التي أنكرها اليهود وأن الله تعالى يبين أنه أوحى إلى محمد ﷺ كما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء جميعاً،وأوحى إلى آخرين لم يذكرهم الله تعالى وبيان حقيقة الوحي، ولا نجد في مجموع ما أطلقت عليه أي ذكر لموضوع شرع من قبلنا"[2].

القضية أن هناك من يستدل بهذه الآية على أن شرع سيدنا نوح هو في حجية شرعنا فوجب العمل به، ثم رد ذلك الاستدلال بأنه لا دلالة على أنه أوحى إليه بعين ما أوحي به إلى نوح والنبيين من بعده بل غايته أنه أوحي إليه كما أوحي إلى غيره من النبيين وعلى فرض صحة زعم من قال ذلك فإن الوحي إلى سيدنا محمد هو الموجب لما توافقت عليه الشرائع فيكون حجة لهذا وليس لأنه شرع من قبلنا[3].

لأن الآيات في سياقها ودلالتها تبين أنه لا غرابة أن يوحى إلى سيدنا محمد كما أوحي إلى النبيين من قبله والسياق كله يدل على إثبات الوحي على منكريه ولذا أتى بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

"فلا دلالة في الآية على ما سبقت إليه في موضوع (شرع ما قبلنا شرع لنا).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ٣/١٠.

(٢) الأحكام للآمدي ج٤/ ١٩٣، راجع أيضاً الأدلة المختلفة فيها، عبد الحميد أبو المكارم، ٣٢٨.

(٣) الحديث رواه البخاري، كتاب الصلح باب الصلح في الدية وفي باب إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله (٦٦٠٦).

وقد جاءت أحاديث في هذا السياق روى البخاري بسنده أن أنساً حدثهم أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها: فقال يا أنس كتاب الله القصاص فرضي القوم وعفوا فقال النبيﷺ: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)"[1].

"فوجه الاستدلال على ذلك أنه لا يوجد في كتاب الله القصاص في السِن سوى في آية: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ وهذا الشرع كان في التوراة وبهذا يصح أن يكون شرع ما قبلنا شرع لنا.

وقد رد المعارضون لهذا الاستدلال بأن النبي ﷺ قصد بقوله (آية القصاص قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ (البقرة ١٧٨). وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ (البقرة ١٩٤).

وردوا أيضاً بأن التوراة ليس فيها الأرش وفي هذه القضية رضي القوم بالأرش"[2].

"وقيل إن النبي ﷺ رجع إلى التوراة في رجم اليهودي.

ولذا استدل من يرى حجية شرع ما قبلنا بهذه الواقعة على أنه لو لم يكن شرع من قبلنا شرعاً لنا لما راجع النبي ﷺ اليهودي في مسألة الرجم[3].

---

(١) الحديث رواه البخاري، ٢٠٩/٩، رقم الحديث ٢٥٠٤، باب الصلح في الدية، المصدر المكتبة الشاملة. موقع الإسلام.

(٢) الأحكام لابن حزم ٧٧/٥.

(٣) الأحكام لابن حزم ١٧١/٥.

وقد رُدّ على تلك الآراء في الآتي:

١- أن هذا الرجوع كان لإظهار صدقه- ﷺ - إن الرجم مذكور في القرآن.

٢- إظهار كذب اليهود وإنكارهم لما في أيديهم من كتاب وإلزامهم بحكم الله تعالى.

٣- لو كان الأمر هو الرجوع إلى شرع من قبلنا لكان الأولى الرجوع إلى الإنجيل لأنه آخر ما نزل." [١].

ويبدو أن الكلام في هذا الجانب يطول ويتفرع ويأخذ الجدل وإنما سرد الباحث لهذه الآراء ليس في أن شرع من قبلنا شرع لنا أو غير ذلك فإن هذا الأمر يرجع إلى أهل الاختصاص والشأن كعلماء الأصول وغيرهم وإنما الذي يخص الباحث من هنا دور السياق والمقام الذي هو الواقعة التي لها دور في تحديد لأحكام الشريعة فسياق المقام هو الذي في الحقيقة يفحم الباحث دون ما يدري في علم الأصول ويجد نفسه وسط المعركة في تأصيل المسائل الفقهية.

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء ٦٠].

الطاغوت في اللغة كما قال الراغب: يقال: (طغوت وطغيت وطغوانا وطغياناً وأطغاه) هكذا حمله على الطغيان وذلك تجاوز الحد في العصيان قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات ١٧] والطاغوت عبارة عن كل متعبّد وكل معبود من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع قالت تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وإذا كان لفظ (الطاغوت) في اللغة يعني كل جبار أو متجاوز للحد سواء كان من الإنس أو الجن فهو أعم من لفظ الشيطان إلا أن لفظ الطاغوت يراد به الشيطان في غير موضع في القرآن"[٢].

---

(١) الدلالة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٢٥٧.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة طغت، ص٢٠٦.

"وإذا كان مقصود هذا النص الذي بين أيدينا التخويف من إتباع الشيطان فقد بدأ النص بما هو أكثر زجراً للسمع وتنفيراً وهو لفظ الطاغوت والمقصود به شخص معين.

وقال الزمخشري (سماه الله طاغوتاً لإفراطه في الطغيان وعداونه لرسول الله ﷺ أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان بدليل قوله: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠][1].

وإنما بدأ الله بلفظ الطاغوت ليناسب أسباب نزول هذه الآية والذي يعيننا في الفهم والتعمق أكثر في هذا اللفظ (طاغوت) وإلا فالتحاكم إلى غير رسوله وإن كان إلى أحد من البشر فهو في غير القرآن (يريدون أن يتحاكموا إلى الشيطان) وقد أمروا أن يكفر به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً لو قيل هذا لفات المناسبة بين لفظ الطاغوت وسبب النزول"[2].

ويبدو أن أسباب النزول كما ذكرنا الذي يعتبر سياق موقف تاريخي للآيات القرآنية جدير بأن يقوي موقف اختار لفظة (طاغوت).

فقد ذكر المفسرون أكثر من رواية في سبب نزول هذه الآية أشهرها:

" أنه قد نازع رجل من المنافقين رجلاً من اليهود فقال اليهودي بين وبينك أبو القاسم وقال المنافق بين وبينك كعب بن الأشرف والسبب في ذلك أن رسول الله ﷺ كان يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة وكعب بن الأشرف كان شديد الرغبة في الرشوة واليهودي كان محقاً والمنافق كان مبطلاً فلهذا المعنى كان اليهودي يريد التحاكم إلى الرسول والمنافق كان يريد كعب بن الأشرف ثم أصر اليهودي على قوله فذهبا إلى رسول الله فحكم رسول الله لليهودي على المنافق فقال المنافق لا أرضى انطلق بنا إلى أبي بكر فحكم أبوبكر ﷺ لليهودي فلم يرض المنافق فقال المنافق بين وبينك عمر فأخبره اليهودي أن رسول الله وأبوبكر حكما على المنافق فلم يرض

---

(١) الكشاف للزمخشري، ١٤/١.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن، دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص، طه رضوان، دار الصحابة للتراث، ط٢٠٠٧م، ص ٣٢٩.

بحكمهما فقال للمنافق أهكذا فقال نعم قال اصبر أن لي حاجة أدخل فأقضيها وأخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج إليهما فضرب به المنافق حتى برد وهرب اليهودي فجاء أهل المنافق فشكوا عمر إلى النبي ﷺ فسأله عمر عن قصته قال عمر: إنه رد حكمك يا رسول الله فجاء جبريل في الحال وقال: إنه الفاروق فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله لعمر أنت الفاروق وعلى هذا فالطاغوت هو كعب بن الاشرف.

وإنما سماه القرآن (طاغوتاً) وذلك على سبيل المجاز تشبيهاً بالشيطان" [1].

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[آل عمران: ١٢٠]

"إن استعمال لفظ المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة في هذا النص على سبيل المغايرة قد يكون بين اللفظين فرق أو يكونان بمعنى واحد ومن زعم أنه لا فرق بين اللفظين علل لهذه المغايرة في النص بأنها من قبيل التفنن في الفصاحة وتلوين الخطاب، وقيل: (المس الإصابة ولا يختص أحدهما بالخير والآخر فالتعبير بأحدهما في جانب الحسنة والآخر في جانب السيئة تفنن). وقيل إلى استعمال المس في هذا المقام يشير إلى أن أقل ما يصيب المؤمنين من حسنة يسؤهم قال: "ذكر تعالى المس في الحسنة ليبين أن بأدنى مس الحسنة تحصل المأساة لهؤلاء المنافقين ثم عادل ذلك في السيئة بلفظ الإصابة وهي عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب سيء وهو متمكن منه أو فيه فدل هذا النوع البليغ على شدة العداوة إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين"[2].

"والذي يظهر والله أعلم أن لفظي (المس) و(الإصابة) ليسا بمعنى واحد وليس المس مستعاراً لمعنى الإصابة وإنما مقام الآية يساعد عليه فالآية بيان لشدة عداوة المنافقين وبغضهم للمؤمنين فأقل ما عند المؤمنين من خير وفضل يزيدهم حقداً وحسداً، لذا كان التعبير بالمس في جانب الحسنة أنسب"[3].

---

(١) انظر جامع البيان ٩٧/٥ – ٩٨، السيوطي الدر المنثور في التفسير المأثور ٥٨٢/٥.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب، وتحليل النص، طه رضوان، ص ٢٧٠.

(٣)تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب، وتحليل النص، طه رضوان، ص٢٩٧.

الآيــة التاسـعة قولــه تعـالى: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥]

"في هذا النص ترغيب للمؤمنين على الشفاعة الحسنة وزجر لهم عن الشفاعة السيئة، وقد تنوع أسلوب الآية في أداء هذا المعنى بين لفظين مترادفين هما: الكفل والنصيب على سبيل التلوين في الخطاب القرآني فاستعمل النصيب مع الشفاعة والحسنة والكفل مع الشفاعة السيئة. وهل هناك خلاف بين هذين اللفظين؟ فقد اختلف أهل اللغة والتفسير في الفرق بين الكفل والنصيب فهل الكفل في اللغة له معان تختلف عن المعنى نفسه المستعمل في هذا النص ؟

وهل الكفل يستعمل أكثر في الشر والنصيب يستعمل أكثر في الخير" (١).

وقيل معنى الكفل في هذه الآية تختلف إلى حد ما عن معناه العام في اللغة وأن لفظ الكفل مستعار من الشيء الرديء وقيل: فإن الكفل هاهنا ليس بمعنى الرحمة التي في قوله تعالى:﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾[الحديد: ٢٨] بل هو مستعار من الكفل وهو الشيء الرديء، واشتقاقه من الكفل وهو أن الكفل لما كان مركباً ينبو براكبه صار متعارضاً في كل شدة كالسيساء وهو العظم الناتئ في ظهر الحمار ،فيقال:لأحلنك على الكفل وعلى السيساء ولأركبنك الحسرى الرذايا"(٢).

"وهذا الذي أبداه صاحب المفردات قد يبدوا مناسباً إذا كان هذا المعنى مقصوراً على هذه الآية، أما إذا فسر به لفظ الكفل عامة فقد لا يبدو في قوة الأول؛ لأن قد استعمل لفظ الكفل في الخير وذلك في قوله: ﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾، فتفسير الآية تبعاً لما زعمه الراغب يظهر في قوله: (ومعنى الآية من ينضم إلى غيره معيناً له في فعله الحسنة يكون له منها نصيب ومن ينضم إلى غيره معيناً له في فعله

---

(١) الكفل في اللغة عامة فقال الراغب: (والكفل والكفيل الحظ الذي فيه الكفاية كأنه تكفل بأمره نحو قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾ (ص : ٢٣) أي أجعلني كفلاً لها، والكفل الكفيل قال: ﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ (الحديد: ٢٨) أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة وهما المرغوب إلى الله تعالى فيهما بقوله:﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾ (البقرة: ٢٠١) وقيل معنى قوله (كفلين) أي نعمتين اثنتين أراد النعمة المتوالية المتكفلة بكفايته ويكون تثنيته على ما ذكر في قولهم (لبيك وسعديك).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، ص٢٠٩.

السيئة يناله منها شدة ويبدو أن الكفل في هذا التفسير القوي من النصب ليفيد المبالغة في التهديد والوعيد.

وهكذا يبدو من خلال ما تقدم التقارب بين اللفظين غير أن لفظ الكفل في هذا المقام كان أكثر تهديداً وزجراً عن الشفاعة السيئة وأن اتصال لفظ الكفل قد يبدو مناسباً لإحدى دلالات لفظ الكفل" [١].

وهو ما ذكره ابن منظور: (لا يقال هذا كفل فلان حتى يكون قد هيئ لغيره مثله) [٢].

"وكأنه سبحانه وتعالى لم يذكر لفظ الكفل في جانب الشفاعة السيئة إلا بعد ذكر النصب في جانب الشفاعة الحسنة وكأنه قيل من يشفع شفاعة حسنة يكون له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له نصيب أكبر منها ليكون ذلك أبلغ في الزجر"[٣].

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [النساء: الآية ١٣٧ والآية ١٦٨]

"ففي النص بيان لعاقبة الكافرين الذين أعرضوا عن الحق فما كان الله ليديهم سبيلاً إلا سبيل جهنم، وجاء النظم القرآني بتنويع الأسلوب بين لفظين مترادفين هما: السبيل، والطريق تعبيراً عن مآل هؤلاء الجاحدين فلم جاء السبيل في الآية الأولى، والطريق في الآية الثانية.

قال الراغب : (السبيل الطريق الذي فيه سهولة وجمعه سُبل قال تعالى: ﴿ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا ﴾ [النحل: ١٥]"[٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، مادة (كفل)، ص٢٨٧.

(٢) لسان العرب، مادة (كفل)، ص٢٣/٢ .

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٢٩١/٢.

(٤) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، ص ٣٠٣ – ٣٠٤.

"والطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل أن يضرب قال تعالى: ﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾ [طه: ٧٧] وكذلك استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمود كان أو مذموم قال تعالى: ﴿ وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ [طه: ٦٣].

وذلك هو الأصل اللغوي لمعنى السبيل أو الطريق وقيل الفرق بين اللفظين من خلال هاتين الآيتين أن السبيل أكثر ما يستعمل في الخير والطريق أكثر ما يستعمل في الشر وقد بُني هذا الكلام على أن السبيل والطريق وأن واتحد معناهما فيما ذكر فبينهما فرق واضح من حيث الموضع السبيل أكثر تردداً في الكلام ففي إطلاق لفظه توسعه وعموم ليست في إطلاق لفظ طريق.

فقد ورد لفظ السبيل في الربع الأول من القرآن بضع وخمسين موضعاً بينما لم يرد لفظ الطريق في القرآن كله إلا في أربعة مواضع ثم إن اسم السبيل مع تقرير من كثرة ترداده أكثر وقوعاً في الخير وسبيل السلامة إفصاحاً وإشارة لا يكاد اسم الطريق يراد به السلامة والخير إلا مقروناً بوصف أو إضافة أو ما يخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأحقاف: ٣٠][1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ [النساء: ١٣٧] فالموصوفون في الآية بالكفر والظلم فدون هؤلاء في شناعة المرتكب والمبالغة في الضلال ألا ترى حال الكافل الذي لم يتقدم منه إيمان ليست كحال من تقدم إيمان لكفر هذا على علم ولا حال من وصف الظلم وكان يقع على الكفر وما دونه كحال من وصف في الآية الأولى بعودة إلى الإيمان ثم إلى الكفر بعد ذلك ثم الازدياد في الكفر فلما بلغت حال هؤلاء فيما وصفوا به أشنع غايات الكفر والضلال وأشدها تخبطاً ناسب ذلك الكتابة عما صدوا عنه ومنعوا (بالسبيل) مناسبة بين حالهم والممنوع من محسود مالهم ولما لم يكن وصف الآخرين بالكفر والظلم يبلغ شناعة المرتكب مبلغ أولئك وهو عدل في

---

(١) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، ص ٣٠٥.

الكناية عما منعوه إلى ما يناسبه وجرى كل علم ما يجب أن يناسب ولم يكن عكس الوارد ليلائم ولا ليناسب والله اعلم"[1].

"ويضاف إلى ما تقدم ذكر جهنم مع لفظ الطريق خلاف الآية الأولى وذلك في قوله تعالى: (إلا طريق جهنم) ويبدو اتصال الآية التي ذكر فيها (الطريق) مع الآية التي ذكر فيها (السبيل) قرآن الآية الثانية بمثابة التتميم والتكميل للآية الأولى ولذا كان تصعيد الأداء في الآية أكثر فذكر سبحانه قوله ضلوا ضلالاً بعيداً، وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ ﴾ على سبيل التهديد والوعيد فبدأ بوصف ضلالهم وانتهى بذكر مآلهم وتخلل هذا أو ذاك تكرار لفظ الطريق مرتين بخلاف الآية الأولى وجاز أن يقال (لم يكن الله ليهديهم إلا طريق جهنم) غير أن النظم القرآني كرر لفظ الطريق على سبيل التهكم والسخرية[2].

وقال صاحب التحرير والتنوير: "وفي هذا الاستثناء فيه رائحة إطماع ثم إذا سمع المستثنى تبين أنه من قبيل الإنذار وفيه تهكم لأنه المستثنى من الطريق المعمول (ليهديهم) وليس الإقحام بهم في طريق جهنم يهدي لأن الهدي هو إرشاد الضال إلى المكان المحبوب ولذلك عقبه بقوله: (وكان ذلك) أي الإقحام لهم في طريق النار على الله يسير إذا لا يعجزه شيء إذ هم عبيده يصرفهم حيث يشاء"[3].

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[آل عمران: ١١٢].

فقد عرف لفظ (الحق) في البقرة وجاء منكراً في موضعين في آل عمران ولاشك أن لهذا التلوين علاقة بالسياق اللغوي المصاحب لكل من يفسر به إيراد الكلمة

---

(١) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، طه رضوان، ص ٣٠٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٥.

(٣) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط١٩٩٧م، ٤٨/٦.

معرفة في البقرة ومنكرة في آل عمران ورحم الله صاحب ملاك التأويل، فقد قال في بيان الفرق بين الموضعين: (ولما كانت الأولى في سورة البقرة إنما هي في سلفهم ممن لم يشهد أمر محمد ﷺ وقد وقع الإفصاح فيها بكفرهم بعد تفريقهم بذكر آلاء ونعم وقد ورد فيها أن بعض تلك المرتكبات أو أكثرها قد عفا عنهم فيها ولا شك أن بعضهم قد سلم مما وقع فيه الأكثر من كفرهم وقد أفصحت أي بذلك فيما ذكر عقبها من أن الكفر السابق عمومه في جميعهم ليس على ما يبدو منه والله اعلم.

وإنما هو راجع إلى أكثرهم، فقد دخله خصوص يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٢] وقوله:﴿ وَأَكْثَرُهُمُ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨]، فهم وإن وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا ليسوا في ارتكاب البهت والمهاجرة بالباطل ومولاة التمرد والاعتداء وحال معاينة البراهين كحي بن أخطب وأشباهه من المعاصرين لنبي ﷺ والمشاهدين أمره مناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوا ما وقع التعبير به من قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١] إذ ليس المعرف في قوة المنكر المرادف لقولك بغير بسبب وأيضاً فقد تقرر عندهم من كتابهم أن مسوغ قتل النفس بغير حق كما هو موجود في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥] .

وتقرر أيضاً في كتابهم رجم الزاني المحصن وقد عرفنا ذلك في دينهم بالخبر الصحيح وأنهم اعترفوا بذلك عند النبي ﷺ بعد إنكارهم.

وقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لهم لقوله : ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١] فعرف بعظم جريمة الارتداد والظاهر أن حكم المرتد عندهم القتل كحكمه عندنا وكيف ما كان فقد استقر عندهم ما يسوغ حرمته القتل وقد علموا أن الأنبياء عليهم السلام مبرؤون من ذلك كله.

فقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي بغير وجه الحق المبيح للقتل فالألف واللام للعهد المسوغ من المصدر في شريعتهم إذا قد افترق مقصد الآيتين وأما الأولى في آيتي آل عمران فخاصة بالمتمادين منهم على الكفر ولا تتناول الآية من أولها إلى آخرها

فهي ودلت على في التمرد والتمادي على الضلال فناسبها التذكير كالتي بعدها وهما معاً بخلاف آية البقرة إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك ولا حال المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك، والله اعلم بما أراد"(١).

"ومن العلماء من نظر إلى أن التنكير في آل عمران أبلغ من التعريف في البقرة، وقيل: (ولما كان قتلهم إياهم بدون شبهة أصلاً بل لمحض لأحد قبلهم حق دنيوي أو أخروي، قال (بغير الحق) أي لا صغير ولا كبير في نفس الأمر ولا في اعتقادهم فهو أبلغ مما في البقرة على عادة أفعال الحكماء في الابتداء بالأخف فالأخف ومهما يكن من شيء فمقصود هذه الآيات بيان جزاء بني إسرائيل وكان قتل الأنبياء من أعظم هذه الجرائم، لذا كانت المبالغة في تنويع هذا القيد (بغير الحق) بين التنكير والتعريف.

أما التعريف فللإشارة إلى أن قتلهم الأنبياء لم يكن بحق معهود وعندهم أو عند غيرهم أما التنكير فلا يزال بأن صنيعهم لم يكن بغير حق مطلقاً ويضاف إلى ما تقدم أن التنكير في آل عمران قد وقع في جملة بمعنى الشرط لوجود الفاء في الخبر؛ لذا كان عموم النكرة مناسباً لعموم الحاصل من نفي الشرط"(٢).

الآية الثانية عشرة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٦٠].

ولاشك أنّ في هذا القول نظراً من جهات عدة فإذا تأملنا الآيات كاملة وجدنا أن كل آية وفية بالمقصود من نفي الظلم، وأن التصور ليس في شيء من المجاز بل هو ضرب من التمثيل والرمز وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]

---

(١) ملاك التأويل بن الزبير ج ١/ ٢١٥ – ٢١٧.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، طه رضوان، ص ١٨٨ – ١٨٩.

الضمير في (تعلمون) عائد على المذكورين ممن زكى نفسه وممن يزكيه الله عز وجل وغير هذين الصنفين علم أن الله تعالى لا يظلمه من غير هذه الآية، والفتيل الخيط الذي في شق نواة التمرة وهذا يرجع إلى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيره، وأن الله لا يظلمه شيئاً، ولاشك أن التعبير القرآني في هذا المقام يعبر أبلغ تعبير عن الحال حيث ينبئ الذين زكوا أنفسهم حقيقة أن الله لا يظلم شيئاً حتى هذا القدر الضئيل وهو تعبير يتصل بالمقام ويتصل بالمخاطبين على وجه الخصوص وبالناس كافة.

إن الظلم منفي عن الله تعالى لكن الله يختار ما يناسب الحال من تصوير وتعبير وهو أعلم به. ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

وفي الآية الثانية نجد أن الخطاب سواء كان للمسلمين أم للمشركين أم لهما معاً فإن قوله تعالى: يتصل بالمقام اتصالاً وثيقاً فإن مقتضى الظاهر يتفق والتعبير القرآني فالتغير هي النكتة التي في ظهر النواة والمعنى أن الله لا يظلم أحداً شيئاً حتى هذا القدر الضئيل الذي يساوي النقير وإذا تأملنا الخطاب في الآيتين السابقتين نجد أنه موجه إلى أناس يعيشون في عصر النبي ﷺ في الجزيرة العربية ويتصلون بالبيئة الصحراوية وما فيها من تمر وفتيل ونقير أي أن الصورة تتصل بخبرات هؤلاء الناس وبيئتهم، أما الآية الثالثة فإنها تتصل بأجيال ستأتي ولهذا فإن قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ قد جاء مطلقاً يتجاوز تلك الخبرات اليومية للناس في عصر النبوة وهؤلاء لا يمنع أن الآية فيها نفي للظلم لمطلق الظلم نفياً حقيقياً مباشراً واسعاً"(١).

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

"ففي هذه الآية الكريمة نجد أنَّ المغايرة جاءت بالعدول عن الغيبة في ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾

---

(١) علم البيان بين القدماء والمحدثين دراسة نظرية وتطبيقية، د. حسني عبدالجليل يوسف، أستاذ اللغة العربية جامعة حلوان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ص ٣٦ – ٣٨.

وهذه المغايرة في اللفظ تتفق إلى حد كبير مع مغايرة حال المؤمنين في اتخاذ الكافرين أولياء، فقد جاء صدر الآية نهياً المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء ثم كان الاستثناء في هذه الحالة وهي: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ فورد النهي أولاً ثم بصيغة الغيبة: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ثم جاء الاستثناء على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناءً مفرغاً من أعم الأحوال والعامل فعل النهي معتبراً فيه الخطاب كأنه قيل: لا تتخذوهم ظاهراً أو باطناً في حال من الأحوال إلا حال أتقاكم منهم في جهنم"(١).

وقال أبوحيان: "وهذا النوع في غاية الفصاحة؛ لأنه لما كان المؤمنون نهوا عن فعل ما لا يجوز جعل ذلك في اسم غائب ولم يواجهوا بالنهي. ولما وقعت المسامحة والإذن في بعض ذلك ووجهوا بذلك إيذاناً بلطف الله بهم وتشريفاً بخطابه إياهم"(٢).

"وقد يؤدي الاختلاف المفسرين حول مرجع الضمير إلى تحويل الأسلوب عن طريقة الالتفات المركب، لأن النص عند الاختلاف في مرجع الضمير قد يتجه إلى معنى مخالفة خاصة إذا كان تأويل مرجع الضمير يؤدي إلى تنافر النظم"(٣).

الآية الرابعة عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[آل عمران: ٩١]

"قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ يحتاج إلى بعض تأمل فإن الذي يقدم ملء الأرض ذهباً يوم القيامة إنما يفعل ذلك ليفتدي به من هول ذلك اليوم وعذاب النار، فما معنى أن يقال: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ وهذا مفهوم في السياق، كما أن (الواو) في

---

(١) إرشاد العقل السليم، أبوالسعود، ٢٣/٢.

(٢) البحر المحيط أبي حيان، ٤٤٢/٢.

(٣) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ (الإسراء) فقد جاء النص في هذه الآية على طريقة الالتفات المركب وذلك بالتصرف في الإحالات الراجعة إلى الله تعالى وهذا هو ما فسر به صاحب الكشاف هذا النص وهو يعد فيما يبدوا أول من قال بتعدد الالتفات في موضع واحد قال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل (سرى) ثم (باركنا) ثم (الرؤية) على قراءة الحسن ثم (آياتنا) ثم (إنه هو وهي طريقة الالتفات التي هي على طريق البلاغة. انظر: الكشاف للزمخشري ٦٤٨/٢.

هذا الموضع تحتاج إلى تفسير' وقيل: (الواو) للعطف والتقدير: لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك مع كفره ولو اقتدى به أيضاً لم يقبل منه.

وقيل لبيان التفصيل بعد الإجمال فإن إعطاء ملء الأرض ذهباً يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بحجة الفدية"(١).

وقيل أن الملوك قد لا يقبلون الهدية ولكن يقبلون الفدية فإذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفدية عن شدة الغضب (٢).

(أي فقد حق العذاب عليهم أولئك هم لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين) استحالة العفو عن هؤلاء الكفار الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلما كان الواحد منهم لن يستطع أن يملك ملء الأرض ذهباً فقد صاغ القرآن الكريم هذا التقدير (لو ملكه) وهذا محال وحتى وإن ملكه فلن يفتدي به من ذلك العذاب. فنحن أمام محال في محال وكأنه سبحانه وتعالى يصور لنا حال هؤلاء الذين لن ينفعهم شيء (ما لهم من ناصرين) ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً فحذف المعطوف عليه اختصاراً وإيجاز كذلك للأشعار بأن ملك أحدهم ملء الأرض ذهباً كأنه كائن ولو كان محالاً وعلى الرغم من ذلك فلن يقبل منهم"(٣).

الآية الخامسة عشرة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٧- ٤٨]

قال الإمام القرطبي: (وهم اليهود من بني إسرائيل الذين كانوا حوالي مهاجر رسول الله ﷺ قال لهم يا أيها الذين أنزل إليهم الكتاب فأعطوا العلم به وصدقوا بما أنزل على محمد من الفرقان ومصدقاً لما معه، يعني محققاً للذي معهم من التوراة والإنجيل التي أنزلتها على موسى بن عمران.

---

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد، ص١٣٣.

(٢) إعراب القرآن للزجاج، ج ٣٣٥/١.

(٣) الإيجاز في كلام العرب، ونص الإعجاز، مختار عطية، دار المعرفة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص ٣٧٦ – ٣٧٧.

كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبدالله بن صوريا وكعب بن أسد فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله أسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق! فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد! وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله فيهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] (١).

"ففي هذه الآية الكريمة ترهيب وتهديد لليهود بعد خطابه لهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] ولكي يزيدهم وكي يزيدهم ترهيباً ختم الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، ص١٢٧ – ١٢٨.

الفصل الخامس

أثر الوقف على المعنى والإعراب

المبحث الأول: التعريف بالوقف وأهميته وعلاقته بالإعراب

المبحث الثاني: أثر الوقف على النص القرآني

المبحث الأول
التعريف بالوقف وأهميته

"يقرر النحويون أن الوصل هو الذي عليه عقد الكلام، واستمراره، وفيه تصح وجوهه ومقاييسه، وأن الوقف من مواضع التغير وإضعاف الحرف والوقف هو عنصر من العناصر الصوتية في اللغة العربية،(هو قطع النطق عند آخر الكلمة كما عرفه محمد حماسة)"[(١)].

"ويدل الوقف بوسائله المتعددة على موقع هو في طابعه مِفْصَلٌ من مفاصل الكلام، ويكمن عنده قطع السلسلة النطقية (Chain of utterance). وينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية (spoken groups) تعتبر كل دفعة منها إذا كانت معناها كاملاً واقعة تكميلية (speech event) منعزلة. أما إذا لم يكن معناها كاملاً كالوقف على الشرط دون الجواب مثلاُ فإن الواقعة التكميلية حينئذٍ تشتمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة.

ولعل ظاهرة الوقف باعتبارها موقعة من موقعيات السياق اللغوي العربي ترجع إلى عدة اعتبارات تتمثل هذه الاعتبارات في الآتي:

١ – أثر الوقف في المعنى والإعراب.

٢ – كراهية توال الأضداد.

٣ – كراهية التنافر." [(٢)].

وغير ذلك من أنواع الاعتبارات الأخرى.

"إلا أن الوقف والوصل هما نوعان من أنواع مظاهر النطق العربي بالإضافة إلى تعلقهما بفساد أو صحة المعنى والإعراب.

ولأهمية الوقف وتأثيره في المعنى والإعراب كما سنبحثه في هذا المبحث نجد أن كثيراً من النحاة والقرَّاء على حدٍ سواء قد كتبوا فيه وبينوا أنواعه وما يترتب عليه من الاختلاف في المعاني والإعراب، (ويرتبط كل من الوقف والإعراب بالأخر ارتباطاً وثيقاً)؛ إذ إنَّ الوقف يؤثر في المعنى، وهذا بدوره يؤثر في الإعراب، ومن ثم

---

(١) العلامة الإعرابية، د. محمد حماسة، ص ٣٣٥.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ص٢٧٠.

كان لازماً لمن يريد أن يدرس الوقف في القرآن الكريم أن يكون ملماً بأوجه الإعراب المختلفة وما يستوجبه كل وجه من الوجوه في الوقف في القراءات المختلفة.

لهذا نجد بعض المشتغلين بعلوم القرآن من اتخذ الإعراب والفصائل النحوية مقياساً لبيان موضع الوقف وبيان أنواعه"[1].

"وهذا يدل على اهتمام المسلمين الأوائل بعلم الوقف في القرآن الكريم، إذ أنهم كانوا يساوون بين تعلم القرآن الكريم، وتعلم الوقف، وذلك لأن المعنى متوقف على الموضع الذي يقف عنده القارئ، ربما يقف القارئ على موضع يخل بالمعنى، أو يؤدي إلى تعسف في الإعراب[2]. وهذا يتبين مما سبق إن كل وقف من أنواع الوقوف له وجوه خاصة في المعنى والإعراب، فمن الأمثلة الآتية يتضح في أهمية الوقف وأثره على المعنى والإعراب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾[سورة الكهف:الآية١] فيجب الوقف على كلمة عوجا ثم الابتداء بـ (قيماً) لئلا يتوهم إن قوله تعالى (قيماً) صفة لقوله (عوجاً)، إذ العوج لا يكون قيماً.

كما نجد أن الوقف أيضاً يتعلق بالسياق وذلك عندما تقف على ما آخره هاء سكت في مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة: الآية ٢٥-٢٨] فإنك في غير القرآن تثبت هذه (الهاء) إذا وقفت وتحذفها إذا وصلت[3].

أيضاً يجب الوقف عند قوله تعالى: (وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) ثم الابتداء بقوله ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة يونس: الآية٦٥] كي يستقيم المعنى إذا لو وصل لا وهم أن القول الذي يحزنه هو قولهم: (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ

---

(١) مباحث في علوم القرآن الكريم، مناع القطان، ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٦.

جَمِيعاً) أي لئلا يتوهم القارئ في حالة الوصل إن الآية الأخيرة هي مقول قولهم في محل نصب بل هي مستأنفة[١].

إذن للوقف أهمية كبرى في كيفية قراءة القرآن الكريم وحفاظاً على سلامة الآيات، وبعداً عن اللبس والوقوع في الخطأ (وهذا يحتاج كما قلنا إلى المعرفة بعلوم العربية، وعلم والقراءات والتفسير حتى لا يفسد المعنى القرآني).

أهمية الوقف:

"روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: "(لقد عشنا بُرهة من دهرنا وأن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، ولقد رأينا اليوم رجالاً يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زواجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده وكل حرف منه ينادي أنا رسول الله إليك لتعمل بي وتتعظ بمواعظي)[٢] ويَبدُ أَن كلام ابن عمر رضي الله عنهما يصب في أهمية الوقف وأثره على المعنى القرآني المراد وسلامة الآيات وعدم فساد المعنى المراد.

إذن إن الوقف يمثل عنصراً منفرداً لماله من آثار هائلة في المعنى في غير جانب من جوانب القراءة وهو يؤدي إلى تنوع في الأداء حسب مواضع الوقف وهو يفضي إلى اختلافات في شكل الجملة من حيث بدايتها أو نهايتها، بل من حيث نوعها فقد تكون خبرية بوقف وتكون إنشائية بوقف آخر.

كما نجد أن الوقف يمدنا بتحليلات نحوية مختلفة، وفي نهاية المطاف يؤدي إلى تنوع في المعنى مما يتضمنه من تنوع في الأحكام"[٣].

ولهذا يرى الباحث أنَّ الوقف موضوع ذو أهمية ومن أجل ذلك توافر عليه علماءنا القدماء فجمعوا القراءة وصنفوها وقعدوا أحكامها وأنواعها، من حيث الوجوب والجواز والامتناع ومن حيث التمام والكفاية والحسن والقبح وغير ذلك[٤].

إذن يبدو أن الوقف له أهمية لا يمكن إغفالها وهذه الأهمية تتلخص في الآتي:

---

(١) مباحث في علوم القرآن الكريم، د. مناع القطان، ص ١٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٠.

"أولاً: إن النص القرآني يمثل وحدة واحدة يجب أن يراعى فيها ألوانٌ من الوقف اللازم والوصل الذي تقتضيه أحكام المعنى والإعراب فلا يجوز مثلاً أن نقف على ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [سورة النساء: الآية ٤٢] أو ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴾ [سورة الماعون:الآية ٤] أو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ [سورة المائدة: الآية٧٣] بل لا بد من مراعاة القواعد التي تحفظ للمعنى سلامته وهو ما تحرص عليه أحكام الوقف والوصل عند العلماء، إذن ظاهرة الوقف (juncture) في القرآن الكريم هي بحق ظاهرة لغوية فريدة فلا توجد في القوالب الأدبية الأخرى نظماً كانت أو نثراً قالباً فيه من التفصيل والتبيين حول هذه الظاهرة ما تراه في القرآن الكريم.

فضلاً عما في هذا الوقف من إبراز لموسيقى القرآن التي لا تتضح إلا به فيزيد ذلك روعة التلاوة مع مما يخلع عليه من إيقاع محبب وتنغيم آخّاذ"[(١)].

ولهذا قال الصابوني[(٢)] : يصور لنا سحر فواصل القرآن وأثره في النفوس يقول معلقاً على الآيات الثلاث من سورة (ص)﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة ص: ٦٢ –٦٤] فمثل هذا البيان الرائع الجرس وأقسم بالله والقول للصابوني أشعر بهزَّه في نفسي كلما قرأت القرآن لما له من وقع عذب على السمع وأحياناً تجدني أتمايل طرباً دون شعور أكثر مما يتمايل المغرمون بالأنغام وما ذلك إلا لروعة البيان في هذا القرآن وصدق الرسول الكريم حين قال: (إن من البيان لسحر)"[(٣)].

نجد أن الوقف بدوره يؤثر في النحو والصرف والتفسير والقراءات نفسها ولذلك نجد أن النحاة والقرَّاء تحدث على الوقف وكانوا مختلفين في فهمه.

ونريد أن نقف على آراء النحويين والقرَّاء وقولهم في الوقف فالوقف عند النحاة وهو ما يكون على آخر الكلمة المفردة دون النظر إلى معانيها داخل النص فهم

---

(١) الوقف في القراءات القرآنية وأثره على المعنى والإعراب، محمد محمد حسن، ط ٢٠٠٢، ص ٥.

(٢) محمد الصابوني أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبدالعزيز.

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، دار القلم، بيروت، ط ١٩٨٦م، ٦٧/٣.

يعنون بآخر الكلمة وما يصيبها عند الوقف من حذف وإبدال وزيادة أي إنهم يهتمون بالجانب الشكلي الذي يتمثل في النواحي الصوتية.

أما عند القُّراء فهو أشمل وأعم فإلى جانب دراسة هذا القسم من الوقف الذي يتناولونه تحت عنوان (الوقف على أواخر الكلم) يدرسون أيضاً الوقف داخل الجملة وداخل النص الذي يرتبط بالمعنى حسناً أو قبحاً وهذا النوع الأخير من الوقف هو الذي تصرف إليها الأذهان[١].

ويقول تمام حسان: (ولعل ظاهرة الوقف باعتبارها موقعية من مواقع بيان توالي السياق العربي ترجع إلى كراهية توال الأضداد أو كراهية التنافر أن شئت أسما آخراً لهذا المظهر من مظاهر الذوق العربي فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء، والصمت الذي يأتي عن تمام المعنى جزئياً أو كلياً أو عن انقطاع النفس أو لأي سبب، فإن الوقف يعتبر عكس الحركة تماماً فبينه وبين الحركة تنافر[٢].

وقد أثر هذا الوقف في رؤوس الآيات عن النبي صلى الله عليه وسلم روت أم سلمة رضي الله عنها إن النبي ﷺ إذا قرأ قطع قراءاته آية آية (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف ثم يقول (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثم يقف (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ثم يقف)[٣].

---

(١) الوقف في القراءة القرآنية وعلاقته بالإعراب، محمد حسن، ص ١٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٧٠.

(٣) النشر، لابن الجزري، ط ١٩٨٢م، بيروت، ص ٢٢٦.

المبحث الثاني

أثر الوقف على النص القرآني

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[سورة آل عمران: الآية ٧].

"آيات محكمات: واضحات الدلالة لا يعرض لها شبهة من حيث اللفظ أو المعنى، أم الكتاب: أصله المعتمد عليه في الأحكام، وأخر متشابهات: لا ينبئ ظاهرها عن المراد منها، كالحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل: ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره من حيث اللفظ أو المعنى، أو اللفظ والمعنى معاً"..

"في قلوبهم زيغ: في صدورهم ميل عن الحق الواضح إلى الباطل.

الراسخون في العلم: المتمكنون فيه، المطمئنون إليه، الذين تحققت فيهم هذه الشروط: (التقوى فيما بينهم وبين الله، والمجاهدة فيما بينهم وبين أنفسهم، والتواضع فيما بينهم وبين الناس، والزهد فيما بينهم وبين الدنيا)[1].

أولو الألباب: أصحاب العقول الزكية، والبصائر المضيئة التي تفهم المراد، وتتعظ بكل ما تسمع، المعنى:

سبحانه وتعالى هو الذي أنزل عليك يا محمد الفرقان الحكيم وجعل منه آيات واضحات، يدل ظاهرها على المراد منها، وهي أكثر آيات القرآن، وجعل منه قسماً متشابهاً، أشكل تفسيره على الناس لأنه سبحانه وتعالى قد استأثر بعلمه، فيجب عليكم أن تؤمنوا به، وتكلوا أمره إلى الله سبحانه، لا تكونوا كاليهود والنصارى والصابئين وغيرهم من الكفرة الذين يتركون الحق الواضح. ويتتبعون هذه الآيات المتشابهات، لا لشيء إلا ابتغاء الفتنة، وطلباً لفرقة وحثاً على الاختلاف، كقولهم بأن لله يداً –تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً– استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ

---

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى والإعراب، حمدي عبدالفتاح، ط١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، ص ٥٤.

أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح: الآية ١٠] وتركهم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى:١١] وقولهم إن عيسى روح الله، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: الآية ١٧١] ويتركون قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف: الآية ٥٩]، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: الآية ٥٩].

ولذا فالراسخون في العلم الثابتون فيه من المؤمنين لا يخوضون في المتشابه منه، بل يؤمنون به، ويكلون أمره إلى الله، وهذا شيء لا يقدر عليه ولا يتعظ به إلا أصحاب العقول الزكية.

فموضعه قوله تعالى: (إلا الله) لأن المعنى في القرآن الكريم آيات محكمات واضحات وأخر متشابهات، تحتاج إلى فهم خاص لمخالفة ظاهر اللفظ لمقصود منها، ولا يعلم تأويله أو المراد منها أحد إلا الله –عز وجل– وحده، وإذا سمع الراسخون في العلم مثل هذه المتشابهات لم يخوضوا فيها، أو يتأولها، بل ردوا علمها إلى منزل الفرقان ومحكم القرآن –سبحانه–.

وهنا يجب الوقف وإلا كان المعنى: أن الراسخون في العلم يعلمون المتشابه أيضاً.

وعليه فـ (ما) نافية و(يعلم) فعل مضارع مرفوع، و(تأويله) مفعول به مقدم، والهاء مضاف إليه، و(إلا) أداة استثناء ملغاة، لا عمل لها، ولفظ الجلالة فاعل مؤخر، (وَٱلرَّٰسِخُونَ) الواو استئنافيه و(الراسخون) مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، و(في العلم): جار ومجرور متعلق بـ (الراسخون) و(يقولون): مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون وواو الجماعة فاعل و(آمن) فعل وفاعل و(به) جار ومجرور متعلق بـ(آمنا) وجملة (آمنا) في محل نصب مقول القول والجملة كلها في محل رفع خبر المبتدأ (الراسخون)"[1].

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى والإعراب، د. حمدي عبدالفتاح، ص ٥٨.

"وهذا الوقف هو الذي كثير من العلماء والمفسرين، وروي عن بعض الصحابة كابن عباس ﷺ، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وعائشة رضي الله عنها، بل وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقف عليه".

"كما روى عن بعض التابعين كالحسن، وأبي نهيك، والضحاك، وقال به أيضاً عمر بن عبدالعزيز، وعروة بن الزبير رضي اله عنهم.

وقال به من القراء: نافع، ويعقوب، والكسائي.

وقال به من النحويين: الأخفش، والفراء، وابن كيسان".

"لأن بعض العلماء من المفسرين والأصوليين والراغب الأصفهاني يرون أن موضع الوقف هو (في العلم) ويكون المعنى: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه أيضاً. واحتجوا لقولهم بعدة أدلة، أهمها:

الأول: لو لم علمه الراسخون لكان في القرآن بعض الآيات فيها خطاب للمؤمنين بما لا يفهم، وهذا بعيد.

الثاني: ما روي عن ابن عباس ﷺ من قوله: (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله).

ودعاء النبي ﷺ له: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[1].

وعليه فـ(الراسخون) معطوف على لفظ الجلالة، وجملة (يقولون) في محل نصب حال من (الراسخون) أي / قائلين: آمنا به، هذا ويبدو أن الراجح هو الوقف الأول على (إلا الله) وذلك لأن يمكن أن يراد على أصحاب الرأي الثاني بالآتي:

الأول: قولكم: لو لم يعلمه الراسخون لكان في القرآن خطاب بما لا يفهم غير مسلم؛ لأن وجود مثل هذا القرآن الكريم ليس بحجة لكم، بل عليكم، لأن مثل هذا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، بمعنى: أن هذا من جنس كلامكم أيها المخاطبون ومع ذلك لا تستطيعون فهمه، أي: المراد منه، لأنه مما استأثر الله بعلمه[2].

---

(١) صحيح البخاري، ٦٦/١، رقم الحديث ١٤٣، دار ابن كثير، بيروت، ط١٩٨٧م.

(٢) الوقف اللازم في القرآن الكريم، لحمدي، ص ٥٩.

الثاني: ما استشهدوا به من قول ابن عباس ﷺ، وحديث النبي ﷺ غير قوي، لاحتمال أن يكون المراد بالتأويل هنا: التفسير والبيان، لا معرفة المتشابه كقوله تعالى في قصة يوسف –عليه السلام– ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: الآية ٣٦].

الثالث: لو وقف على (في العلم) لكان الراسخون في العلم يعلمون المتشابه كمثل نزول عيسى ابن مريم، وقيام الساعة، والمدة التي بيننا وبينها، وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه، وهذا غير واقع، ولو وقع لكان أولى الناس به النبي ﷺ الذي خاطبه ربه بقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧][1].

الرابع: لو كان الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه لما كان في تخصيصهم بالإيمان وجه قوي، لأنه حينئذ يكون الإيمان به كالإيمان بالمحكم سواء بسواء فلا يكون في الإيمان به خاصة مزيد مدح لهم.

---

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم، حمدي، ص ٦٠.

الخامس: أن (الراسخون) في موضع (أما) وأن أصل الكلام: وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، كل من عند ربنا، يدل على ذلك أنه لا تكاد توجد (أما) التفصيلية في القرآن الكريم إلا وتثلث أو تثنى كقوله تعالى:﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف ٧٩-٨٢] وقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى ٩-١١].

وهنا قال: (فأما الذين في قلوبهم زيغ) ولم يقل بعده: (وأما) فدل على أن قوله: (والراسخون) مستأنف منقطع عما قبله. وأن أصله: وأما الراسخون في العلم أو أصله: وأما غيرهم فيؤمنون به ويكلون معناه إلى ربهم، ثم حذفت ذلك، ودل عليه (والراسخون...) وهذا جائز في (أما) التي هي حرف شرط وتفصيل حيث ترك تكرارها استغناء بكلام يذكر بعدها يدل على ذلك القسم المحذوف كما في الآية: وقد يترك تكرارها استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر، كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء ١٧٤-١٧٥].

فالتقدير: وأما الذين كفروا بالله فلهم عذاب كذا وكذا وكذا.

ولهذا رُجح الوقف على (إلا الله).

يؤكد ذلك المعنى قراءة ابن عباس رضي الله عنه وأبي": (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ) وقراءة ابن مسعود: (إن تأويله إلا عند الله وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ). وربما يتعرض على الرد السابق بأنه لو كان على تقدير: (أما) لوجبت الفاء في الجواب، حيث يقال: (والراسخون في العلم فيقولون) ولكنها لم تأت.

ويرد بأن الفاء حذفت من الجواب هنا، والأصل: فيقولون، وهذا الحذف له نظائر فمنه في القرآن الكريم: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٦]. أي فيقال

أكفرتم: وفي الحديث: (أما إبراهيم عليه السلام –فانظروا إلى صاحبكم– يعني نفسه ﷺ– وأما موسى كأني انظر إليه وقد انحدر في الوادي يلبي)[1]، ومنه قول الحارث المخزومي:

فأمَا القتالُ لا قتالَ لديكم * سيراً في عِرَاضِ المَواكِبِ[2]

والأصل فلا قتال:

(هذا، ويروي بعض العلماء أنه لا مانع من الوقف على (العلم) إذا كان المراد بالتأويل: التفسير والبيان والتعبير، كقوله تعالى: (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ) في العلم: ويجب الوقف على لفظ الجلالة لما سبق بيانه. والله تعالى أعلى وأعلم.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨١]

الذين قالوا إن الله فقير: بعض رؤساء اليهود كحيي بن أخطب وفنحاص بن عازوراء، وكعب بن الأشرف)[3].

عذاب الحريق: عذاب النار التي تحرق الأجساد وتذيب الأبدان.

المعنى:

دأب اليهود على المجادلة والشقاق مع المسلمين، فحين نزل قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٤٥) استهزأ اليهود بذلك، وقال أحدهم – وهو فنحاص – لأبي بكر ﷺ حين قال له: اتق الله وأسلم، فإنك تعلم أن محمداً رسول الله، فرد عليه مستهزئاً،: ما بنا إلى الله من حاجة، وأنه إلينا لفقير، وإنا عنه لأغني، ولو كان الله غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبوبكر غضباً شديداً لله تعالى: وضرب وجه فنحاص ضرباً مبرحاً حتى أثر في وجهه فجاء فنحاص شاكياً أبا بكر

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب التلبية إذا انحدر في الوادي ٥٦٣/١، ت سعيد البغاوري، والإمام أحمد في مسنده ٢٧٧/١.

(٢) من الطويل وهو للحارث بن خالد المخزومي في ديوانه، ص٤٥، ورد في المقتضب ٧١/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٤/٧، ١٢/٩.

(٣) الوقف اللازم في القرآن، عبد الفتاح، ص ٦٤.

إلى رسول الله ﷺ، فسأل أبابكر عن سبب ذلك، فحكى له ما حدث ولكن فنحاص أنكر ذلك، فنزلت هذه الآية تبين صدق أبي بكر وكذب فنحاص وأهله، وتهددهم وتوعدهم بأن ما قالوه مسجل عليهم في صحائف أعمالهم، وسيلقون بسببه عذاباً شديداً في نار جهنم التي تحرق أجسادهم، وتذيب شحومهم، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، ولا تحزن يا محمد من أفعالهم القبيحة لأنهم جبلوا على ذلك، ورضوا بالأفعال الشنيعة التي فعلها آباؤهم كقتلهم الأنبياء الذين أرسلوا إليهم، وتكذيبهم"(١).

"الوقف: موضعه قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ) وذلك لأن هذا نهاية مقولة بعض اليهود، ثم يبتدأ بـ (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) لأنها كلام الله –عز وجل– رداً عليهم وتهديداً لهم، ولا بد من الوقف، وإلا دخلت جملة (سَنَكْتُبُ) في مقولة اليهود، وليس الأمر كذلك، وعليه فجملة (إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ) في محل تنصب مقول القول الثاني: (قَالُوٓا) لا الأول المصدر المضاف (قَوْلَ)؛ لأن إعمال الفعل أقوى من إعمال المصدر و (سَنَكْتُبُ) السين للاستقبال، و (نكتب) فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة (قالوا) فعل وفاعل صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب، و(قتلهم) معطوف على محل المفعول به (ما) و(قتل) مضاف و (هم) مضاف إليه"(٢).

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [سورة النساء: الآية ١١٧-١١٨].

المفردات: شيطان: كل عات متمرد من الجن، والمقصود هنا إبليس اللعين.

مريدا: متمرداً بلغ الغاية في العتو والفجور لخروجه عن طاعة الله أو متمرداً متجرداً عن الخيرات.

لعنه الله: طرده من رحمته في الدنيا، وسخط عليه وعذبه في الآخرة.

---

(١) أسباب النزول للواحدي، ص٧٦-٧٧، وتفسير ابن كثير ٤٣٣/١-٤٣٤، وحاشية الجمل ٣٤١/١، وصفوة التفاسير للصابوني ٢٣١/١-٢٣٢.

(٢) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى، حمدي، ص٦٠.

نصيباً مفروضاً: جزاءاً معيناً ومقدراً معلوماً، قيل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. وأمة محمد ﷺ حينئذ كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

المعنى:

بعد أن ذكر الله –سبحانه– أنه يغفر كل الذنوب إلا الإشراك به سبحانه ذكر أن المشركين ما يعبدون إلا أصناماً من الحجارة، لا تنفع ولا تضر، نحتوها بأيديهم، وصنعوها على أعينهم، ثم سموها بأسماء إناث كـ (اللات، والعزى، ومناة) ثم زين لهم الشيطان عبادتها، فاطاعوه وساروا في ركابه وهذا الشيطان متمرد، لم يطع ربه في أن يسجد لآدم– عليه السلام– فلذا طرده ربه، وأخرجه من رحمته، وتوعده بالعذاب والهلاك، فعليكم أيها المؤمنون أن تحذروا منه ومن إغوائه، لأنه حين طرده ربه أقسم أن يضل كثيراً من خلق الله، وأن يعدهم بالأماني الكاذبة والبروق الخادعة، ويزين لهم المعاصي، ويحبب إليهم الشهوات، فن يسر معه فهو داخل في حزبه، ولا شك أن حزب الشيطان هم الخاسرون.

الوقف:

موضع الوقف قوله تعالى: (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) وذلك لأن جملة (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) صفة ثانية لـ (شَيۡطَٰنًا) بعد الصفة الأولى والطرد من رحمة الله تعالى. وهنا يلزم الوقف على لفظ الجلالة، والابتداء بالتي يحكي فيها عن الشيطان ما قاله في حق الإنسان"[1].

وعليه فجملة (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) التي تتكون من الفعل والفاعل والمفعول في محل نصب صفة ثانية لـ (شَيۡطَٰنًا) أو هي جملة استئنائية لا محل لها في الإعراب جاءت لغرض الدعاء عليه أو الإخبار بذلك، وجملة: (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ) استئنائية لا محل لها من الإعراب، غير معطوفة على (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) و(لَأَتَّخِذَنَّ) جواب قسم

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم حمدي، ص ٦٧.

محذوف، و(مِنْ عِبَادِكَ) جار ومجرور، إما متعلق بالفعل قبله أو بمحذوف على أنه حال من (نَصِيبًا) لأنه في الأصل صفة نكرة قدم عليه[1].

لِمَيَّةَ مُوْحِشاً طَلَلُ * يَلُوحُ كأنّهُ خِلَلُ[2]

حيث جاءت (موحشاً) حل من (طلل) وهو نكرة، فلذلك تقدمت عليه.

هذا وبعض العلماء كالعكبري يرى أن الوقف هنا غير واجب بل جائز، وعليه فيجوز الوصل، وعليه فهذه الجملة (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ) يجوز أن تكون في محل نصب صفة ثالثة لـ (شيطان) أو هي معطوف على (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) وفاعل (قال) ضمير الشيطان أيضاً، وهي جملة في محل نصب حال على إضمار (قد).

وأرى أن الوقف هنا لازم لا جائز، وذلك لضعف هذه الأعاريب التي وجه بها جواز الوصل وعدم الوقف:

١- أما الإعراب الأول وهو أن جملة (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ) صفة ثالثة لـ(شيطان) فهذا ضعيف لأن جملة المنعوت بها كجملة الخبر، لا يجوز أن تدخل عليها الواو، خلافاً للزمخشري، الذي أجاز ذلك، وفي هذا يقول ابن مالك:

ونعتوا بجملة منكراً * فأعطيت ما أعطيته خبراً[3]

(وأما الإعراب الثاني في كون جملة (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ) معطوف على جملة (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) فهذا أيضاً ضعيف لأن فيه عطف الخبرية على الإنشائية، وهذا غير جائز عند جمهور النحاة.

وأما الإعراب الثالث وهو أن الجملة في محل نصب حال على إضمار (قد) فهو غير واضح في الآية لأن المعنى على الحال سيكون: (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) حال كونه قال: كذا وكذا، والواضح أن الله لعنه منذ أن امتنع عن السجود وقبل أن يقول ما حكي عنه في الآية).

---

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم، ص ٦٨.

(٢) البيت من مجزوء الوافر وهو لذي الرمة: مية هي محبوبته، خزانة الأدب،١/٣٧٩ .

(٣) انظر: خلاصة الألفية لابن مالك، ص٤٥.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء:الآية ١٥٧-١٥٨].

المعنى:

"يخبر الله -سبحانه- عن بعض جرائم اليهود، وقبائحهم الشنيعة كافترائهم على مريم -عليها السلام- وادعائهم أنهم قتلوا عيسى -عليه السلام- وهم في الحقيقة لم يقتلوه، وإنما قتلوا من ألقى عليه شبه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذبوه، أما عيسى -عليه السلام- فنجاه الله من مكرهم ورفعه إليه بقدرته، لأنه سبحانه منيع الجناب لا يرام ولا يضام من لاذ ببابه، وله الحكمة البالغة في كل ما يفعله، والحجة الدامغة، ومع كونهم لم يقتلوه حقيقة فسيعاقبهم الله على ذلك عقاب من قتل نبياً لأنهم قصدوا ذلك، وتبجحوا بصنعه".

الوقف:

موضعه قوله تعالى: (عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ) وذلك أنه سبحانه يحكي مقولة اليهود بعد ادعائهم قتل عيسى-عليه السلام- الذي يتهمونه بالكذب والسحر، وهنا يلزم الوقف على قوله (ٱبْنَ مَرْيَمَ) لأنه نهاية كلام اليهود المحكي عنهم، والابتداء بجملة (رَسُولَ ٱللَّهِ) لأنه لو وصل بما قبله لتبادر إلى ذهن السامع أنه تممة كلام اليهود، وليس الأمر كذلك، فهو من كلام المولى-عز وجل- مدحاً لعيسى -عليه السلام- ورداً على هؤلاء في زعمهم أنه ليس بني.

وعلى هذا فـ(رَسُولَ ٱللَّهِ) مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره (أعني) أو (أمدح) والجملة استئنائية لا محل لها من الإعراب جاءت لغرض مدح عيسى-عليه السلام- أو هي من باب وضع الذكر الحسن من الله -عز وجل- عن عيسى -عليه السلام- مكان ذكرهم القبيح.

هذا، ويرى بعض العلماء أن الوقف هنا غير لازم بل والوصل أولى وذلك لأن جملة (رَسُولَ ٱللَّهِ) من كلام اليهود أيضاً، فإن قيل كيف يقولون عنه (رَسُولَ ٱللَّهِ) وهم قد كفروا به وسبوه؟

أجيب: بأنهم قالوا عنه إنه رسول الله على سبيل الاستهزاء والتهكم به على حد قول مشركي مكة عن محمد ﷺ: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] وقول فرعون عن موسى –عليه السلام–:﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾"[الشعراء: ٢٧][1].

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى، حمدي، ص٧٥.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يود الباحث أن يشير إلى ما توصل إليه في هذه الدراسة المتواضعة المقترنة بالوصف، والتحليل.

فقد اشتملت هذه الدراسة بحمد الله على مقدمة وكانت تتمثل في الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره والدراسات السابقة وهيكل البحث،كما شملت الدراسة تمهيداً في قضية المعنى اللغوي وأهميته وجهود العلماء على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الفكرية،كما شمل التمهيد نبذة عن علم الدلالة، تعريفها ونشأتها الأولى عند العرب والهنود واليونانيين، وأثر القرآن الكريم وعلومه في تطور الدلالة والبحث الدلالي عند العرب الذي توسع ليشمل الشعر وكلام العرب، اللغة عامة، كما تناول أيضاً الدراسة الدلالية عند المحدثين في السنوات الثلاثين الأخيرة، وارتباطها ببعض العلوم الأخرى من فلسفة واجتماع وعلم نفس ومنطق، وعلم المعنى الذي يعد فرع من علم البلاغة وعلاقة هذه الدلالة بعناصرها المختلفة.

ففي الفصل الأول كانت الدراسة عن الدلالة الصوتية وأثرها على اللفظ والجملة، وذلك لأهمية هذا العنصر لما فيه من نبر وتنغيم ومقاطع صوتية وفونيمات ذات أثر على اللفظ أو المفردة اللغوية. أما الفصل الثاني كانت الدراسة عن الدلالة الصوفية وأهميتها في النص اللغوي من اشتقاقات وتغيرات في بنية الكلمة وفي النص اللغوي من دور مهم في تحديد وظيفة النحو وأن أي تغيير حدث في بناء الكلمة حتماً يؤدي إلى تغيير في المعنى والمدلول.

وفي الفصل الثالث تحدثت الدراسة عن الدلالة النحوية وأثرها داخل الجملة العربية والنص القرآني وهو ما يعرف بالنحو الوظيفي الذي له أثر في دلالة الكلمة وذالك من خلال الوظيفة الإعرابية من نصب وجر ورفع وإلى ما ذالك من دوالي الإعراب المختلفة.

أما في الفصل الرابع فكانت الدراسة عن دور السياق بنوعيه اللغوي، وسياق المقام؛ لأن السياق له علاقة وطيدة بهذا العلم؛ ولأنه يُعنى بدراسة المعنى بكل الوسائل اللغوية وغير اللغوية فالسياق اللغوي هو ما يتعلق باللغة، من علاقة الجمل

بعضها ببعض، فأما سياق المقام هو البيئة المحيط بالحدث الكلام ذات الأثر الكبير على النص والمقال.

وقد أثبتت هذه الدراسة بمناقشتها لمفهوم تلك العناصر واتجاهات دراستها في ضوء الدراسات الحديثة، والقديمة منها والاستفادة من المعطيات في هذين الدراستين في منهجية البحث اللغوي لقضايا العناصر الدلالية في تحليل الجمل والمفردات والألفاظ داخل النص اللغوي، للوصول للمعاني المنشودة من تلك الألفاظ والمفردات اللغوية ولأن العلاقات المختلفة لفظية ومعنوية تلعب دوراً كبيراً في تحليل الجملة، ولذا فإن هذه العناصر تقتضي دراسة في جميع مستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية كما وتستعين في ذالك بالنظام الدلالي في تنسيق علاقاتها اللغوية.

وقد توصل الباحث من خلال مناقشته للقضايا المتنوعة لهذه العناصر المختلفة إلى النتائج التالية:

١- أن التحليل الدقيق للفظ الجملة العربية يقوم على تكامل جميع الأنظمة اللغوية، فالمعنى العام للجملة يعتبر محطة لعلاقتها اللغوية المختلفة.

٢ – أن الدلالة الصوتية تعتبر ظاهرة من المظاهر الدلالية التي تطرأ على النص اللغوي باختلاف مواقعها في التفريق بين معنى وآخر.

٣- أن للبنية الصرفية دوراً مهماً في دلالة النص وفي الدراسة النحوية والسياقية للجملة وتوجيه الإعراب تارة أخرى، وأن كل تغير يطرأ على بنية الكلمة حتماً يؤدي إلى تغير دلالي للنص.

٤- إن للإعراب تأثيراً على الجملة وسياقها، وأثر ذلك على المعنى، وإن الإعراب هو الفارق بين المعاني وإنه المعيار الصحي لفهم المعنى المنشود من الجمل.

٥- اعتماد تصنييف الجمل على أساس علاقة الإسناد والترابط السياقي؛ لأنه يعتبر الأهم في فهم الجمل وعلاقة الجمل بعضها ببعض وأن السياق بكل عناصره ركيزة مهمة في الكشف عن الدلالة ورفع اللبس والغموض في النص.

٦- أن المعنى الدلالي الكامل للبحث اللغوي لا يقف عند حدود المعاني الوظيفية للأحداث اللغوية بل لابد من سياق الحال والمقام الذي يتمثل في البيئة الزمانية والمكانية والتاريخية والظروف والملابسات التي قيل فيها الحدث اللغوي.

٧- أن للوقف أثراً كبيراً في تحديد معاني آي القرآن وتفسير نصوصه وفي تحديد عناصر الجملة ومعانيها وارتباط تلك العناصر بعضها ببعض كما يرتبط النحو بالوقف ارتباطاً لا ينفك عنه ويسهم كل واحد منهما في الإفصاح عن المعنى المرجو من النص القرآني.

التوصيات:

يوصي الباحث بالدراسة في السياق اللغوي والمقامي وأثرهما في تحديد معاني مفردات القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية. وذلك من خلال السور المكية والمدنية، وأثر الثقافة الإسلامية على المجتمعين الجاهلي والإسلامي وذلك في إطار أسباب نزول الآيات القرآنية.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأشعار
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
	(الفاتحة)		
	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢	٢٦، ١٥٢
١.	﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٤	١٥٣٢٥،
٢.	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٣٠
٣.	﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٩٧
٤.	**(سورة البقرة)**		
٥.	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾	٢٨	٣٨
٦.	﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾	٣٦	٢٨، ٣٠
٧.	﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	٦١	٥٧
٨.	﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾	٩١	٥٧
٩.	﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾	١٥٠	١١٢
١٠.	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾	١٧٧	٨١
١١.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	١٧٨	١٣٣
١٢.	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	٢١٩	١١٩
١٣.	﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾	٢٢٣	١١٥، ١١٦
١٤.	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	٢٤٥	١٥٨
١٥.	﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾	٢٥٦	١٣٤
١٦.	**(سورة آل عمران)**		
١٧.	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا ﴾	٣	٧٦، ١٦٧
١٨.	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٧	٨٢، ١٠١، ١٠٢، ١٥٣، ١٥٨

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٩.	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٨	٧٢
٢٠.	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	٧٣
٢١.	﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ ﴾	٢٠	٣٩
٢٢.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٢١	١٢٦
٢٣.	﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٨	١٤٣
٢٤.	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾	٣٦	٧٤
٢٥.	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾	٣٧	٥٣، ١١٦
٢٦.	﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى ﴾	٤٣	١١٥
٢٧.	﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾	٤٤	٥٣
٢٨.	﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾	٤٤	١٠٢، ١٠٣، ١٦٢
٢٩.	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾	٥٩	١٥٤
٣٠.	﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	٧٩	٥٤، ١٦١
٣١.	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ ﴾	٧٩	٧٥
٣٢.	﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾	٨٠	٣٨ ، ٧٤، ١٦١
٣٣.	﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾	٨١	٧٥
٣٤.	﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾	٨٣	٥٥
٣٥.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾	٩١	١٤٤
٣٦.	﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾	١٠٣	١٠٥
٣٧.	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	١٠٦	١٥٨
٣٨.	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾	١١٢	١٤٠
٣٩.	﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾	١١٩	٣٧

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
٤٠.	﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ ﴾	١٢٠	٣٣، ٣٥، ١٣٦
٤١.	﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ﴾	١٢٥	٥٥
٤٢.	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾	١٤٦	٤١، ٥٦، ١٥٩
٤٣.	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾	١٥٤	٧٦
٤٤.	﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾	١٥٥	٢٨، ٢٩
٤٥.	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ ﴾	١٦١	٥٧، ٥٨
٤٦.	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾	١٦٩	١٠٨
٤٧.	﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾	١٧٥	١١٣
٤٨.	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى ﴾	١٧٨	٣٠
٤٩.	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾	١٨٠	١٠٦
٥٠.	﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾	١٨١	٧٦، ١٥٨
٥١.	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ ﴾	١٨٨	١١٠، ١٢٦
٥٢.	﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى ﴾	١٩٥	٨٢
٥٣.	(سورة النساء)		
٥٤.	﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾	١٢	٥٨
٥٥.	﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾	١٤	٥٩
٥٦.	﴿ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾	١٩	٣٦
٥٧.	﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾	٢٠	٣٧، ٣٨
٥٨.	﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ ﴾	٢١	٣٨
٥٩.	﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ﴾	٢٥	٣٦
٦٠.	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم	٢٩	١٠٩، ١١٢

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
	بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾		
٦١.	﴿ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾	٣١	٦٠
٦٢.	﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾	٣٣	٤٢، ٦٠
٦٣.	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ ﴾	٤١	٣٨
٦٤.	﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾	٤٢	٦١
٦٥.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٤٧	١٤٢
٦٦.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٤٨	١٤٥
٦٧.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾	٤٩	١٤٢
٦٨.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٩	١٢٦، ١٢٧
٦٩.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	٦٠	١٣٤، ١٣٦
٧٠.	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ﴾	٦٩	١١٤
٧١.	﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	٧٧	١٤٢
٧٢.	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾	٧٨	٢٠
٧٣.	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾	٨٣	٢٢٨
٧٤.	﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾	٨٥	١٣٧
٧٥.	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾	٩٢	٧٧، ١١٢
٧٦.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	٩٧	١١٠
٧٧.	﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾	١٠١	١٢٤، ١٢٥
٧٨.	﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ ﴾	١١٤	٤٣
٧٩.	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾	١١٥	١٣٠
٨٠.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	١١٦	١٣٠

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
٨١.	﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾	١١٧	١٥٩
٨٢.	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	١٢٤	٦٢، ١٤٤
٨٣.	﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ﴾	١٢٧	٧٨
٨٤.	﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾	١٢٨	٤٣
٨٥.	﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾	١٢٩	١٠٣
٨٦.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾	١٣٧	١٣٨، ١٤٩
٨٧.	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾	١٥٧	١٦٢
٨٨.	﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٦٢	٣١، ٣٣، ٧٩، ٨١
٨٩.	﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾	١٦٣	١٣٢
٩٠.	﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾	١٦٦	١٣٣
٩١.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	١٧٤	١٤٦، ١٥٧
٩٢.	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ ﴾	١٧٥	١١٦
٩٣.	(سورة المائدة)		
٩٤.	﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	٨	١٠٧
٩٥.	﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾	٢١	١٤٢
٩٦.	﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾	٤٥	١٣٣، ١٤١
٩٧.	﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾	٧٣	١٥٢
٩٨.	﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	٧٦	٣٤
٩٩.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ ﴾	٩٠	١٢٠

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٠٠.	﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾	١٠٣	١٢٢
١٠١.	**(سورة الأنعام)**		
١٠٢.	﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾	٣٥	١٢٤
١٠٣.	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾	٧٦	٢٣
١٠٤.	**(سورة الأعراف)**		
١٠٥.	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا ﴾	٢٠	٢٩
١٠٦.	﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم ﴾	٢٧	٢٨
١٠٧.	﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ﴾	١٦٢	١٤١
١٠٨.	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾	١٨٧	١٥٦
١٠٩.	﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾	١٨٨	٣٤
١١٠.	**(سورة الأنفال)**		
١١١.	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾	٥٨	٩٥
١١٢.	**(سورة التوبة)**		
١١٣.	﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	٣	٦٨
١١٤.	﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾	٨	١٤١
١١٥.	**(سورة يونس)**		
١١٦.	﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	٦٥	١٤٩
١١٧.	**(سورة يوسف)**		
١١٨.	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾	٣٦	١٥٦
١١٩.	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ﴾	٥٠	٢٧
١٢٠.	﴿ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾	٧٤	٧
١٢١.	﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾	٧٥	٧

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
.١٢٢	**(سورة الحجر)**		
.١٢٣	﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٦٢
.١٢٤	﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾	6	١٦٣
.١٢٥	**(سورة النحل)**		
.١٢٦	﴿ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾	١٥	١٣٩
.١٢٧	﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾	١٦	٩٨
.١٢٨	﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾	١٠٣	٩٦
.١٢٩	**(سورة الإسراء)**		
.١٣٠	﴿ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	١٠١	١٥٧
.١٣١	**(سورة الكهف)**		
.١٣٢	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	١	١٤٩
.١٣٣	﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾	٧٩	١٦٥
.١٣٤	﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ ﴾	٨٠	١٦٥
.١٣٥	﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ ﴾	٨١	١٦٦
.١٣٦	**(سورة مريم)**		
.١٣٧	﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾	٧٦	٩٨
.١٣٨	﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾	٩٥	٧٦
.١٣٩	**(سورة طه)**		
.١٤٠	﴿ وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾	٦٣	١٣٩
.١٤١	﴿ فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾	٧٧	١٣٩
.١٤٢	**(سورة الأنبياء)**		
.١٤٣	﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾	٧٣	٩٧

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٤٤.	**(سورة الشعراء)**		
١٤٥.	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٢٢	٢٣
١٤٦.	﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾	٢٦	٣٤
١٤٧.	﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾	٢٧	١٦٣
١٤٨.	**(سورة النمل)**		
١٤٩.	﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾	٥٢	١١٣
١٥٠.	**(سورة العنكبوت)**		
١٥١.	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾	٢٣	٥٩
١٥٢.	**(سورة فاطر)**		
١٥٣.	﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾	٤٣	٣٥
١٥٤.	**(سورة يس)**		
١٥٥.	﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾	١٩	٣٥
١٥٦.	**(سور ص)**		
١٥٧.	﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾	٦٢	١٥١
١٥٨.	﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	٦٣	١٥١
١٥٩.	﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾	٦٤	١٥١
١٦٠.	**(سورة غافر)**		
١٦١.	﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾	١٦	٢٨
١٦٢.	**(سورة الشورى)**		
١٦٣.	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١١	٦٣
١٦٤.	**(سورة الزخرف)**		
١٦٥.	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٥٩	٦٣

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٦٦.	**(سورة الدخان)**		
١٦٧.	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾	٤٩	٩١
١٦٨.	**(سورة النجم)**		
١٦٩.	﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾	٢٣	٩٧
١٧٠.	﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾	٣٢	١١١
١٧١.	**(سورة الواقعة)**		
١٧٢.	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾	٢٥	١١١
١٧٣.	﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾	٢٦	١١١
١٧٤.	**(سورة الحديد)**		
١٧٥.	﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾	٢٨	١٣٧
١٧٦.	**(سورة المجادلة)**		
١٧٧.	﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾	٢٢	٩٢
	(سورة الممتحنة)		
١٧٨.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾	١	٢٣
١٧٩.	﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾	١٠	١٢٩
١٨٠.	**(سورة الملك)**		
١٨١.	﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾	١٦	٣١
١٨٢.	﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾	١٧	٣١
١٨٣.	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾	١٩	٣١
١٨٤.	﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	٢٠	٣١
١٨٥.	**(سورة الحاقة)**		
١٨٦.	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾	٢٥	١٤٩

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٨٧.	﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾	٢٦	١٤٩
١٨٨.	﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾	٢٧	١٤٩
١٨٩.	﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴾	٢٨	١٤٩
١٩٠.	**(سورة القيامة)**		
١٩١.	﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾	٤	٦١
١٩٢.	**(سورة النبأ)**		
١٩٣.	﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾	٤٠	٦٢
	(سورة الانفطار)		
١٩٤.	﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾	١٩	٢٨
١٩٥.	**(سورة الزلزلة)**		
١٩٦.	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	١	١٠٠

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
١.	(الدال علي الخير كفاعله)	١
٢.	(سوموا فإن الملائكة قد سومت)	٥٥
٣.	(الثيب تعرب عما في نفسها)	٦٤
٤.	(الراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه)	١٠١
٥.	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)	١٢٠
٦.	(من أطاع أميري فقد أطاعني)	١٢٨
٧.	(إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)	١٣٣
٨.	(اللهم فقه في الدين وعلم التأويل)	١٥٥
٩.	أما إبراهيم عليه السلام فانظروا إلى صاحبكم)	١٥٨

فهرس الأشعار

الرقم	الشطر الأول من البيت	الشاعر	الصفحة
١.	ومسوم كره الكمات نزاله	لعنترة	٥٦
٢.	من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ	جرير	٧٨
٣.	نفس فداء أمير المؤمنين إذا	الأخطل	٨٠
٤.	الخائض الغمر الميمون طائره	الأخطل	٨٠
٥.	ولقد خطبت بيوت يشكر خبطة	المهلهل	٨٠
٦.	لا يبعدون قومي الذين هم	خرنق	٨١
٧.	النازلون بكل معترك	خرنق	٨١
٨.	كل شيء ما خلا الموت جلل	لبيد	٨٧
٩.	لا تحسبن الموت البلى	ابن المقفع	٩٥
١٠.	وتشرق بالقول الذي أذعته	الأعشى	١٠٥
١١.	إذا نهى السفيه جرى إليه	لأبي قيس	١٠٧
١٢.	أنا ابن جلاء وطلاع الثنايا	لسحيم بن وثيل	١٢٠
١٣.	لمية موحشا طلل	ذو الرمة	١٦١

فهرس الأعلام

الرقم	الاسم	الصفحة
١٠.	إبراهيم أنيس	١٦، ٤٠
١١.	ابن أبي إسحاق	٦٨
١٢.	ابن الجزري	١٥٢، ١٥٤
١٣.	ابن جرير الطبري	٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٠)
١٤.	ابن جني	٥، ١٣،١٤، ١٥، ١٧
١٥.	ابن خلدون	٦٧
١٦.	ابن عامر	٥٨
١٧.	ابن عامر	٧٤، ٨٢
١٨.	ابن فارس	٥
١٩.	ابن قتيبة	٩٤
٢٠.	ابن كثير	٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٣، ٥٥،٥٤، ٥٦ ٥٧،، ٦٠، ٦١،، ٨٢، ١٥٧
٢١.	ابن كيسان	١٦٣
٢٢.	ابن مالك الاندلسي	٥١، ١٠٥
٢٣.	ابن هشام الأنصاري	٤٩، ١٠١
٢٤.	أبو البقاء	١٠٨
٢٥.	أبو بكر	٣٦
٢٦.	ابو حيان الأندلسي	١٠٦، ١٠٩، ١١١، ١١٦، ١٤٤
٢٧.	أبو ذؤيب الهزلي	٩٤
٢٨.	أبو عمر الشيباني	٩٥
٢٩.	أبو عمرو	٣٣، ٤٢، ٤٣، ٥٣، ٥٤، ٥٧،، ٦٠، ٦١، ٧٢، ٧٦، ٨٢، ١٥٦
٣٠.	أبو هشام	٧٨، ١١٢

الرقم	الاسم	الصفحة
.٣١	أبي الأسود الدولي	٦٧
.٣٢	الأخطل	٨٠
.٣٣	الأخفش	١٥٩، ١٦٣
.٣٤	ارسطو	٤
.٣٥	الأشموني	١٦٠
.٣٦	الأعشى	٩٤
.٣٧	إفلاطون	٤
.٣٨	الإمام البخاري	١٣٣
.٣٩	أوجدرن ورتشارد	٩٢
.٤٠	أولمان	١٠٠
.٤١	بحر محمد حسين	٧٢
.٤٢	بكري محمد الحاج	٥٢
.٤٣	تشومسكي	
.٤٤	تمام حسان	١١٩، ١٢٤، ١٥٢
.٤٥	جرير	٧٨، ٩٤، ١١٢
.٤٦	الحاجظ	٩٥، ٩٦
.٤٧	الحجاج بن يوسف	١٢٠
.٤٨	الحسن	٦٨
.٤٩	حمزة	٣٦، ٦١، ٧٥، ٧٦، ١٠٧، ١٠٧، ١٥٧، ١٦٠
.٥٠	خرنق	٨١
.٥١	الخطيب الغزويني	٢
.٥٢	خلف	١٦٠
.٥٣	دي سوسير	٦، ٩

الرقم	الاسم	الصفحة
٥٤.	الراغب الاصفهاني	١٣٩
٥٥.	رمضان عبدالتواب	٩٥، ١٢٢
٥٦.	الزرقاني	١٠٠
٥٧.	الزمخشري	٥، ٣٠، ١٠١، ١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٣٥
٥٨.	سقراط	٤
٥٩.	سمير شريف	٦
٦٠.	سيبوية	٨٠
٦١.	السيوطي	٥، ٩٨، ١٠٠
٦٢.	صاحب أبو جناح	
٦٣.	الصاحبي	٥
٦٤.	صلاح سلطان	١٢٧
٦٥.	عاصم	٣٠، ٥٤، ٥٥، ٥٧ ، ٥٨، ٦١، ٨٠، ٨٢، ١٦٠
٦٦.	عبدالقادر	٢٢، ٤٦
٦٧.	عبدالقاهر الجرجاني	٩٤، ٩٥
٦٨.	عبدالمنعم	١١٨
٦٩.	علقمة الثقفي	١٢٣
٧٠.	عنترة بن شداد	٥٦
٧١.	عيسى بن عمر	٢٢، ٦٨
٧٢.	الفخر الرازي	١٣١
٧٣.	الفراء	١٥٩، ١٦٣
٧٤.	فيرث	٨٩، ١٠٠
٧٥.	فيصل حسن	٢٥

الرقم	الاسم	الصفحة
.٧٦	القرطبي	١٢٥، ١٤٦
.٧٧	الكسائي	٣٠، ٣٢، ٣٦، ٤٣، ٥٣، ٦١، ٧٣، ١٥٨، ١٦٤
.٧٨	لبيد	
.٧٩	محمد الصابوني	١٥١
.٨٠	محمد طاهر عاشور	
.٨١	محمود عكاشة	١٧، ٢١، ٧٠
.٨٢	مروان بن الحكم	١٢٦
.٨٣	مشيل بريال الفرنسي Breal	٦، ٨
.٨٤	المهلهل	٨٠
.٨٥	نافع	٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٦٠، ٨٢، ١٥٨، ١٦٠
.٨٦	هادي نهر	١٩، ٢٢، ٢٣
.٨٧	هنري فلش Fleievch	١٦
.٨٨	يحي رمضان	١٠٣، ١١٦
.٨٩	يعقوب	١٥٩، ١٦٣
.٩٠	يونس	٨١

المصادر والمراجع

١. ابن قتيبة ومقايسة البلاغة، د. محمد الحبيب، دار الكتب العلمية ط١ ١٩٩٧م
٢. الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، د. أحمد عبدالقدير، مكتبة الرشد، د.ت.
٣. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٩٥م.
٤. أثر اختلاف القراءات في الوقف والابتداء، د. الجيلي على أحمد، دار العلم للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٧م.
٥. أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التغيير الدلالي من خلال القراءات القرآنية، د. بكري محمد الحاج، شركة مطابع السودان للعملة، ط ٢٠٠٩م
٦. أساس البلاغة للزمخشري، دار الفكر بيروت، ط ١٩٩٧م
٧. أسباب النزول الحسن على بن الواحدي، تحقيق د. عبدالصادق قمحاوي، القاهرة، شركة مصطفى للنشر، التوزيع ط ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨. أسرار ترتيب السور، للسيوطي، دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ت.
٩. الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، د. أحمد مختار، عالم الكتب، ط ٢٠٠٣م.
١٠. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم للإمام أبي عبدالله بن أحمد المعروف (بن خلاوية) دار المنار، ط ١٤١٧هـ ١٩٧٧م.
١١. إيضاح الرموز ومفاتيح الكنوز، شمس الدين محمد بن خليل القباني، دراسة وتحقيق د. أحمد خالد شكري، ط دار عمار للنشر والتوزيع الأردن، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٢. البحر المحيط، لحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ط.د. ت.
١٣. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين أبي عبدالله الزركشي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢٠٠٧م.
١٤. التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه د. كريم حسام الدين، دار غريب للنشر والتوزيع، د.ت.

١٥. التحليل اللغوي في ضوء علم الدالة دراسة صوتية صرفية نحوية دلالية محمود عكاشة، دار النشر للجامعات ط ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
١٦. التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، لعبدالله العباس عبدالحاسم، المجمع الثقافي أبو ظبي الأمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م
١٧. شرح الهداية لأبي العباس محمد عمار الهروي، تحقيق حازم سعد دار عمار للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٦م
١٨. التسفير الجامع للأحكام القرآن للإمام القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
١٩. التعريف في علوم البلاغة جلال الدين بن عبدالرحمن الخطيب الغيروني تحقيق عبدو البرقوقي، دار الفكر العربي بيروت ط ٢ .
٢٠. التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٩٩٠م.
٢١. التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، د هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الأردن ط ٢٠٠٨م
٢٢. تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري تحقيق، د. عبدالمحسن التركي، دار الكتب للطباعة والنشر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م
٢٣. تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب والتحليل طه رضوان طه دار الصحابة للتراث ط ٢٠٠٧.
٢٤. التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، د. مجدي محمد حسين ط ٢٠٠٧م
٢٥. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، دار الكتب العلمية، بيروت ط . ١٩٩٢م
٢٦. الحجة في القراءات السبع للإمام بن الحسن الفارسي، دار الكتب العلمية ، ط ٢٠٠١م
٢٧. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموشي ، عالم الكتب الحديث أبربد الأردن ، ط ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٨م
٢٨. دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة الإعرابية ،د ت.
٢٩. دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها د. صاحب أبو جناح جامعة مؤتة الأردن ، دار الفكر للنشر والطباعة ، والتوزيع ط ١٩٩٨م

٣٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق د أحمد محمد الخراط دار القلم ، دمشق ط ١٤٢٧م – ٢٠٠٦م
٣١. الدلالة الاجتهادية بين الغلو والإنكار دراسة نقدية دلالية في المذاهب الإسلامية ، د. صلاح سلطان ، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢٠٠٦م
٣٢. الدلالة والحركة محمد محمد داوود ، دار الغريب القاهرة ، ط، ٢٠٠٢م
٣٣. الدلالة الصوتية دراسة لغوية دراسة الصوت ودوره في التواصل، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو مصر، ط ١٩٩٢م.
٣٤. الدلالة اللفظية د. محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو مصر د.ت
٣٥. ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٣٦. ديوان لبيد، شعر لبيد، تأليف زكريا عبد الرحمن حسام، ط ١٩٧٦م، القاهرة، مطابع دار النشر.
٣٧. الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، قالون، ورش، الدوري حفص من طريق الشاطبية (حرز الأمان)، د. الأمين محمد أحمد مصطفى، دار السداد للطباعة والنشر الخرطوم ط ٢٠٠٥م .
٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي بالبغدادي، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ت.
٣٩. الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٥٩م
٤٠. صفوة التفاسير للصابوني، دار القلم، بيروت ط١٩٨٦م.
٤١. عبدالقادر الجرجاني بلاغته ونقضه د. علي رمضان. د.ت
٤٢. العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، د. محمد حماسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢٠٠١م
٤٣. العلاقة بين النص والسياق في سورة البقرة د. خلود العموش عالم الكتب الحديث عمان الأردن ط ٢٠٠٥م
٤٤. علم البيان بين القدماء والمحدثين دراسة نظرية تطبيقية، د حسن عبدالجليل يوسف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر القاهرة ط ٢٠٠٧م
٤٥. علم الدلالة أحمد مختار، عالم الكتب ، بيروت ط ١٩٩٢م

٤٦. علم الدلالة الحديث عبدالقادر .
٤٧. علم الدلالة العربي النظرية و التطبيق دراسة تاريخه تأصيلية تقريرية ، دار الفكر المعاصر بيروت، ط ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م
٤٨. علم الدلالة د. هادي نهر، عالم الكتب، بيروت، ط٢٠٠٢م.
٤٩. علم العربية محمود فهي حجازي، دائرة المكتبة الوطنية، ٢٠٠٥م.
٥٠. علم اللغة العام، عبدالصبور شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٥١. علم اللغة مقدمة للقاري العربي د. محمود السعراني، دار المعارف ط ١٩٩٢م
٥٢. فتح القدير الجامع بين الفنيين الرواية الدراسية في تفسير للشوكاني، دار الفكر بيورت ، د. ت
٥٣. قراءات في علم اللغة،أحمد شفيق الخطيب ، دار النشر للجامعات ط ٢٠٠٦م
٥٤. القراءة القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن دار النفائس للنشر والتوزيع عمان، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٨م
٥٥. القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجي والإجراء، د. يحيى رمضان، عالم الكتب الحديث ، ط ٢٠٠٧م
٥٦. كتاب الحيوان لأبي عمر الكناني المعروف بالجاحظ البصري ،د ت
٥٧. دراسة الأصوات اللغوية، د. إبراهيم وأنيس ، مكتبة الأنجلو مصر، ط ١٩٩٩م
٥٨. الكشاف للإمام الزمخشري، دار المنار، ط١٩٧٧م.
٥٩. لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، د.ت.
٦٠. اللسانيات المجال والوظيفية والمنهج، د. سمير شريف، دائرة المكتبة الوظيفية الأردن ط ٢٠٠٥م.
٦١. لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، د محمود عكاشة دار النشر للجامعات د . ت
٦٢. اللغة بين المعيارية والوصفية، د تمام حسان د.ت.
٦٣. المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر لابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت ط ١٩٩٩م.
٦٤. المجعم الوسيط مجمع اللغة العربية د.ت.

٦٥. محاضرات في معهد الدراسات العربية جامعة الدول العربية القاهرة، ط ١٩٧٥م
٦٦. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجي القاهرة ط ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م
٦٧. مرجع الضمير في القرآن الكريم د محمد حسين، دار غريبة للنشر والطباعة، والتوزيع ط ٢٠٠١م
٦٨. المستصفي للإمام حجة الإسلام الغزالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
٦٩. معاني القرآن للزجاج تحقيق د. عبدالجليل، عالم الكتب، ط ١٩٨٨م.
٧٠. معجم المصطلحات اللغوية رمزي البعكبلي دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٩٩٠م.
٧١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن مبارك، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٥م.
٧٢. مفردات القرآن الكريم، للأصفهاني تحقيق محمد سعيد كيلاني جامعة القاهرة، دار المعرفة بيروت، د.ت.
٧٣. مقدمة لدراسة علم اللغة، د. حملي خليل، عالم الكتب، ط ٢٠٠٦م.
٧٤. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الدار البيضاء، ط ١٤٠٧هـ.
٧٥. مناهج في علم اللغة، د. حلمي نور الهدى، جامعة الشارقة، ط ٢٠٠٨م.
٧٦. مناهل العرفان للزرقاني، تحقيق آمين سليم، المكتبة العصرية، ط ١٩٩٨م.
٧٧. الموضح في وجوه القراءات وعللها للفارسي تحقيق د. عمر حمدان، دار عمار للنشر، ٢٠٠٥م.
٧٨. النشر لأبن الجزري الحافظ محمد بن محمد الدمشقي الشهير بن الجزري المتوفى ١٣٣٠هـ. د.ت
٧٩. نظرية الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، د محمود عكاشة، دار النشر الجامعي.
٨٠. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، د. عبدالمنعم، دار الوقف، لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٧م

٨١. نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسني
٨٢. النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، د. صلاح الدين، الكويت مؤسسة الصباح، ١٩٦٢م.
٨٣. الوقف في القرآن الكريم وآثره على المعنى الإعرابي د. محمد حسن ط ٢٠٠٢م
٨٤. الوجوه البلاغية للقراءات القرآنية المتواترة د. محمد أحمد الجمل، كلية الشريعة جامعة، اليرموك، دار الفرقان للنشر ط ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م
٨٥. الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى والإعراب د. محمد عبدالفتاح، القاهرة ط ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر	ج
مقدمة	د
التمهيد	١
الفصل الأول: الدلالة الصوتية	
المبحث الأول: التعريف بأهمية الدلالة الصوتية	١١
المبحث الثاني: آثر الدلالة الصوتية على النص القرآني	٢٥
الفصل الثاني: الدلالة الصرفية	
المبحث الأول: التعريف بعلم الصرف وأهميته	٤٥
المبحث الثاني: أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني	٥٣
الفصل الثالث: الدلالة النحوية	
المبحث الأول: التعريف بعلم النحو وأهميته	٦٤
المبحث الثاني: أثر الدلالة النحوية على النص القرآني	٧٢
الفصل الرابع: السياق وأثره في تحديد المعنى	
المبحث الأول: تعريف السياق	٨٥
المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي على النص القرآني	٩٧
المبحث الثالث: دلالة سياق المقام وأثرها على النص القرآني	١١٨
الفصل الخامس: أثر الوقف على معنى الإعراب	
المبحث الأول: التعريف بالوقف وأهميته	١٤٨
المبحث الثاني: أثر الوقف على الآيات	١٥٣
خاتمة	١٦٤
الفهارس الفنية	١٦٧